وكلام ابن غزوان وخطبة الحارثي وكل ما حضرني من اعاجيبهم واعاجيب غيرهم ولم سموا البخل صلاحا والشح اقتصادا ولم حاموا على المنع ونسبوه الى الحزم ولم نصبوا للمواساة وقرنوها بالتضييع ولم جعلوا الجود سرفا والاثرة جهلا ولم زهدوا في الحمد وقل احتفالهم في الذم ولم استضعفوا من هش للذكر وارتاح للبذل ولم حكموا بالقوة لمن لا يميل الى الثناء ولا ينحرف عن هجاء ولم احتجوا بظلف العيش على لينه وبحلوه على مره ولم لم يستحيوا من رفض الطيبات في رحالهم مع استهتارهم بها في رحال غيرهم ولم تتابعوا في البخل ولم اختاروا ما يوجب ذلك الاسم مع انفتهم من ذلك الاسم ولم رغبوا في الكسب مع زهدهم في الانفاق ولم عملوا في الغنى عمل الخائف من زوال الغنى ولم يعملوا في الغنى عمل الراجي لدوام الغني ولم وفروا نصيب الخوف وبخسوا نصيب الرجاء مع طول السلامة وشمول العافية والمعافى اكثر من المبتلى وليست الحوائج اقل من الفوائد بل كيف يدعو الى السعادة من خص نفسه بالشقوة فكيف ينتحل نصيحة العامة من بدأ بغش الخاصة ولم احتجوا مع شدة عقولهم بما اجمعت الامة على تقبيحه ولم فخروا مع اتساع معرفتهم بما اطبقوا على تهجينه وكيف يفطن عند الاعتلال له ويتغلغل عند الاحتجاج عنه الى الغايات البعيدة والمعاني اللطيفة ولا يفطن

لظاهر قبحه وشناعة اسمه وخمول ذكره وسوء أثره على اهله وكيف وهو الذي يجمع له بين الكد وقلة المرفق وبين السهر وخشونة المضجع وبين طول الاغتراب وطول قلة الانتفاع ومع علمه بان وارثه اعدى له من عدوه وانه أحق بماله من وليه أوليس لو أظهر الجهل والغباوة وانتحل الغفلة والحماقة ثم احتج بتلك المعاني الشداد وبالالفاظ الحسان وجودة الاختصار وبتقريب المعنى وبسهولة المخرج واصابة الموضع فكان ماظهر من معانيه وبيانه مكذبا لما ظهر من جهله ونقصانه ولم جاز ان يبصر بعقله البعيد الغامض ويعيي عن القريب الجليل (وقلت) فبين لى ما الشيء الذى خبل عقولهم وأفسد اذهانهم وأغشي تلك الابصار ونقض ذلك الاعتدال وما الشيء الذى له عاندوا الحق وخالفوا الامم وما هذا التركيب المتضاد والمزاج المنافي وما هذا الغباء الشديد الذى الى جنبه فطنة عجيبة وما هذا السبب الذي خفي به الجليل الواضح وادرك به الدقيق الغامض (وقلت) وليس عجبي ممن خلع عذاره فى البخل وابدي صفحته للذم ولم يرض من القول الا بمقارعة الخصم ولا من الاحتجاج الا بما رسم فى الكتب ولا عجبي من مغلوب على عقله مسخر لاظهار عيبه كعجبي ممن قد فطن لبخله وعرف افراط شحه وهو فى ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه ولربما ظن أن قد فطن له

وعرف ماعنده فوه شيئا لا يقبل التموه ورقع خرقا لا يقبل الرقع فلوانه كما فطن لعيبه وفطن لمن فطن لعيبه فطن لضعفه عن علاج نفسه وعن تقويم اخلاطه وعن استرجاع ماسلف من عاداته وعن قلبه اخلاقه المدخولة الى أن تعود سليمة لترك تكلف مالا يستطيعه ولزمه الاتفاق على من يذمه ولما وضع على نفسه الرقباء ولا احضر مائدته الشعراء ولا خالط برد الآفاق ولا لابس الموكلين بالاخبار ولا ستراح من كد الكلفة ودخل في غمار الامة وبعد فما باله يفطن لعيوب الناس اذا أطعموه ولا يفطن لعيب نفسه اذا أطعمهم وان كان عيبه مكشوفا وعيب من أطعمهم مستورا ولم سخت نفس أحدهم بالكثير من التبر وشحت بالقليل من الطعم وقد علم أن الذى منع يسير فى جنب مابذل وانه لوشاء أن يحصل بالقليل مما جاد به اضعاف مابخل به كان ذلك عتيدا ويسيرا موجودا (وقالت) ولا بد من أن تعرفني الهنات التى نمت على المتكلفين ودلت على حقائق المتموهين وهتكت عن أستار الادعياء وفرقت بين الحقية والرياء وفصلت بين المبهرج المتزخرف والمطبوع المبتهل لتقف زعمت عندها ولترض نفسك عليها ولتتوهم مواقعها وعواقبها فان نبهك التصفح لها على عيب قد أغفلته عرفت مكانه فاجتنبته فان كان عتيدا ظاهرا معروفا عندك نظرت فان كان

احتمالك فاضلا على بخلك دمت على إطعامهم وعلى إكتساب المحبة بمؤاكلتهم وان كان اكثر اثبك غامر الاجتهاد سترت نفسك وانفردت بطيب زادك ودخلت مع الغمار وعشت عيش المستورين وان كانت الحروب بينك وبين طباعك سجالا وكانت أسبابكما أمثالا وأشكالا أجبت الحزم الى ترك التعرض واجبت الاحتياط الى رفض التكلف ورأيت أن من حصل السلامة من الذم فقد غنم وان من آثر الثقة على التغرير فقد حزم وذكرت أنك الى معرفة هذا الباب أحوج وان ذا المروءة الى هذا العلم أفقر وإني ان حصنت من الذم عرضك بعد أن حصنت من اللصوص مالك فقد بلغت لك مالم يبلغه أب بار ولا أم رؤوم وسألت أن اكتب لك علة خباب في نفي الغيرة وان بذل الزوجة داخل في باب المواساة والأثرة وإن فرج الامة في العارية كحكم الخدمة وان الزوجة في كثير من معانيها كالامة وان الامة مال كالذهب والفضة وان الرجل أحق ببيته من الغريب وأولى بأخيه من البعيد وان البعيد أحق بالغيرة والقريب أولى بالانفة وان الاستزادة في النسل كالاستزادة في الحرث الا أن العادة هي التي أوحشت منه والديانة هي التي حرمته ولان الناس يتزيدون أيضا في استعظامه وينحلون أكثر مما عندهم في استشناعه وعلة الجهجاه في تحسين الكذب بمرتبة الصدق

في مواضع وفي تقبيح الصدق في مواضع وفي الحاق الكذب بمرتبة الصدق وفي حط الصدق الى موضع الكذب وان الناس يظلمون الكذب بتناسي مناقبه وتذكر مثالبه ويحابون الصدق بتذكر منافعه وبتناسي مضاره وانهم لو وازنوا بين مرافقهما وعدلوا بين خصالهما لما فرقوا بينهما هذا التفريق ولما رأوهما بهذه العيون ومذهب من صحح في تفضيل النسيان على كثير من الذكر وان الغباء في الجملة انفع من الفطنة في الجملة وان عيش البهائم أحسن موقعا في النفوس من عيش العقلاء وانك لو أسمنت بهيمة ورجلا ذا مروءة وامرأة ذات عقل وهمة وأخرى ذات غباء وغفلة لكان الشحم الى البهيمة أسرع وعن ذات العقل والهمة أبطأ ولان العقل مقرون بالحذر والاهتمام ولان الغباء مقرون بفراغ البال والامن فلذلك البهيمة تقنو شحما في الايام اليسيرة ولا تجد ذلك لذي الهمة البعيدة ومتوقع البلاء في البلاء وان سلم منه والعاقل في الرجاء الى ان يدركه البلاء ولولا انك تجد هذه الابواب واكثر منها مصورة في كتابي الذي سمي كتاب المسائل لاتيت على كثير منه في هذا الكتاب فاما ما سألت من احتجاج الاشحاء ونوادر أحاديث البخلاء فسأوجدك ذلك في قصصهم ان شاء الله تعالى مفرقا وفي احتجاجاتهم مجملا فهو أجمع لهذا الباب من

وصف ما عندي دون ما انتهى الي من أخبارهم على وجهها وعلى أن الكتاب أيضا يصير أقصر ويصير العار فيه أقل ونبتدىء برسالة سهل بن هارون ثم بطرف أهل خراسان لاكثار الناس في أهل خراسان ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء تبين حجة طريفة أو تعرف حيلة لطيفة أو استفادة نادرة عجيبة وأنت في ضحك منه اذا شئت وفي لهو اذا مللت الجد وأنا أزعم ان البكاء صالح للطبائع ومحمود المغبة اذا وافق الموضع ولم يجاوز المقدار ولم يعدل عن الجهة ودليل على الرقة والبعد من القسوة وربما عد من الوفاء وشدة الوجد على الاولياء وهو من أعظم ما تقرب به العابدون واسترحم به الخائفون (وقال) بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبي له لاتجزع فانه أفتح لجرمه وأصح لبصره وضرب عامر بن عبد قيس بيده على عينيه فقال جامدة شاخصة لاتندى وقيل لصفوان بن محرز عند طول بكائه وتذكر أحزانه ان طول البكاء يورث العمى فقال ذلك لها شهادة فبكى حتى عمي وقد مدح بالبكاء ناس كثير منهم يحيى البكاء وهيثم البكاء وكان صفوان بن محرز يسمي البكاء واذا كان البكاء مادام صاحبه فيه فانه في بلاء وربما أعمى البصر وأفسد الدماغ ودل على السخف وقضي على صاحبه بالهلع وشبه بالامة اللكعاء وبالحدث

الفرح كذلك فما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور الى أن ينقطع عنه سببه ولو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المُضحِك لما قيل الزهرة والحبرة والحلي والقصر المبنى كأنه يضحك ضحكا وقد قال الله جل ذكره وانه هو أضحك وابكى وانه هو أمات وأحيي فوضع الضحك بحذاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت وإنه لا يُضيف الله الى نفسه القبيح ولا يمن على خلقه بالنقص وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ومن مصلحة الطباع كبيرا وهو شي في أصل الطباع وفي أساس التركيب لان الضحك أول خير يظهر من الصبي وقد تطيب نفسه وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى أولادها بالضحاك وبسام وبطاق وبطليق وقد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وفرح وضحك الصالحون وفرحوا وإذا مدحوا قالوا هو ضحوك السن وبسام العشيات وهش الي الضيف وذو اريحية واهتزاز واذا ذموا قالوا هو عبوس وهو كالح وهو قطوب وهو شتيم المحيا وهو مكفهر أبدا وهو كريه ومقبض الوجه وحامض الوجه وكانما وجهه بالخل منضوح وللضحك موضع وله مقدار وللمزح موضع وله مقدار متى جازهما أحد وقصر

عنهما أحد صار الفاضل خطلا والتقصير نقصا فالناس لم يعيبوا الضحك
الا بقدر ولم يعيبوا المزح الا بقدر ومتي أريد بالمزح النفع وبالضحك
الشيء الذى له جعل الضحك صار المزح جدا والضحك وقارا وهذا
كتاب لا اغرك منه ولا أستر عنك عيبه لانه لا يجوز أن يكمل لما
تريده ولا يجوز أن توفي حقه كما ينبغي له لان ههنا أحاديث كثيرة
متى اطلعنا منها حرفا عرف أصحابها وان لم نسمهم ولم نرد ذلك
بهم وسواء سميناهم أو ذكرنا مايدل على اسمائهم منهم الصديق والولي
والمستور والمتجمل وليس يفي حسن الفائدة لكم بقبح الجناية عليهم
فهذا باب يسقط البتة ويختل به الكتاب لامحالة وهو اكثرها بابا
واعجبها منك موقعا واحاديث أخر ليس لها شهرة ولو شهرت لما
كان فيها دليل على أربابها ولا هي مقيدة أصحابها وليس يتوفر
أبدا حسنها الا بان تعرف أهلها وحتي تتصل بمستحقيها وبمعادنها
واللائقين بها وفي قطع مابينها وبين عناصرها ومعانيها سقوط
نصف الملحة وذهاب شطر النادرة ولو أن رجلا الزق نادرة بابي الحارث
جمين والهيثم بن مطهر ومزبد وابن احمر ثم كانت باردة لجرت على
أحسن مايكون ولو ولد نادرة حارة في نفسها مليحة في معناها ثم اضافها
الى صالح بن حنين والى ابن النواء والى بعض البغضاء لعادت

باردة واصارت فاترة فان الفاتر شر من البارد وكما أنك لو

كلاما في الزهد وموعظة للناس ثم قلت هذا من كلام بكر بن عبدالله

المزني وعامر بن عبد قيس العنبري ومورّق العجلي ويزيد الرقاشي

لتضاعف حسنه ولأحدث له ذلك النسب نضارة ورفعة لم تكن له

ولو قلت قالها أبو كعب الصوفي أو عبد المؤمن أو أبو نواس الشاعر

أو حسين الخليع لما كان لها إلا مالها في نفسها وبالحرى أن تغلط في

مقدارها فتبخس من حقها وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة

الى أربابها وأحاديث كثيرة غير مضافة الى أربابها اما بالخوف

منهم واما بالاكرام لهم ولولا انك سألتني هذا الكتاب لما تكلفته ولما

وضعت كلامي موضع الضيم والنقمة فان كانت لائمة أو عجز فعليك

وان كان عذر فلي دونك

(٢)

رسالة سهل بن هارون أبي محمد بن راهيون الى بني عمه من آل

راهيون حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب

(بسم الله الرحمن الرحيم) أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم

الخير وجعلكم من أهله قال الاحنف بن قيس يا معشر بني تميم لا تسرعوا

الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار وقد كانوا

يقولون اذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فانه انما يعيب

بفضل مافيه من العيب واول العيب أن تعيب ماليس بعيب وقبيح أن تنهي عن مرشد أوتغري بمشفق وما أردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم والاصلاح فسادكم وابقاء النعمة عليكم ولئن أخطأنا سبيل ارشادكم فما اخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم ثم قد تعلمون أنا ماوصيناكم الا بما قد اخترناه لانفسنا قبلكم وشهرنا به في الآفاق دونكم فما كان احقكم في تقديم حرمتنا بكم ان ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم وتنبيهنا على مااغفلنا من واجب حقكم فلا العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم ولوكان ذكر العيوب برا وفضلا لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلا وان من أعظم الشقوة وابعد من السعادة ان لايزال يتذكر زلل المعلمين ويتناسى سوء استماع المتعلمين ويستعظم غلط العاذلين ولايحفل بتعمد المعذولين عبتموني بقولي لخادمي اجيدي عجنه خميرا كما أجدته فطيرا ليكون أطيب لطعمه وازيد في ريعه وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه لاهله املكوا العجين فانه أريع الطحنتين وعبتم على قولي من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية واشف من الكفاية فلما صرت الى تفريق اجزائه على الاعضاء والى التوفير عليها من

وظيفة الماء وجدت في الاعضاء فضلا على الماء فلمت أن لو كنت مكنت الاقتصاد في أوائله ورغبت عن التهاون به في ابتدائه لخرج آخره على كفاية أوله ولكان نصيب العضو الاول كنصيب الآخر فعبتموني بذلك وشنعتموه بجهدكم وقبحتموه وقد قال الحسن عند ذكر السرف انه ليكون في الماء وبين الماء والكلأ فلم يرض بذلك الماء حتى اردفه بالكلا وعبتموني حين ختمت على سد عظيم وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشع وامة لكعاء وزوجة خرقاء وليس من أصل الادب ولا في ترتيب الحكم ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة أن يستوي في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب والناعم من كل فن واللباب من كل شكل التابع والمتبوع والسيد والمسود كما لا تستوي مواضعهم في المجالس ومواقع أسمائهم في العنوانات وما يستقبلون به من التحيات وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ولا يكترثون له اكتراث العارف من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن واعلف حماره السمسم المقشر فعبتموني بالختم وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وختم على كيس فارغ وقال طينة خير من ظنة فامسكتم عمن ختم على لا شيء وعبتم من ختم على شيء وعبتموني حين قلت

للغلام اذا زدت في المرق نزد في الانضاج لتجمع بين التأدم باللحم والمرق ولتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا طبختم لحما فزيدوا في الماء فان لم يصب أحدكم لحما اصاب مرقا وعبتموني بخصف النعال وبتصدير القميص وحين زعمت ان المخصوفة ابقى وأوطأ واوقي وانفى للكبر واشبه بالنسك وان الترقيع من الحزم وان الاجتماع مع الحفظ وان التفرق مع التضييع وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلطع اصبعه ويقول لو أتيت بذراع لاكلت ولو دعيت الى كراع لاجبت ولقد لفقت سعدي بنت عوف ازار طلحة وهو جواد قريش وهو طلحة الفياض وكان في ثوب عمر رقاع ادم وقال من لم يستحي من الخلال خفت مؤنته وقل كبره * وقالوا لا جديد لمن لا يلبس الخلق وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط على الرائد أن يكون عاقلا مسددا فأتاه به موافقا فقال اكنت ذا معرفة به قال لا ولا رأيته قبل ساعته قال افناقلته الكلام وفاتحته الامور قبل أن توصله الى قال لا قال فلم اخترته على جميع من رأيته قال يومنا يوم قائظ ولم ازل اتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم في مثل هذا اليوم ورأيت ثياب الناس جددا وثيابه لبسا فظننت به الحزم وقد علمنا ان الجدد في موضعه

دون الخلق وقد جعل الله عز وجل لكل شيء قدرا وبوأله موضعا كما جعل لكل دهر رجالا ولكل مقام مقالا وقد أحيي بالسم وأمات بالغذاء واغص بالماء وقتل بالدواء فترقيع الثوب يجمع مع الاصلاح التواضع وخلاف ذلك يجمع مع الاسراف التكبر وقد زعموا أن الاصلاح أحد الكسبين كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين وقد جبر الاحنف يد عنز وأمر بذلك النعمان وقال عمر من أكل بيضة فقد أكل دجاجة وقال رجل لبعض السادة اهدى اليك دجاجة فقال ان كان لا بد فاجعلها بياضة وعد أبو الدرداء العراق جزر الغنيمة وعبتموني حين قلت لا يغترن أحد بطول عمره وتقوس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته أن يرى اكرومته ولا يخرجه ذلك الى اخراج ماله من يديه وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله أن يكون معمرا وهو لا يدري وممدودا له في السن وهو لا يشعر ولعله أن يرزق الولد على اليأس أو يحدث عليه بعض مخبئات الدهور مما لا يخطر على البال ولا تدركه العقول فيسترده ممن لا يرده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه أضعف ما كان عن الطلب واقبح ما يكون به الكسب فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص اعمل لدنياك عمل من يعيش ابدا واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا وعبتموني حين

زعمت أن التبذير الى مال القمار ومال الميراث والى مال الالتقاط وحباء الملوك أسرع وان الحفظ الى المال المكتسب والغنى المجتلب والى مايرخص فيه لذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتمام القلب أسرع وان من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد اضاع الاصل وان من لم يعرف للغني قدره فقد أذن بالفقر وطاب نفسا بالذل وزعمت ان كسب الحلال مضمن بالانفاق في الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الانفاق فى الهوى حجاب دون الحقوق وان الانفاق في الحقوق حجاب دون الهوى فعبتم على هذا القول وقد قال معاوية لم ار تبذيرا قط الا والى جانبه حق مضيع وقد قال الحسن اذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب ماله فانظروا في أى شئ ينفقه فان الخبيث ينفق في السرف (وقلت) لكم بالشفقة مني عليكم وبحسن النظر لكم وبحفظكم لآبائكم ولما يجب فى جواركم وفي ممالحتكم وملابستكم وأنتم فى دار الآفات والجوائح غير مأمونات فان أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع الى بقية فاحرزوا النعمة باختلاف الامكنة فان البنية لاتجرى فى الجميع الا مع موت الجميع وقد قال عمر رضي الله عنه في العبد والامة وفى ملك الشاة والبعير وفى الشئ الحقير اليسير فرقوا بين المنايا وقال ابن سيرين

لبعض البحريين كيف تصنعون بأموالكم قال نفرقها في السفن فان عطب بعض سلم بعض ولولا أن السلامة اكثرلما حملنا خزائننا في البحر قال ابن سيرين تحسبها خرقاء وهي صناع وقلت لكم عند اشفاقي عليكم ان للغنى سكرا وان للمال لنزوة فمن لم يحفظ الغني من سكر الغني فقد اضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد اهمله فعبتموني بذلك (وقال) زيد بن جبلة ليس أحد افقر من غني أمن الفقر وسكر الغنى أشد من سكر الخمر وقلتم قد لزم الحث على الحقوق والتزهيد في الفضول حتي صار يستعمل ذلك في اشعاره بعد رسائله وفي خطبه بعد سائر كلامه فمن ذلك قوله في يحي بن خالد

عدوُّ تلاد المال فيما ينوبه * منوع اذا ما منعه كان احزما

ومن ذلك قوله في محمد بن زياد

وخليقتان تقي وفضلٌ تحرم * واهانة في حقه للمال

وعبتموني حين زعمت انى اقدم المال على العلم لان المال به يغاث العالم وبه تقوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم وان الاصل أحق بالتفضيل من الفرع واني قلت وان كنا نستبين الامور بالنفوس فانا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمي وقلتم وكيف تقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء

ومقدم الادباء العلماء أفضل ام الاغنياء قال بل العلماء قيل فما بال العلماء يأتون أبواب الاغنياء اكثر مما يأتي الاغنياء أبواب العلماء قال لمعرفة العلماء بفضل الغني وجهل الاغنياء بفضل العلم فقالت حالهما هي القاضية بينهما وكيف يستوي شيء ترى حاجة الجميع اليه وشيء يغني بعضهم فيه عن بعض وعيشوني حين قلت ان فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في الدار ان احتيج اليها استعملت وان استغني عنها كانت عدة وقد قال الحضين بن المنذر وددت ان لي مثل أحد ذهبا لا انتفع منه بشيء قيل فما ينفعك من ذلك قال لكثرة من يخدمني عليه وقال ايضا ابك بطلب الغني فلو لم يكن لك فيه الا انه عز في قلبك وشبهة في قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما واسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لاصحاب الاهواء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج وقال درهمك لمعاشك ودينك لمعادك فقسموا الامور كلها على الدين والدنيا ثم جعلوا احد قسمي الجميع الدرهم (وقال) ابو بكر الصديق رضي الله عنه اني لابغض اهل البيت ينفقون رزق الايام في اليوم وكانوا يبغضون اهل البيت اللحميين وكان هشام يقول ضع الدرهم يكون مالا ونهى ابو الاسود الدئلي وكان حكيما أديبا وداهية

ازيا من جودكم هذا الولد وعن كرمكم هذا المستحدث فقال لابنه اذا بسط الله لك في الرزق فابسط واذا قبض فاقبض ولا تجاود الله فان الله اجود منك وقال درهم من حلٍّ يخرج في حق خير من عشرة آلاف قبضاً وتلقط عرندامن بريم فقال تضيعون مثل هذا وهو قوت امرئ مسلم يوما الى الليل وتلقط ابو الدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرفين فقال ليهن ابن العبسية ان مرفقة المرء رفقا في معيشته فلستم على تردون ولا رأيي تقتدون فقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا مالكم والسلام

﴿ نبدأ ﴾ بأهل خراسان لاكثار الناس في أهل خراسان ونخص بذلك اهل مرو بقدر ما خصوا به قال أصحابنا يقول المروزي للزائر اذا أتاه وللجليس اذا طال جلوسه تغديت اليوم فان قال نعم قال لولا انك تغديت لغديتك بغداء طيب وان قال لا قال لو كنت تغديت لسقيتك خمسة اقداح فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير وكنت في منزل ابن أبي كريمة واصله من مرو فرآني اتوضأ من كوز خزف فقال سبحان الله تتوضأ بالعذب والبئر لك معرضة قلت ليس بعذب انما هو من ماء البئر قال فتفسد علينا كوزنا بالملوحة فلم ادر كيف اتخلص منه وحدثني عمرو بن نهيوي قال تغديت يوما

عند الكندي فدخل عليه رجل كان له جارا وكان لي صديقا فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل وكان ابخل من خلق الله قال فاستحييت منه فقلت سبحان الله لو دنوت فاصبت معنا مما نأكل قال قد والله فعلت فقال الكندي ما بعد الله شيء قال عمرو فكتفه والله كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا وتركه ولو مد يده لكان كافرا أو لكان قد جعل مع الله جل ذكره شيئا وليس هذا الحديث لاهل مرو ولكنه من شكل الحديث الاول (وقال) ثمامة لم أر الديك في بلدة قط الا وهو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاجة الا ديكة مرو فاني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب قال فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء فمن ثم عم جميع حيوانهم فحدثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد فقال كنت عند شيخ من أهل مرو وصبي له صغير يلعب بين يديه فقلت له اما عابثا واما ممتحنا أطعمني من خبزكم قال لا تريده هو مر فقلت اسقني من مائكم قال لا تريده هو مالح قلت هات من كذا وكذا قال لا تريده هو كذا وكذا الى أن عددت أصنافا كثيرة كل ذلك يمنعنيه ويبغضه الي فضحك ابوه وقال ماذنبنا هذا من علمه ما تسمع يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم وزعم أصحابنا أن خراسانية ترافقوا في منزل وصبروا

عن الارتفاق بالمصباح ما أمكن الصبر ثم انهم تناهدوا وتخارجوا وأبى واحد منهم أن يعينهم وأن يدخل فى الغرم معهم فكانوا اذا جاء المصباح شدوا عينه بمنديل ولا يزال ولا يزالون كذلك الى أن يناموا ويطفئوا المصباح فاذ أطفئوا أطلقوا عينيه (ورأيت) أنا جماعة منهم زهاء خمسين رجلا يتغدون على مباقل بحضرة قرية الاعراب فى طريق الكوفة وهم حجاج فلم أر من جميع الخمسين رجلين يأكلان معا وهم فى ذلك متقاربون يحادث بعضهم بعضا وهذا الذى رأيته منهم من غريب ما يتفق للناس (حدثني) ابو عيسى بن عمران قال قال رجل منهم لصاحبه وكانا امامترافقين واما مترافقين لم لا نتطاعم فان يد الله مع الجماعة وفي الاجتماع البركة وما زالوا يقولون طعام الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الثلاثة يكفى الاربعة فقال له صاحبه لولا انى أعلم انك آكل مني لادخلت لك هذا الكلام في باب النصيحة فلما كان الغد وأعاد عليه القول قال له يا عبد الله معك رغيف ومعي رغيف ولولا أنك تريد أكثر ما كان حرصك على مؤاكلتي تريد الحديث والمؤانسة اجعل الطبق واحدا ويكون رغيف كل منا قدام صاحبه وما أشك انك اكلت رغيفك ونصف رغيفي ستجده مباركا انما كان ينبغي أن اجده أنا ولا أنت (وقال) خاقان بن صبيح دخلت على رجل

خراسان ليلا واذاهو قدأتانا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الدقة واذا هو قد ألقي في دهن المسرجة شيئا من ملح وقد علق على عمود المنارة عودا بخيط وقد حز فيه حتى صار فيه مكان للرباط فكان المصباح اذا كاد ينطفي اشخص رأس الفتيلة بذلك قال فقلت لما بال العود مربوطا قال هذا عود قد تشرب الدهن فان ضاع ولم يحفظ احتجنا الى واحد عطشان فاذ كان هذا دأبنا ودأبه ضاع من دهننا في الشهر بقدر كفاية ليلة قال فبينا أنا اتعجب في نفسي وأسأل الله جل ذكره العافية والستر اذ دخل شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال يا أبا فلان فررت من شيء ووقعت في شبيه به أما نعلم ان الريح والشمس تأخذان من سائر الاشياء أوليس قد كان البارحة عند اطفاء السراج أروي وهو عند اسراجك الليلة أعطش قد كنت أنا جاهلا مثلك حتى وفقني الله الى ماهو أرشد اربط عافاك الله بدل العود ابرة أو مسلة صغيرة وعلى أن العود والخلال والقصبة ربما تعلقت بها الشعرة من قطن الفتيلة اذا سويناها بها فتشخص معها وربما كان ذلك سببا لانطفاء السراج والحديد املس وهو مع ذلك غير نشاف قال خاقان ففي تلك الليلة عرفت فضل أهل خراسان على سائر الناس وفضل أهل مرو على سائر أهل خراسان (قال) مثنى بن بشير دخل أبو عبد الله المروزي على

شيخ من أهل خراسان واذا هو قد استصبح في مسرجة خزف من هذه الخزفية الخضر فقال له الشيخ لا يجيء والله منك أمر صالح أبدا عاتبتك في مسارج الحجارة فأتيتني بالخزف أو ما علمت أن الخزف والحجارة يحسوان الدهن حسوا قال جعلت فداك دفعتها الى صديق لي دهان فالقاها في المصفاة شهرا حتى رويت من الدهن ريا لا تحتاج معه أبدا الى شيء قال ليس هذا أريد هذا دواؤه يسير وقد وقعت عليه ولكن ما علمت أن موضع النار من المسرجة في طرفه الفتيلة لا ينفك من احراق النار وتجفيفه وتنشيف ما فيه ومتى ابتل بالدهن وتسقاه عادت النار عليه فأكلته هذا دأبهما فلو قست ما يشرب ذلك المكان من الدهن بما يستمده طرف الفتيلة منه لعلمت أن ذلك أكثره وبعد هذا فان ذلك الموضع من الفتيلة والمسرجة لا يزال سائلا جاريا ويقال إنك متى وضعت مسرجة فيها مصباح وأخرى لا مصباح فيها لم تلبث الا ليلة أو ليلتين حتى ترى السفلى ملآنة دهنا واعتبر أيضا ذلك بالملح الذي يوضع تحت المسرجة والنخالة التي توضع هناك لتسويتها وتصويبها كيف تجدهما ينعصران دهنا وهذا كله خسران وغبن لا يتهاون به الا أصحاب الفساد على أن المفسدين انما يطعمون الناس ويسقون الناس وهم على حاله

يستخلفون شيئا وان كان روثا وأنت انما تطعم النار وتسقي النار ومن أطعم النار جعله الله يوم القيامة طعاما للنار قال الشيخ فكيف أصنع جعلت فداك قال تتخذ قنديلا فان الزجاج أحفظ من غيره والزجاج لا يعرف الرشح ولا النشف ولا يقبل الاوساخ التى لا تزول الا بالدلك الشديد أو باحراق النار وأيهما كان فانه يعيد المسرجة الى العطش الاول والزجاج أبقى على الماء والتراب من الذهب الابريز وهو مع ذلك مصنوع والذهب مخلوق فان فضلت الذهب بالصلابة فضلت الزجاج بالصفاء والزجاج مجل والذهب ستار ولان الفتيلة انما تكون فى وسطه فلا تحمى جوانبه بوهج المصباح كما تحمى بوضع النار من المسرجة واذا وقع شعاع النار على جوهر الزجاج صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا وردّ الضياء كل واحد منهما على صاحبه واعتبر ذلك بالشعاع الذى يسقط على وجه المرآة أو على وجه الماء أو على الزجاجة ثم انظر كيف يتضاعف نوره وان كان سقوطه على عين انسان اعشاه وربما أعماه وقال جل ذكره الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من

يشاء والزيت في الزجاجة نور على نور وضوء على ضوء مضاعف هذا مع فضل حسن القنديل على حسن مسارج الحجارة والخزف وأبو عبد الله هذا كان من أطيب الخلق وأملحهم نحلاً وأشدهم أدباً دخل على ذي اليمينين طاهر بن الحسين وقد كان يعرفه بخراسان بسبب الكلام فقال له منذ كم أنت مقيم بالعراق يا ابا عبد الله فقال أنا بالعراق منذ عشرين سنةً وأنا أصوم الدهر منذ اربعين سنةً قال فضحك طاهر وقال سألناك يا ابا عبد الله عن مسئلة وأجبتنا عن مسئلتين ومن أعاجيب اهل مرو ما سمعناه من مشايخنا على وجه الدهر وذلك ان رجلا من أهل مرو كان لا يزال يحج ويتجر وينزل على رجل من أهل العراق فيكرمه ويكفيه مؤنته ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقي ليت اني قد رأيتك بمرو حتى أكافئك لقديم احسانك وما تجدد لي من البر في كل قدمة فاما ههنا فقد أغناك الله عني قال فعرضت لذلك العراقي بعد دهر طويل حاجة في تلك الناحية فكان مما هون عليه مكابدة السفر ووحشة الاغتراب مكان المروزي هناك فلما قدم مضى نحوه في ثياب سفره وفي عمامته وقلنسوته وكسائه ليحط رحله عنده كما يصنع الرجل بثقته وموضع أنسه فلما وجده قاعدا في أصحابه أكب عليه وعانقه فلم يره أثبته ولا سأل به سؤال من رآه قط قال العراقي

في نفسه لعل إنكاره اياي لمكان القناع فرمى بقناعه وابتدأ مسألته فكان له أنكر فقال لعله أن يكون انما أوتي من قبل العمامة فنزعها ثم ابتدأ تنسيه وجدد مسألته فوجده أشد ما كان انكارا قال فلعله انما أوتي من قبل القلنسوة وعلم المروزي انه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل قال لو خرجت من جلدك لم أعرفك وترجمة هذا الكلام بالفارسية (گرازپوستت بازون بيائي نشناسيم) وزعموا أنهم ربما ترافقوا وتراملوا فتناهدوا وتلازقوا في شراء اللحم فاذا اشتروا اللحم قسموه قبل الطبخ وأخذ كل انسان منهم نصيبه فشكه بخوصة أو بخيط ثم أرسله في خل القدر والتوابل فاذا طبخوا تناول كل انسان خيطه وقد علمه بعلامة ثم اقتسموا المرق ثم لا يزال احدهم يسل من الخيط القطعة بعد القطعة حتى يبقى الحبل لا شيء فيه ثم يجمعون خيوطهم فان اعادوا الملازقة أعادوا تلك الخيوط لانها قد تشربت الدسم ورويت وليس تناهدهم من طريق الرغبة في المشاركة ولكن لان بضاعة كل واحد منهم لا تبلغ مقدار الذي يحتمل أن يطبخ وحده ولان المؤنة تخف ايضا في الحطب والخل والثوم والتوابل ولان القدر الواحدة أمكن من ان يقدر كل واحد منهم على قدر ويختارون السكباج لانه ابقى على الايام وابعد من الفساد . حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن السيار

النظّام قال قلت مرة لجار كان لي من اهل خراسان اعرني مقلاً كم
فاني احتاج اليه قال قد كان لنا مقلى ولكنه سرق فاستعرت من جار
لي آخر فلم يلبث الخراساني ان سمع نشيش اللحم في المقلى وشم الطباهج
فقال لي كالمغضب ما في الارض اعجب منك لو كنت اخبرتني انك
تريده للحم او لشحم لوجدتني اسرع انما خشيتك تريده للباقلا وحديد
المقلى يحترق اذا كان الذي يقلى فيه ليس بدسم وكيف لا اعيرك اذا اردت
الطباهج والمقلى يه دالرد من الطباهج احسن حالا منه وهو في البيت
(وقال) ابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظّام دعانا جارلنا فاطعمنا تمرا وسمنا
سلاء ونحن على خوان ليس عليه الا ماذكرت والخراساني معنا يأكل
فرأيته يقطر السمن على الخوان حتى اكثر من ذلك فقلت لرجال الى جنبي
ما لأبي فلان يضيع سمن القوم ويسيء المؤاكلة ويغرف فوق الحق قال وما
عرفت علته قلت لا والله قال الخوان خوانه فهو يريد أن يدسمه ليكون
كالدبغ له ولقد طلق امرأته وهي ام أولاده لانه رآها غسلت خوانه
بماء حار فقال لها هلا مسحته . وقال ابو نواس كان معنا في السفينة
ونحن نريد بغداد رجال من اهل خراسان وكان من عقلائهم وفهمائهم
وكان يأكل وحده فقلت له لم تأكل وحدك قال ليس علي في هذا الموضع
مسئلة انما المسئلة على من اكل مع الجماعة لان ذلك هو التكلف

واكلي وحدي هو الاصل واكلي مع غيري زيادة في الاصل . وحدثني ابراهيم بن السندي قال كان على ربع الشاذروان شيخ لنا من أهل خراسان وكان مصححا بعيدا من الفساد ومن الرشا ومن الحكم بالهوى وكان حفيا جدا وكذلك كان في امساكه وفي بخله وتدنيقه في نفقاته وكان لا يأكل الا مالا بدمنه ولا يشرب الا مالا بدله منه غير انه كان في غداة كل جمعة يحمل معه منديلا فيه جردقتان وقطع لحم سكباج مبرد وقطع جبن وزيتونات وصرة فيها ملح واخرى فيها اشنان واربع بيضات ليس منها بد ومعه خلال ومضى وحده حتى يدخل بعض بساتين الكرخ وطلب موضعا تحت شجرة وسط خضرة وعلى ماء جار فاذا وجد ذلك جلس وبسط بين يديه المنديل واكل من هذا مرة ومن هذا مرة فان وجد قيم ذلك البستان رمى اليه بدرهم ثم قال له اشترلي بهذا أو أعطني بهذا رطبا ان كان في زمان الرطب أو عنبا ان كان في زمان العنب ويقول له اياك اياك ان تحابيني ولكن تجود لي فانك ان فعلت لم آكله ولم أعد اليك واحذر الغبن فان المغبون لا محمود ولا مأجور فان أتاه به اكل كل شيء معه وكل شيء أتي به ثم تخلل وغسل يديه ثم يمشي مقدار مائة خطوة ثم يضع جنبه فينام الى وقت الجمعة ثم ينتبه فيغتسل ويمضي الى المسجد هذا كان دأبه كل جمعة قال ابراهيم فبينا هو يوما

من ايامه يأكل فى بعض المواضع اذ مر به رجل فسلم عليه فرد السلام ثم قال هلم عافاك الله فلما نظر الى الرجل قد انثنى راجعا يريد أن يطفر الجدول أو يعدي النهر قال له مكانك فان العجلة من عمل الشيطان فوقف الرجل فاقبل عليه الخراسانى وقال تريد ماذا قال أريد أن اتغدي قال ولم ذلك وكيف طمعت فى هذا ومن اباح لك مالى قال الرجل أوليس قد دعوتني قال ويلك لو ظننت انك هكذا احمق ما رددت عليك السلام الا فيما نحن فيه أن تكون اذا كنت انا الجالس وانت المار تبدأ انت فتسلم فاقول انا حينئذ مجيبا لك وعليكم السلام فان كنت لا آكل شيئا سكت انا وسكت أنت ومضيت انت وقعدت أنا على حالى وان كنت آكل فهاهنا بيان آخر وهو أن ابدأ انا فاقول هلم وتجيب انت فتقول هنيأ فيكون كلام بكلام فأما كلام بفعال وقول بأكل فهذا ليس من الانصاف وهذا يخرج علينا فضلا كثيرا قال فورد على الرجل شيء لم يكن فى حسابه فشهر بذلك فى تلك الناحية وقيل له قد اعفيناك من السلام ومن تكلف الرد قال مابي الى ذلك حاجة انما هو أن اعفى انا نفسي من هلم وقد استقام الامر . ومثل هذا الحديث ما حدثني به محمد بن بشير عن والٍ كان بفارس اما أن يكون خالداً خو مهرويه أو غيره قال بينا هو يوما في مجلس وهو مشغول بحسابه وأمره وقد احتجب

بجوده اذ هجم شاعر من بين يديه فانشده شعرا مدحه فيه وقرظه وتجده فلما فرغ قال قد احسنت ثم اقبل علي كاتبه فقال اعطه عشرة آلاف درهم ففرح الشاعر فرحا قد يستطار له فلما رأى حاله قال واني لاري هذا القول قد وقع منك هذا الموقع اجعلها عشرين الف درهم وكاد الشاعر يخرج من جلده فلما رأى فرحه قد تضاعف قال وان فرحك ليتضاعف على قدر تضاعف القول اعطه يافلان أربعين الفا فكاد الفرح يقتله فلما رجعت اليه نفسه قال له أنت جعلت فداك رجل كريم وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددت فرحا زدتني في الجائزة وقبول هذا منك لايكون الا من قلة الشكر له ثم دعاله وخرج قال فاقبل عليه كاتبه فقال سبحان الله هذا كان يرضى منك باربعين درهما تأمر له باربعين الف درهم قال ويلك وتريد أن تعطيه شيئا قال ومن انفاذ أمرك بد قال يا أحمق انما هذا رجل سرنا بكلام وسررناه بكلام هو حين زعم اني أحسن من القمر واشد من الاسد وان لساني أقطع من السيف وان أمري انفذ من السنان جعل في يدي من هذا شيئا أرجع به الى بيتي ألسنا نعلم انه قد كذب ولكنه قد سرنا حين كذب لنا فنحن ايضا نسره بالقول ونأمر له بالجوائز وان كان كذبا فيكون كذب بكذب وقول بقول فاما أن يكون كذب بصدق

وتقول بفعل فهذا هو الخسران الذي ماسمعت به ويقال ان هذا المثل الذي قد جرى على السنة العوام من قولهم ينظر الى شزرا كأنى اكلت اثنين واطعمته واحدا انما هو لاهل مرو قال وقال المروزى لولا اني ابني مدينة لبنيت اريالداتي قال وقات لاحمد بن هشام وهو يبني داره ببغداد اذا اراد الله ذهاب مال رجل سلط عليه الطين والماء قال لا بل إذا أراد الله ذهابَ مالِ رجلٍ جعله يرجو الخلف والله ماأهلك الناس ولا افقر بيوتهم ولا ترك دورهم بلاقع الا الايمان بالخلف ومارأيت جنة قط توقي من اليأس قال وسمع رجل من الاراوزة الحسن وهو يحث الناس على المعروف ويأمر بالصدقة ويقول مانقص مال قط من زكاة ويعدهم سرعة الخلف فتصدق بماله كله فافتقر فانتظر سنة وسنة فلما لم يرشيئا بكر على الحسن فقال حسنٌ ماصنعتَ بي ضمنتَ لي الخلف فأنفقت على عِدَتِك وأنا اليوم مذكذا وكذا سنة انتظر ماوعدتَ لاأرى منه قليلا ولا كثيرا هذا يحل لك اللص كان يصنع بي اكثر من هذا والخلف يكون معجلا ومؤجلا ومن تصدق وتشرط الشروط استحقَّ الحرمانَ ولو كان هذا على ماتوهمه المروزي لكانت المحنة فيه ساقطة ولترك الناسُ التجارةَ ولما بقى فقير ولذهبت العبادة . أصبح ثمامة شديد الغم حين احترقت

داره وكان كاما دخل عليه انسان قال الحريق سريع الطفئة فلما كثر ذلك القول منهم قال فلنستحرق الله للهم انى استوقدته فاحرق كل شيء لنا وليس هذا الحديث من حديث المراوزة ولكنا ضممناه الى مايشاكله. قال سجّادة وهو أبو سعيد سجادة ان اناساً من المراوزة اذا لبسوا الخفاف فى الستة الاشهر التي لا ينزعون فيها خفافهم يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر وعلى اعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم الا ثلاثة أشهر مخافة ان تنجرد نعال خفافهم أو تنقب ﴿ وحكي ﴾ أبو اسحاق ابراهيم ابن سيار النظام عن جاره المروزى انه كان لا يلبس خفا ولا نعلا الى أن يذهب النبق اليابس لكثرة النوي في الطريق والاسواق قال ورآني مرة مصصت قصب سكر فجمعت ماممصت ماءه لارمي به فقال ان كنت لا تنور لك ولا عيال فهبه لمن له تنور وله عيال واياك أن تعود نفسك هذه العادة فى أيام خفة ظهرك فانك لا تدري ما يأتيك من العيال.

﴿ قصة أهل البصرة من المسجديين ﴾

قال اصحابنا من المسجديين اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة والتنمية للمال من اصحاب الجمع والمنع وقد كان

هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب وكالحلف الذي يجمع على التناصر وكانوا اذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه التماساً للفائدة واستمتاعا بذكره فقال شيخ منهم ماء بئرنا كما قد علمتم ملح اجاج لا يقربه الحمار ولا تسيغه الابل وتموت عليه النخل والنهر منا بعيد وفي تكلف العذب علينا مؤنة فكنا نمزج منه للحمار فاعتل عنه وانتقض علينا من اجله فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفا وكنت أنا والنعجة كثيرا ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما عتري جوف الحمار فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلا ثم انفتح لي فيه باب من الاصلاح فعمدت الى ذلك المتوضا فجعلت في ناحية منه حفرة وصهرجتها وملستها حتى صارت كأنها صخرة منقورة وصوبت اليها المسيل فنحن الآن اذا اغتسلنا صار الماء اليها صافيا لم يخالطه شيء ولولا التعبد لكان جلد المتغوط احق بالنتن من جلد الجنب فمقادير طيب الجلود واحدة والماء على حاله والحمار أيضا لا تقزز له من ماء الجنابة وليس علينا حرج في سقيه منه وما علمنا ان كتابا حرمه ولا سنة نهت عنه فربحنا هذه منذ ايام واسقطنا مؤنة عن النفس والمال مال القوم وهذا بتوفيق الله

ومنه فاقبل عليهم شيخ فقال هل شعرتم بموت مريم الصناع فانها كانت من ذوات الاقتصاد وصاحبة اصلاح قالوا فحدثنا عنها قال نوادرها كثيرة وحديثها طويل ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية قالوا وماهي قال زوجت ابنتها وهي بنت اثنتي عشرة فحلتها الذهب والفضة وكستها المروي والوشي والقز والخز وعلقت المعصفر ودقت الطيب وعظمت أمرها في عين الختن ورفعت من قدرها عند الاحماء فقال لها زوجها أنّي هذا يامريم قالت هو من عند الله قال دعي عنك الجملة وهاتي التفسير والله ما كنت ذات مال قديما ولا ورثته حديثا وما أنت بخائنة في نفسك ولا في مال بعلك الا أن تكوني قد وقعت على كنز وكيف دار الامر فقد اسقطت عني مؤنة وكفيتني هذه النائبة قالت اعلم أني منذ يوم ولدتها الى أن زوجتها كنت ارفع من دقيق كل عجنة حفنة وكنا كما قد علمت نخبز في كل يوم مرة فاذا اجتمع من ذلك مكوك بعته قال زوجها ثبت الله رأيك وارشدك ولقد أسعد الله من كنت له سكنا وبارك لمن جعلت له الفا ولهذا وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذود الى الذود ابل واني لارجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح وعلى مذهبك المحمود وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما يثبت الله بك في عقبي من هذه الطريقة المرضية

فنهض القوم باجمعهم الى جنازتها وصلوا عليها ثم انكفؤا الى زوجها فعزوه على مصيبته وشاركوه فى حزنه . ثم اندفع شيخ منهم فقال ياقوم لاتحقروا صغار الامور فان أول كل كبير صغير ومتى شاء الله أن يعظم صغيرا عظمه وان يكثر قليلا كثره وهل بيوت الاموال الا درهم الى درهم وهل الذهب الاقيراط الى جنب قيراط اوليس كذلك رمل عالج وماء البحر وهل اجتمعت أموال بيوت الاموال الا بدرهم من ههنا ودرهم من ههنا فقد ولبت صاحب سقط قد اعتقد مائة جريب في أرض العرب ولربما رأيته يبيع الفلفل بقيراط والحمص بقيراط فاعلم أنه لم يربح في ذلك الفلفل الا الحبة والحبتين من خشب الفلفل فلم يزل يجمع من الصغار الكبار حتى اجتمع ما اشترى به مائة جريب ثم قال اشتكيت اياما صدري من سعال كان اصابني فامرني قوم بالفانيذ السكرى وأشار على آخرون بالحريرة تتخذ من النشاستج والسكر ودهن اللوز واشباه ذلك فاستثقلت المؤنة وكرهت الكلفة ورجوت العافية فبينا أنا ادافع الايام اذ قال لى بعض الموفقين عليك بماء النخالة فاحسه حارا فحسوت فاذا هو طيب جدا وإذا هو يعصم فما جعت ولا اشتهيت الغداء فى ذلك اليوم الى الظهر ثم ما فرغت من غدائي وغسل يدي حتى قاربت العصر فلما قرب وقت غدائى من

وقت عشائى طويت المشاء وعرفت قصدى فقلت للعجوز لم لا تطحنين لعيالنا فى كل غداة نخالة فان ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة ثم تجففين بعد النخالة فتعود كما كانت فتبيعين اذا اجتمع بمثل الثمن الاول ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين قالت ارجو أن يكون الله قد جمع بهذا السعال مصالح كثيرة لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك وصلاح معاشك وما أشك أن تلك المشورة كانت من التوفيق . قال القوم صدقت مثل هذا لا يكتسب بالرأى ولا يكون الا سماويا . ثم أقبل عليهم شيخ فقال كنا نلقى من الحراق والقداحة جهدا لان الحجارة كانت اذا انكسرت حروفها واستداوت كلت ولم تقدح قدح خير واصلدت فلم تور وربما اعجلنا المطر والوكف وقد كان الحجر أيضا يأخذ من حروف القداحة حتى يدعها كالقوس فكنت أشترى المرقشيثا بالغلاء والقداحة الغليظة بالثمن الموجع وكان علينا أيضا فى صنعة الحراق وفى معالجة القطنة مؤنة وله ريح كريهة والحراق لا يجيء من الخرق المصبوغة ولا من الخرق الوسخة ولا من الكتان ولا من الخلقان فكنا نشتريه بأغلى الثمن فتذكرنا منذ أيام أهل البدو والاعراب وقدحهم النار بالمرخ والعفار فزعم لنا صديقنا الثورى وهو ما علمت أحد المرشدين ان عراجين الاعذاق

تشوب عن ذلك أجمع وعلمني كيف تعالج ونحن نؤتي بهامن أرضنا بلا كلفة فالخادم اليوم لا تقدح ولا توري الا بالعرجون قال القوم قد مرت بنا اليوم فوائد كثيرة ولهذا قال لاول « مذاكرة الرجال تلقح الالباب » ثم اندفع شيخ منهم فقال لم أرفي وضع الامور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها كمعاذة العنبرية قالوا وماشأن معاذة هذه قال اهدى اليها العام ابن عم لها اضحية فرأيتها كئيبة حزينة مفكرة مطرقة فقلت لها مالك يامعاذة قالت انا امرأة أرملة وليس لي قيم ولا عهد لي بتدبير لحم الاضاحي وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة ولست أعرف وضع جميع اجزائها في اماكنها وقد علمت ان الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئا لا منفعة فيه ولكن المرء يعجز لا محالة ولست أخاف من تضييع القليل الا أنه يجر تضييع الكثير أما القرن فالوجه فيه معروف وهو أن يجعل فيه كالخطاف ويسمر في جذع من جذوع السقف فيعلق عليه الزبل والكيران وكل ماخيف عليه من الفار والنمل والسنانير وبنات وردان والحيات وغير ذلك وأما المصران فانه لاوتار المندفة وبنا الى ذلك أعظم الحاجة وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسبيلها ان يكسر بعد أن يعرق ثم يطبخ فما ارتفع من الدسم كان للمصباح

وللادام وللعصيدة ولغير ذلك ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها فلم ير الناس وقودا قط اصفى ولا أحسن لهبا منه واذا كانت كذلك فهى أسرع في القدر لقلة مايخالطها من الدخان وأما الاهاب فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لاتدفع وأما الفرث والبعر فحطب اذا جفف عجيب ثم قالت بقى الآن علينا الانتفاع بالدم وقد علمت ان الله عز وجل لم يحرّم من الدم المسفوح الا أكله وشربه وان له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها وان أنالم اقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به صار كيّة في قلبي وقذي في عينيّ وهما لا يزال يعاودنى فلم البث ان رأيتها قد تطلقت وتبسمت فقلت ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأى فى الدم قالت أجل ذكرت أن عندى قدورا شامية جددا وقد زعموا أنه ليس شيء ادبغ ولا ازيد فى قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم وقد استرحت الآن إذ وقع كل شيء موقعه قال ثم لقيتها بعد ستة أشهر فقلت لها كيف كان قديد تلك الشاة قالت بابى أنت لم يجئ وقت القديد بعد لنا في الشحم والالية والجنوب والعظم المعرق وغير ذلك معاش ولكل شيء ابان فقبض صاحب الحمار والماء العذب قبضة من حصى ثم ضرب بها الارض ثم قال لاتعلم انك من المسرفين حتى تسمع باخبار الصالحين

﴿ قصة زبيدة بن حميد ﴾

وأما زبيدة بن حميد الصيرفي فانه استلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطا فلما قضاه بعد ستة أشهر قضاه درهمين وثلاث حبات شعير فاغتاظ البقال فقال سبحان الله أنت رب مائة الف دينار وانا بقال لا أملك مائة فلس وانما اعيش بكدي وباستماحتي الحبة والحبتين صاح على بابك جمال والمال لم يحضرك وغاب وكيلك فنقدت عنك درهمين وأربع شعيرات فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات فقال زبيدة يا مجنون اسلفتني في الصيف فقضيتك في الشتاء وثلاث شعيرات شتوية ندية ارزن من اربع شعيرات يابسة صيفية وما اشك أن معك فضلا (وحدثني) أبو الاصبغ بن ربعي قال دخلت عليه بعد أن ضرب غلمانه بيوم فقلت له ما هذا الضرب المبرح وهذا الخلق السيئ هؤلاء غلمان ولهم حرمة وكفاية وتربية وانما هم ولد هؤلاء كانوا الى غير هذا أحوج قال انك لست تدري انهم اكلوا كل جوارش كان عندي قال أبو الاصبغ فخرجت الى رئيس غلمانه فقلت ويلك مالك والجوارش وما رغبتك فيه قال جعلت فداك ما اقدر أن أكلمك من الجوع الا وأنا متكئ الجوارش ما اصنع به هو نفسه ليس يشبع ولا نحتاج الى الجوارش ونحن الذين انما نسمع بالشبع سماعا

من افواه الناس ماتصنع بالجوارش . واشتد على غلمانه في تصفية الماء وفي تبريده وتزميله لاصحابه وزواره فقال له غازي أبو مجاهد بجعلت فداك مُرْ بتزميل الخبز وتكثيره فان الطعام قبل الشراب وقال مرة ياغلامُ هاتِ خوانَ النرد وهو يريد تخت النرد فقال له غازي نحن الى خوان الخبز أحوج . وسكِرَ زبيدةُ ليلةً فكَسَى صديقا له قميصا فلما صار القميصُ على النديمَ خاف البَدَوَاتِ وعلم أن ذلك من هفواتِ السكر فمضي من ساعته الى منزله فجعله برشكانا لامرأته فلما اصبح سأل عن القميص وتفقده فقيل له انك قد كسوته فلانا فبعث اليه ثم اقبل عليه فقال ماعلمت ان هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لايجوز وبعد فاني اكره أن لا يكون لي حمد وان يوجِّه الناسُ هذا مني على السكر فرده علي حتى أهبه لك صاحيا عن طيب نفس فاني اكره أن يذهب شيء من مالي باطلا فلما رآه قد صمم اقبل عليه فقال ياهناهُ إن الناسَ يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشيء من ذلك فرد القميص عافاك الله قال له الرجل انى والله قد خفت هذا بعينه فلم أضع جنبي الى الارض حتى جيبته لامرأتي وقد زدت في الكمين وحذفت المقاديم فان أردتَ بعد هذا كله أن تأخذه فخذه فقال نعم آخذه لانه يصلح لامرأتي كما يصلح لامرأتك قال فانه عند الصباغ قال فهاته قال

ليس أنا اسلمته اليه فلما علم انه قد وقع قال بابي وامي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول جمع الشر كله في بيت وأغلق عليه فكان مفتاحه السكر

﴿ قصة ليلى الناعطية ﴾

واما ليلى الناعطية صاحبة الغالية من الشيعة فانها ما زالت ترقع قميصا لها وتلبسه حتى صار القميص الرقاع وذهب القميص الاول. ورفت كساءها ولبسته حتى صارت لا تلبس الا الرفو وذهب جميع الكساء وسمعت قول الشاعر

البس قميصك ما اهتديت لجيبه ... فاذا اضلك جيبه فاستبدل

فقالت اني اذاً لخرقاء انا والله أحوص الفتق وفتق الفتق وارقع الخرق وخرق الخرق. ومضيت انا وأبو اسحاق النظام وعمرو بن نهيوى نريد الحديث في الجبّان ولنتناظر في شيء من الكلام فمررنا بمجلس وليد القرشي وكان على طريقنا فلما رآنا تمشي معنا فلما جاوزنا الخندق وجلسنا في فناء حائطه وله ظل شديد السواد بارد ناعم وذلك لثخن الساتر واكتناز الاجزاء ولبعد مسقط الشمس من أصل حائطه فطال بنا الحديث فجرينا في ضروب من الكلام فما شعرنا الا والنهار قد انتصف ونحن في يوم قائظ فلما صرنا في الرجوع ووجدت مس

شمس ووقعها على الرأس ايقنت بالبرسام فقلت لابي اسحاق والوليد لى جني يسمع كلامي الباطنة منا بعيدة وهذا يوم منكر ونحن فى ساعة تذيب كل شيء والرأى أن نميل الى منزل الوليد فنقيل فيه ونأكل ماحضر فانه يوم تخفيف فاذا أبردنا تفرقنا والا فهو الموت ليس دونه شيء قال الوليد رافعا صوته أما على هذا الوجه فلا يكون والله أبداً فضمه في سويداء قلبك فقلت له هذا الوجه الذي انكرته علينا رحمك الله هل ههنا الا الحاجة والضرورة قال انك اخرجته مخرج الهزء وقلت وكيف أخرجه مخرج الهزء وحياتي في يدك مع معرفتي بك فغضب وتزيده من أيدينا وفارقنا ولا والله ما اعتذر الينا مما ركبنا به الى الساعة ولم ار من يجعل الآسي جنة في المنع الا هو والا ما كان من أبي مازن الى جبل العمى وكان جبل خرج ليلا من موضع كان فيه فخاف الطائف ولم يأمن المستقفي فقال لو دققت الباب على أبي مازن فبت عنده في ادني بيت أو في دهليزه ولم الزمه من مؤنتي شيئا حتى اذا انصدع عمود الصبح خرجت فى أوائل المدلجين فدق عليه الباب دق واثق ودق مدل ودق من يخاف أن يدركه الطائف أو يقفوه المستقفي وفي قلبه عز الكفاية والثقة باسقاط المؤنة فلم يشك أبو مازن انه دق صاحب هدية فنزل سريعا فلما فتح الباب وبصر بجبل بصر

بملك الموت فلما رآه جبل وأجمالا بخير كأنه قال له اني خفت معرة الطائف وعجلة المستقي فلذتُ اليك لابيتَ عندك فتساكر ابو مازن وأراه أن وجومه انما كان بسبب السكر فخلع جوارحه وخبّل لسانه وقال سكرانُ والله انا والله سكران قال له جبل كن كيف شئت نحن في ايام الفصل لا شتاء ولا صيف ولست احتاج الى سطح فأغمّ عيالك بالحر ولستُ احتاج الى لحاف فاكلفك أن تدثرني بالدثار وانا كما ترى ثمل من الشراب شبعان من الطعام ومن منزل فلان خرجت وهو أخصب الناس دخلا وانما اريد أن تدعني أغفي في دهليزك اغفاءة واحدة ثم أقوم في أوائل المبكرين قال أبو مازن وارخى عينيه وفكيه ولسانه ثم قال سكران والله أنا سكران لا والله ما اعقل أين أنا والله إن افهم ما تقول ثم اغلق الباب في وجهه ودخل لا يشك ان عذره قد وضح وانه قد لطف النظر حتى وقع على هذه الحيلة (وان وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب ولفظا معدولا عن جهته فاعلموا انا انما تركنا ذلك لان الاعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده الا أن احكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء واشحاء العلماء كسهل بن هارون واشباهه

﴿ قصة احمد بن خلف ﴾

ومن طياب البخلاء احمد بن خلف اليزيدى ترك أبوه في منزله يوم مات الفى الف درهم وستمائة الف درهم واربعين ومائة الف دينار فاقتسماها هو واخوه حاتم قبل دفنه واخذ احمد وحده الف الف وثلثمائة الف درهم وسبعين الف دينار ذهباً عيناً مثاقيل وازنة جياداً سوى العروض فقلت له وقد ورث هذا المال كله ماأبطأبك الليلة قال لا والله الا انى تعشيت البارحة فى البيت فقلت لأصحابنا لولا انه بعيد العهد بالاكل في بيته وان ذلك غريب منه لما احتاج الى هذا الاستثناء والى هذه الشريطة وأين يتعشي الناس الا فى منازلهم وانما يقول الرجل عند مثل هذه المسئلة لا والله الا أن فلانا حبسني ولا والله الا أن فلانا عزم على فاماأيستثني ويشترط فهذامالا يكون الا على ماذكرناه قبل . (وقال) لى مبتدئا مرة عن غير مشورة وعن غير سبب جرى انظر أن تتخذ لعيالك في الشتاء من هذه المثلثة فانها عظيمة البركة كثيرة النزل وهى تنوب عن الغداء ولها نفخة تغني عن العشاء وكل شئ من الاحساء فهو يغني عن طلب النبيذ وشرب الماء ومن تحسى الحار عرق والعرق يبيض الجلد ويخرج من الجوف وهي تملأ النفس وتمنع من التشهى وهى أيضا تدفئ فتقوم لك في اجوافهم

مقام فحم الكانون من خارج وحسوطاري يغني عن الوقود وعن لبس الحشو والوقود يسود كل شيء وييبسه وهو سريع في الهضم وصاحبه يعرض للحريق ويذهب في ثمنه المال العظيم وشر شيء فيه أن من تعوده لم يدفئه شيء سواه فعليك يا أبا عثمان بالمثلثة واعلم انها لا تكون الا في منازل المشيخة واصحاب التجربة فخذها من حكيم مجرب ومن ناصح مشفق وكان لا يفارق منازل اخوانه واخوانه مخاصيب مناديب اصحاب قمح وترف وكانوا يتحفونه ويدللونه ويفكهونه ويحكمونه ولم يشكوا أنه سيدعوهم مرة وان يجعلوا بيته نزهة ونشوة فلما طال تغافله وطالت مدافعته وعرضوا له بذلك فتغافل صرحوا له فلما امتنع قالوا الجملها دعوة ليس لها أخت فلما بلغ منه ومنهم المجهود اتخذ لهم طعاما خفيفا شهيا مليحا لا ثمن له ولا مؤنة فيه فلما اكلوا وغسلوا أيديهم اقبل عليهم فقال اسئلكم بالله الذي لا شيء أعظم منه أنا الساعة أيسر واغنى أو قبل أن تأكلوا طعامي قالوا ما نشك انك حين كنت والطعام في ملكك أغنى وأيسر قال فانا الساعة أقرب الى الفقر أم تلك الساعة قالوا بل أنت الساعة أقرب الى الفقر قال فمن يلومني على ترك دعوة قوم قربوني من الفقر وباعدوني من الغنى وكلما دعوتهم أكثر كنت من الفقر اقرب ومن الغنى أبعد وفي قياسه هذا ان من رأيه أن يهجر كل من

استسقاه شربة ماء أو تناول من حائطه لَبِنَة ومن خِلال دابته عوداً أو مرّ
باصحاب الجِداء وذلك في زمان التوليد فاطمعه الزمان في الرخص
وتحركت شهوته على قدر امكانه عنده فبعث غلاماً له يقال له نُفَيع وهو
معروف ليشتري له جدياً فوقف غير بعيد فلم يلبث ان رجع الغلام بحضرته
وهو يشير بيده ويومئ برأسه ان اذهب ولا تقف فلم يبرح فلما دنا منه
قال ويلك تهزأ بي كأني مطلوب قال هذا اطرف الجدي بعشرة انت
من ذي البابة مر الآن مر مر فاذا غلامه يرى ان من المنكر ان يشتري
جدي بعشرة دراهم والجدي بعشرة انما ينكر عندنا بالبصرة لكثرة الخير
ورخص السعر فاما في العساكر فان انكر ذلك منكر فانما ينكره من
طريق رخصه وقلة ثمنه لا لغير ذلك ولا تقولوا الآن قد والله أساء أبو
عثمان الى صديقه بل ما تناوله بالسوء حتى بدأ بنفسه ومن كانت هذه
صفته وهذا مذهبه فغير مأمون على جليسه واي الرجال المهذب. هذا
والله الشبوع والتبوع والبذاء وقلة الوفاء اعلموا اني لم التمس بهذه
الاحاديث عنه الا موافقته وطلب رضاه ومحبته ولقد خفت ان اكون
عند كثير من الناس دسيساً من قبله وكميناً من كمنائه وذلك أن احب
الاصحاب اليه ابلغهم قولاً في اياس الناس مما قبله وابعدهم حسماً
للاسباب الطمع في ماله على اني ان احسنت بجهدي فسيجمل شكري

موقوفاً وان جاوز كتابي هذا حدود العراق شُكِرَ وَالِا أمْسِكَ لان شهرته بالقبيح عند نفسهِ في هذا الاقليم قد اغناه من التنويه والتنبيه على مذهبه وكيف وهو يرى ان سهل بن هارونَ واسماعيل بن غزوانَ كانا من المسرفين وان الثوري والكندي يستوجبان الحَجْر وبلغني انه قال لولم تعرفوا من كرامة الملائكة على الله إلّا أنه لم يبتليهم بالنفقة ولا بقول العيال هاتِ لعرفتم حالهم ومنزلتهم ﴿وحدثني﴾ صاحب لي قال دخلتُ على فلان بن فلان واذا المائدة موضوعةٌ بعدُ واذا القوم قد اكلوا ورفعوا ايديهم فمددتُ يدي لآكل فقال اجْهِزْ على الجرحى ولا تعرَّض للاصحاء يقول إعْرض للدجاجة التي قد نيل منها والفرخ المنزوع الفخذ فاما الصحيح فلا تعرضْ له وكذلك الرغيف الذي قد نِيلَ منه واصابه بعض المرق وقال لي هذا الرجل اكلنا عنده يوما وابوه حاضر وبني له يجيء ويذهب فاختلف مرارا كلَّ ذلك يرانا نأكل فقال الصبي كم تأكلون لا اطعم الله بطونكم فقال ابوه وهو جد الصبي ابني ورب الكعبة ﴿وحدثني﴾ صاحب مسلحة باب الكرخ قال قال لي صاحب الحمام الا أعجبك بن صالح بن عفان كان يجي كل سحر فيدخل الحمام فاذا غبتُ عن إجّانة النورة مسح عانته وارفاغه ثم يتستر بالمئزر ثم يقوم فيغسله في غمار الناس ثم يجيء بعد في مثل تلك الساعة

فيطلي ساقيه وبعض فخذيه ثم يجلس ويتزر بالمئزر فاذاوجد فضلة غسله ثم يعود فى مثل ذلك الوقت فيمسح قطعة اخري من جسده فلا يزال يطلي فى كل سحر حتي ذهب مني بطلية قال ولقد رأيته وانه في زيق سراويله نورة وكان لايري الطبخ في القدور الشامية ولا تبريد الماء في الجرار الباذرية لان هذه ترشح وتلك تنشف ﴿ حدثني ﴾ أبو الجهجاه النوشرواني قال حدثني ابو الاحوص الشاعر قال كنا نفطر عند الباساني فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقي على فراشه ويقول انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولاشكوراً

﴿ حديث خالد بن يزيد ﴾

وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة هو خالويه المكدي وكان قد بلغ فى البخل والتكدية وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها احد وكان ينزل في شق بنى تميم فلم يعرفوه فوقف عليه ذات يوم سائل وهو فى مجلس من مجالسهم فادخل يده فى الكيس ليخرج فلسا وفلوس البصرة كبار فغلط بدرهم بغلى فلم يفطن حتى وضعه فى يد السائل فلما فطن استرده واعطاه الفلس فقيل له هذا لا نظنه يحل وهو بعد قبيح قال قبيح عند من انى لم اجمع هذا المال بعقولكم فافرقه بعقولكم ليس هذا من مساكين الدراهم هذا من مساكين الفلوس والله ما أعرفه الا بالفراسة قالوا وانك لتعرف

المكدين قال وكيف لا اعرفهم وانا كنت كاخان فى حداثة سنى ثم لم يبق فى الارض مخطرانى ولا مستعرض الاقفية ولا شحاذ ولا كاغانى ولا بانوان ولا قرسي ولا عواء ولا مشعب ولا فلور ولا مزيدى ولا اسطيل الا وقد كان تحت يدي ولقد أكلت الزكورى ثلاثين سنة ولم يبق في الارض كبي ولا مكد الا وقد أخذت العرافة عليه حتى خضع لى اسحاق فقال المراء ينجويه شعر الجمل وعمرو القوقيل وجعفر كردى وكلاك وفرناوره وحمويه عين الفيل وشهرام حمار ايوب وسعدويه نال امه وانما أراد بهذا توبيخهم من ماله حين عرف حرصهم وجشعهم وسوء جوارهم وكان قاصا متكلما بليغا داهيا وكان أبو سليمان الاعور وابو سعيد المدائنى القاصان من غلمانه وهو الذى قال لابنه عند موته إني قد تركت لك ما تأكله إن حفظته وما لا تأكله ان ضيعته ولما أورثتك من العرف الصالح واشهدتك من صواب التدبير وعودتك من عيش المقتصدين خير لك من هذا المال وقد دفعت اليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة ثم ان لم يكن لك معين من نفسك لما انتفعت بشيء من ذلك بل يعود ذلك النهي كله اغراء لك وذلك المنع تهجينا لطاعتك قد بلغت فى البر منقطع التراب وفى البحر اقصى مبلغ السفن

فلا عليك الا ترى ذا القرنين ودع عنك مذاهب ابن شرية فانه لا يعرف الا ظاهر الخبر ولو رآني تميم الداري لأخذ عني صفة الروم ولأنا اهدى من القطا ومن دعيميص ومن رافع المخش اني قد بت بالقفر مع الغول وتزوجت السعلاة وجاوبت الهاتف وزغت عن الجن الى الجن واصطدت الشق وجاوبت النسناس وصحبني الرئي وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف والى ما يذهب الخطاط والعياف وما يقول اصحاب الاكتاف وعرفت التنجيم والزجر والطرق والفكر انه هذا المال لم اجمعه من القصص والكدية ومن احتيال النهار ومكابدة الليل ولا يجمع مثله ابدا الا من معاناة ركوب البحر ومن عمل السلطان أو من كيمياء الذهب والفضة قد عرفت الرأس حق معرفته وفهمت كسر الاكسير على حقيقته ولولا علمي بضيق صدرك ولولا أن اكون سببا لتلف نفسك لعلمتك الساعة الشيء الذي بلغ بقارون وبه تبنكت خاتون والله ما يتسع صدرك عندي لسر صديق فكيف ما لا يحتمله عزم ولا يتسع له صدر وحوز سر الحديث وحبس كنوز الجواهر اهون من خزن العلم ولو كنت عندي مأمونا على نفسك لاجريت الارواح في الاجساد وانت تبصر ما كنت لا تتهمه بالوصف ولا تحققه بالذكر ولكني سألقي عليك علم الادراك وسبك الرخام وصنعة الفسيفساء

وأسرار السيوف القلعية وعقاقير السيوف اليمانية وعمل الفرعوني وصنعة التلطيف على وجهه ان أقامني الله من صرعتي هذه ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين ولا أثق بك وإن كنت لاحقا بالآباء لأني لم ابالغ في محبتك اني قد لابست السلاطين والمساكين وخدمت الخلفاء والمكدين وخالطت النساك والفتاك وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر وحلبت الدهر أشطره وصادفت دهرا كثير الأعاجيب فلولا اني دخلت من كل باب وجريت مع كل ريح وعرفت السراء والضراء حتى مثلت لي التجارب عواقب الامور وقربتني من غوامض التدبير لما أمكنني جمع ما أخلفه لك ولا حفظ ما حبسته عليك ولم احمد نفسي على جمعه كما حمدتها على حفظه لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس قد حفظته عليك من فتنة الأبناء ومن فتنة النساء ومن فتنة الثناء ومن فتنة الرياء ومن أيدي الوكلاء فانهم الداء العياء ولست أوصيك بحفظه لفضل حبي لك ولكن لفضل بغضي للقاضي ان الله جل ذكره لم يسلط القضاة على اموال الاولاد الا عقوبة للاولاد لأن اباه ان كان غنيا قادرا أحب أن يريه غناه وقدرته وان كان فقيرا عاجزا أحب ان يستريح من شينه ومن حمل مؤنته وان كان خارجا من الحالين أحب ان يستريح من مداراته فلاهم شكروا من جمع لهم

وكفاهم ووقاهم وغرسهم ولاهم صبروا على من أوجب الله حقه عليهم والحق لا يوصف عاجله بالحلاوة كما لا يوصف عاجل الباطل بالمرارة فان كنت منهم فالقاضي لك وان لم تكن منهم فالله لك فان سلكت سبيلي صار مال غيرك وديعة عندك وصرت الحافظ على غيرك وان خالفت سبيلي صار مالك وديعة عند غيرك وصار غيرك الحافظ عليك وانك يوم تطمع أن تضيع مالك ويحفظه غيرك لجشع الطمع مخذول الأمل احتال الآباء في حبس الاموال على اولادهم بالوقف فاحتالت القضاة على أولادهم بالاستحجار ما اسرعهم الى اطلاق الحجر والى ايناس الرشد اذا ارادوا الشراء منهم وابطأهم عنهم اذا ارادوا أن تكون اموالهم جائزة لصنائعهم يا ابن الخبيثة انك وان كنت فوق ابناء هذا الزمان فان الكفاية قد سخنتك ومعرفتك بكثرة ما أخلف عند افسدتك وزاد في ذلك ان كنت بكري وعجزتك امك أنا والذهب مالي بجلست قاصا أو طفت في الآفاق كما كنت مكديا اللحية وافرة بيضاء والحلق جهير طل والسمت حسن والقبول على واقع ان سالت عيني الدمع أجابت والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير وصرت محتالا بالنهار واستعملت صناعة الليل أو خرجت قاطع طريق أو صرت للقوم عينا ولهم مجهرا سل عني صعاليك الجبل وزواقيل

الشام ووَسْط الآجام ورؤس الاكراد ومَرَدَة الاعراب وفُتّاك نهر بط ولصوص القفص وسل عني القيقانية والقطرية وسل عني المُتَشَبّهة وذَبّاحي الجزيرة كيف بطشي ساعة البطش وكيف حيلتي ساعة الحيلة وكيف أنا عند الجولة وكيف ثبات جناني عند رؤية الطليعة وكيف تيقظي اذا كنت ربيئة وكيف كلامي عند السلطان اذا أخذت وكيف صبري اذا جلدت وكيف قلة ضجري اذا حبست وكيف رسفاني في القيد اذا أثقلت فكم من ديماس قد نقبته وكم من مطبق قد أفضيته وكم من سجن قد كابدته لم تشهدني وكردويه الاقطع أيام سندان ولا شهدتني في فتنة سرنديب ولا رأيتني أيام حرب المولّيان سل عني الكثيفية والخليدية والخربية والبلالية وبقية أصحاب صخر ومصخر وبقية أصحاب فاس وراس ومقلاس ومن لقي أزهر أبا النقم كان آخر من صادفني حمدويه أبو الارطال وأنا مجيب مردويه بن أبي فاطمة وأنا خلعت بني هانئ وأنا أول من شرب الغربي حارا والبرد باردا وأول من شرب العرق بالكبر وجعل المنقل قرعة وأول من ضرب الشاهبرم على ورق القرع وأول من لعب باليرمع في البدو واسقط الدف المربع من بين الدفاف وما كان النقاب الا هدما حتى نشأت وما كان الاستقفاء الا استلابا حتى بلغت وأنت غلام لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق

حزمك لم تحجمك الضراء ولم تزل في السراء والمال واسع وذرعك ضيق وليس شيء أخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس فانهم شمالك على يمينك وسمعك على بصرك وخف عباد الله على حسب ماترجو الله فاول ماوقع في روعي ان مالي محفوظ علي وان النماء لازم لي وان الله سيحفظ عقبي من بعدي . اني لما غلبتني يوماشهوتي وأخرجت يوما درهما لقضاء وطري ووقعت عيني على سكته وعلى اسم الله المكتوب عليه قلت في نفسي اني اذا لمن الخاسرين الضالين لئن أنا أخرجت من يدي ومن بيتي شيئا عليه لا اله الا الله أخذت بدله شيئا ليس عليه شيء والله ان المؤمن لينزع خاتمه للامر يريده وعليه حسبي الله أو توكلت على الله فيظن انه قد خرج من كنف الله جل ذكره حتى يرد الخاتم في موضعه وانما هو خاتم واحد وانا أريد أن أخرج في كل يوم درهما عليه الاسلام كما هو ان هذا لعظيم ومات من ساعته وكفنه ابنه ببعض خلقانه وغسله بماء البئر ودفنه من غير أن يفرح له أو يلحد له ورجع فلما صار في المنزل نظر الى جرة خضراء معلقة قال أي شيء في هذه الجرة قالوا ليس اليوم فيها شيء قال فاي شيء كان فيها قبل اليوم قالوا سمن قال وما كان يصنع به قالوا كنا في الشتاء نلقي له في البرمة شيئا من دقيق نعمله له فكان ربما برقه بشيء من سمن قال

تقولون ولا تقولون السمن اخو العسل وهل افسد الناس أموالهم الا في السمن والعسل والله انى لولا ان للجرة ثمنا لما كسرتها الا على قبره قالوا فخرج فوق ابيه وما كنا نظن ان فوقه مزيدا * المخطرانى الذي يأتيك في زى ناسك ويريك ان بابك قد قور لسانه من اصله لانه كان مؤذنا هناك ثم يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب فلا ترى له لسانا البتة ولسانه في الحقيقة كلسان الثور وأنا أحد من خدع بذلك ولا بد المخطرانى أن يكون معه واحد يعبر عنه أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته والكاغاني الذي يتجنن ويتصارع ويزبد حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له لشدة ما ينزل بنفسه وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل علته والبانوان الذي يقف على الباب ويسل الغلق ويقول بانوا وتفسير ذلك بالعربية يا مولاى والقرسى الذي يعصب ساقه وذراعه عصبا شديدا ويبيت على ذلك ليلة فاذا تورم واختنق الدم مسحه بشيء من صابون ودم الاخوين وقطر عليه شيئا من سمن وأطبق عليه خرقة وكشف بعضه فلا يشك من رآه ان به الاكلة أو بلية شبه الاكلة والمشعب الذي يحتال للصبي حين يولد بان يعميه أو يجعله اعشم أو اعضد ليسئل الناس به اهله وربما جاءت به امه وابوه ليتولى ذلك منه بالغرم الثقيل لانه يصير حينئذ عقدة وغلة فاما ان يكتسبا به واما

أن يكرياه بكراء معلوم وربما اكروا أولادهم ممن يمضي الي افريقية فيسأل بهم الطريق اجمع بالمال العظيم فان كان ثقة مليئا والأقام بالاولاد والاجرة كفيلا والفلوّر الذي يحتال لخصيتيه حتى يريك انه آدر وربما اراك ان بهما سرطانا أو خراجا أو غربا وربما أري ذلك في دبره أن يدخل فيه حلقوما ببعض الرئة وربما فعلت ذلك المرأة بفرجها والكاغان الغلام المكدى اذا واجر وكان عليه مسحة جمال وعمل العملين جميعا والعواء الذي يسأل بين المغرب والعشاء وربما طرب ان كان له صوت حسن وحلق شجي والاسطيل هو المتعامي ان شاء اراك انه منخسف العينين وان شاء أراك ان بهما ماء وان شاء أراك انه لا يبصر للخسف ولريح السبل والمزيدي الذي يدور ومعه الدريهمات ويقول هذه دراهم قد جمعت لى في ثمن قطيفة فزيدوني فيها رحمكم الله وربما احتمل صبيا على انه لقيط وربما طالب في الكفن والمستعرض الذي يعارضك وهو ذو هيئة وفي ثياب صالحة وكأنه قد هاب من الحياء ويخاف أن يراه معرفة ثم يعترضك اعتراضا ويكلمك خفيا والمقدس الذي يقف على الميت يسأل في كفنه ويقف في طريق مكة على الحمار الميت والبعير الميت يدعي انه كان له ويزعم انه قد أحصر وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والافريقية وتعرف تلك المدن والسكك والرجال

وهو متى شاء كان من افريقيا ومتى شاء كان من أهل فرغانة ومتى شاء كان من أي مخاليف اليمن شاء والمكدي صاحب الكداء والكمي اضيف الى أبي كمب الموصلي وكان عريفهم بعد خالويه سنة على ماء والزكوري هو خبز الصدقة كان على سجني أو على سائل هذا تفسير ماذكر خالويه فقط وهم أضعاف ماذكرنا في العدد ولم يكن يجوز أن تتكلف شيئا ليس من الكتاب في شيء. رفع يحيي بن عبدالله بن خالد ابن امية بن عبدالله بن خالد بن اسيد رغيفا من خوانه بيده ثم رطله والقوم يأكلون ثم قال يزعمون ان خبزي صغار أي ابن زانية يأكل من هذا الخبز رغيفين وكنت أنا وابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام وقطرب النحوي وأبو الفتح مؤدب منصور بن زياد على خوان فلان ابن فلان والخوان من جزعة والغضار صيني ملمع أو خلنجية كيماكية والالوان طيبة شهية وغذية قدية وكل رغيف في بياض الفضة كانه البدر وكانه مرآة مجلوة ولكنه على قدر عدد الرؤس فاكل كل انسان رغيفه الاكسرة ولم يشبعوا فيرفعوا أيديهم ولم يغذوا بشي فيتموا اكلهم والايدي معلقة وانما هم في تنقير وتنتيف فلما طال ذلك عليهم اقبل الرجل على ابي الفتح وتحت القصعة رقاقة فقال ياأبا الفتح خذ ذلك الرغيف فقطعه وقسمه على اصحابنا فتغافل أبو الفتح ثم اعاد عليه

القولَ فتغافل فلما اعاد عليه القولَ الرابعة قال مالك ويلك لا نقطعته بينهم قطع الله اوصالك قال نُبْتَلى على يدي غيري اصلحك الله فخجلناه مرة وضحكنا مرة وما ضحكنا صاحبنا ولا خجّل وزرته انا والمكيّ وكنت أنا على حمارٍ مُكاريٍّ والمكي على حمار مستعار فصار الحمارُ الى أسوأ من حال الزَّوَد فكلّم المكيُّ غلمانه فقال لا أريد منكم التبنَ فما فوقه أسقوه ماء فقط فسقوه ماء بئرٍ فلم يشرب به الحمارُ وقد مات عطشا فاقبل المكيُّ عليه فقال اصلحك الله انهم يسقون حماري ماء بئر ومنزلُ صاحب الحمار على شارع دجلة فهو لا يعرف الا العذب قال فامزجوه له يا غلامُ فمزجوه فلم يشرب به فاعاد المسألةَ فامكنه من أذنِ مَن لا يسمع الا مايشتهي وقال لي مرة يا أخي انّ ناساً من الناس يغمسون اللقمةَ الى اصبارها في المَرِيّ فاقول هؤلاء قوم يحبون الملوحة ولا يحبّون الحامِضَ فما ألبث ان أرى أحدهم يأخذ حرف الجَرْدقة فيغمسها في الخلّ الحاذق ويغرقها فيه وربما رأيت أحدهم يمسكها في الخل بعد التغريق ساعة فاقول هؤلاء قوم يجمعون حب الحموضة الى حب الملوحة ثم لا ألبث ان أراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل والخردل لا يرام قل لي أي شيء طبائع هؤلاء وأي ضرب هم وما دواؤهم وأي شيء علاجهم فلما رأيت مذهبه وحمقه وغلبة البخل عليه وقهره له قلت مالهم عندي

علاج هو انجع فيهم من ان يتمنوا الصباغ كله قال لا والله ان هو غيره وصديق لنا آخر كنا قد ابتلينا بمؤاكلته وقد كان ظن انا قد عرفناه بالبخل على الطعام وهجس ذلك في نفسه وتوهم انا قد تذاكرنا أمره فكان يتزيد في تكثير الطعام وفي اظهار الحرص على أن يؤكل حتى قال من رفع يده قبل القوم غرمناه دينارا فترى بغضه ان غرم دينارا وظاهر لاتمته محتمل في رضا قلبه وما يرجو من نفع ذلك له ولقد خبرني خباز لبعض اصحابنا انه جلده على انضاج الخبز وانه قال على له انضج خبزي الذي يوضع بين يدى واجعل خبز من يأكل معي على مقدار بين المقدارين واما خبز العيال والضيف فلا تقربنه من النار الا بقدر ما يصير العجين رغيفا وبقدر ما يتماسك فقط فكلفه العويص فلما اعجزه ذلك جلده حد الزاني الحر فحدثت بهذا الحديث عبد الله العروضي فقال الم تعرف شأن الجدي ضرب الشواء ثمانين سوطا لمكان الانضاج وذلك انه قال له ضع الجدي في التنور حين تضع الخوان حتى استبطئك في انضاجه وتقول أنت بقي قليل ثم تجيئنا به وكأني قد اعجلتك فاذا وضع بين ايديهم غير منضج احتبست عليهم باحضار الجدي فاذا لم يأكلوه اعدته الى التنور ثم احضرتناه الغد باردا فيقوم الجدى الواحد مقام جديين فجاء به الشواء يوما نضيجا نعمل فيه القوم

فجلده ثمانين جلدة جلد القاذف الحر. حدثني احمد بن المثني عن صديق لي وله ضخم البدن كثير العلم فاشي النلة عظيم الولايات انه اذا دعي على مائدته بفضل دجاجة او بفضل رقاق او غير ذلك رد الخادم مع الخباز الى القهرمان حتى يصك له بذلك الى صاحب المطبخ ولقد رأيته مرة وقد تناول دجاجة فشقها نصفين فالقي نصفها الى الذي عن يمينه ونصفها الى الذي عن شماله ثم قال يا غلام جئني بواحدة رخصة فان هذه كانت عضلة جدا فسخيت ان اقل ماعند الرجلين ان لا يعودا الى مائدته ابدا فوجدتهما قد فخرا علي بما حباهما به من ذلك دوني وكانوا ربما خصوه فوضعوا بين يديه الدراجة السمينة والدجاجة الرخيصة فاطفئت الشمعة في ليلة من تلك الليالي فاعلى الاسوار على بعض مابين يديه واغتنم الظلمة وعمل على ان الليل اخفى للويل فقطن له وما هو بالفطن الا في هذا الباب وقال كذلك الملوك كانت لا تأكل مع السوقة. وحدثني احمد بن المثني انهم كانوا يتعهدون الجرادق التي ترفع عن مائدته فما كان منها ملطخا دلك دلكا شديدا وما كان منها قد ذهب جانب منه قطع بسكين من تراييع الرغيف مثل ذلك لئلا يشك من رآه انهم قد تعمدوا ذلك وما كان من الانصاف والارباع جعل بعضه للثريد وقطع بعضه كالاصابع وجعل مع بعض

القلايا ولقد رأيت رجلاً ضخماً فخم اللفظ فخم المعاني تربية في ظل ملك مع علوّهم ولسان عضب ومعرفة بالغامض من العيوب والدقيق من المحاسن مع شدة تسرّع الى أعراض الناس وضيق صدر بما تعرف من عيوبهم وان ثريدته لبلقاء الا ان بياضها ناصع ولونها الآخر اصهب ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين وكنت قد هممت قبل ذلك ان اعاتبه على الشيء يستأثر به ويخص به وان احتمل ثقل تلك النصيحة وبشاعتها في حظه وفي النظر له ورأيت ان ذلك لا يكون الا من حاق الاخلاص ومن فرط الاخاء بين الاخوان فلما رأيت البلقة هان على التحجيل والغرة ورأيت أن ترك الكلام أفضل وان الموعظة لغو وقد زعم ابو الحسن المدائني أن ثريدة مالك بن المنذر كانت بلقاء واحل ذلك أن يكون باطلا وأما انا فقد رأيت بعيني من هذا الرجل ما أخبرك به وهو شيء لم أره الا فيه ولا سمعت به في غيره ولسنا من تسمية الاصحاب المتهتكين ولا غيرهم من المستورين في شيء اما الصاحب فانا لا نسميه لحرمته وواجب حقه والآخر لا نسميه ليستر الله عليه ولما يجب لمن كان في مثل حاله وانما نسمي من خرج من هاتين الحالين ولربما سمينا الصاحب اذا كان ممن يمازح بهذا كثيرا ورأيناه يتظرف ويجعل ذلك الظرف سلماً الى منع شيئه

﴿ قصة أبي جعفر ﴾

ولم ار مثل أبي جعفر الطرسوسي زار قوما فأكرموه وطيبوه وجعلوا في شاربه وسبلته غالية فحكت بهاشفته العليا فادخل اصبعه فحكها من باطن الشفة مخافة ان يأخذ اصبعه من الغالية شيئا اذا حكها من فوق وهذا وشبهه انما يطيب جدا اذا رأيت الحكاية بعينك لان الكتاب لا يصور لك كل شيء ولا يأتي لك على كنهه وعلى حدوده وحقائقه

﴿ قصة الحزامي ﴾

وأما أبو محمد الحزامي عبدالله بن كاسب كاتب مؤنس وكاتب داود بن أبي داود فانه كان ابخل من برأ الله وأطيب من برأ الله وكان له في البخل كلام وهو أحد من ينصره ويفضله ويحتج له ويدعو اليه وانه رآني مرة في تشرين الاول وقد بكر البرد شيأ فلبست كساء لي قومسيا خفيفا قد نيل منه فقال لي ما أقبح السرف بالعاقل واسمج الجهل بالحكيم ماظننت ان اهمال النفس وسوء السياسة بلغ بك ما أرى قلت وأي شيء أنكرت منا منذ اليوم وما كان هذا قولك فينا بالامس فقال لبسك هذا الكساء قبل أوانه قلت قد حدث من البرد بمقداره ولو كان هذا البرد الحادث في تموز وآب لكان أبانا لهذا الكساء قال ان كان ذاك كذلك فاجعل بدل هذه المبطنة جبة محشوة فانها تقوم هذا المقام

وتكون قد خرجت من الخطا فاما لبس الصوف اليوم فهو اليوم غير جائز قلت ولم قال لان غبار آخر الصيف يتداخله ويسكن في خلله فاذا أمطر الناس ونَدِيَ الهواء وابتلّ كل شئ ابتل ذلك الغبار وانما الغبار تراب الا أنه لُبَاب التراب وهو مالح يتقبّض عند ذلك عليه الكساء وينكرش لانه صوف فينضم أجزاؤه عليه فيأكله أكل القادح ويعمل فيه عمل السوس وهو أسرع فيه من الارضة في الجذوع النجرانية ولكن أخّر لبسه حتي اذا أمطر الناس وسكن الغبار وتلبّد التراب وحط المطر ما كان في الهواء من الغبار وغسله وصفاه فالبسه حينئذ على بركة الله وكان يقع الى عياله بالكوفة كل سنة مرة فيشتري لهم من الحبّ مقدار طبيخهم وقوت سنتهم فاذا نظر الى حب هذا والى حب هذا وقام على سعر اكتال من كل واحد منها كيلة معلومة بالميزان واشتري اثقلها وزنا وكان لا يختار على البلدي والمصلي شيئا الا أن يقارب السعر وكان على كل حال يزرى الميساني الا أن يضطر اليه ويقول هو ناعم ضعيف ونار المعدة شيطان فانما ينبغي لنا أن نطعم الحجر وما اشبه الحجر وقلت له مرة اعلمت ان خبز البلدي ينبت عليه شئ شبيه بالطين والتراب والغبار المترا كم قال حبذا ذلك من خبز وليته قد اشبه الارض باكثر من المقدار وكان اذا كان جديد القميص ومغسوله ثم أتوه بكل

بخور في الارض لم يتبخر مخافة أن يسود دخان العود بياض قميصه فان اتسخ فأتي بالبخور لم يرض بالتبخر واستقصاء ما في العود من القتار حتي يدعو بدهن فيمسح به صدره وبطنه وداخلة ازاره ثم يتبخر ليكون اعلق للبخور وكان يقول حبذا الشتاء فانه يحفظ عليك رائحة البخور ولا يحمض فيه النبيذ ان ترك مفتوحا ولا يفسد فيه مرق ان بقي أياما وكان لا يتبخر الا في منازل اصحابه فاذا كان في الصيف دعا بثيابه فلبسها على قميصه لكيلا يضيع من البخور شيء وقال مرة ان للشيب سهكة وبياض الشعر هو موته وسواده حياته الا ترى ان موضع دبرة الحمار الاسود لا ينبت الا أبيض والناس لا يرضون مناني هذا المسكر الا بالمذاق والالثام والطيب غالٍ وعادته ردية وينبغي لمن كان أيضا عنده ان يحرسه ويحفظه من عياله وان العطار ليختمه على اخص غلمانه به فلست اري شيئاً هو خير من اتخاذ مشط صندل فان ريحه طيبة والشعر سريع القبول منه واقل ما يصنع ان ينفي سهك الشيب فصرنا في حال لنا ولا علينا فكان عطر الحزامي الى أن فارق الدنيا مشط صندل الا أن يطيبه صديق واستلف منه على الاسواري مائة درهم فجاءني وهو حزين منكسر فقلت له انما يحزن من لا يجد بدا من اسلاف الصديق مخافة ان لا يرجع اليه ماله ولا يعد ذلك هبة منه

أو رجل يخاف الشكية فهو ان لم يسلف كرما سلف خوفا وهذا باب الشرة فيه هي قرة عينك وانا واثق باعتزامك وتصميمك وبقلة المبالاة بتبخيل الناس لك فما وجه انكسارك واغتمامك قال اللهم غفرا ليس ذاك بي انما في اني قد كنت اظن أن أطماع الناس قد صارت بمعزل عني وآيسة مني واني قد احكمت هذا الباب واتقنته وأودعت قلوبهم الياس وقطعت اسباب الخواطر فاراني واحد منهم ان من اسباب افلاس المرء طمع الناس فيه لانهم اذا طمعوا فيه احتالوا له الحيل ونصبوا له الشرك واذا يئسوا منه فقد أمن وهذا المذهب من على استضعاف شديد وما اشك انى عنده ممر وابى كبعض من يأكل ماله وهو مع هذا خليط وعشير واذا كان مثله لم يعرفني ولم يتقرر عنده مذهبي فما ظنك بالجيران بل ماظنك بالمعارف أراني انفخ في غير فحم واقدح بزند مصلد ما اخوفني أن أكون قد قصد الى بقوله وما اخوفني أن يكون الله في سمائه قد قصد الى أن يفقرني. قال ويقولون ثوبك على صاحبك أحسن منه عليك فما يقولون ان كان اقصر مني أليس يتخبل في قيصي وان كان طويلا جدا وأنا قصير جدا فلبسه أليس يصير آية للسابلين فمن أسوأ أثرا على صديقه ممن جعله ضحكة للناس

ماينبغي لي أن اكسوه حتي أعلمَ انه فيه مثلي ومتي يتفق هذا والى ذلك محيا ومات . وكان يقول اشتهي اللحم الذي قد تهرأ واشتهي أيضا الذي فيه بعض الصلابة وقلت له مرة ماأشبهك بالذي قال اشتهي لحم دجاجتين قال وما تصنع بذلك القائل هو ذا أنا اشتهي لحم دجاجتين واحدة خلاسية سمينة وأخرى خوارزمية رخصة . وقلت له مرة قد رضيتَ بأن يقال عبدالله بخيل قال لا اعدمني الله هـذا الاسم قلت وكيف قال لا يقال فلان بخيل الا وهو ذو مال فسلم الى المال وادعني باى اسم شئت قلت ولا يقال فلان سخي الا وهو ذو مال فقد جمع هذا الاسم الحمد والمال واسم البخل يجمع المال والذم فقد اخترت اخسهما واوضعهما قال وبينهما فرق قلت فهاته قال في قولهم بخيل تثبيت لاقامة المال في ملكه وفي قولهم سخي اخبار عن خروج المال من ملكه واسم البخيل اسم فيه حفظ وذم واسم السخي اسم فيه تضييع وحمد والمال زاهر نافع مكرم لاهله معز والحمد ريح وسخرية واستماعك له ضعف وفسولة وماأقل غناء الحمد والله عنه اذا جاع بطنه وعري جلده وضاع عياله وشمت به من كان يحسده . وكنا عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر فاتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس فقسمها بيننا فكل ماأخذ منها الحزامي اعطى غيره

فانكرت ذلك من مذهبه ولم اعرف جهة تدبيره فقلت للمكي قد علمت ان الحزامي انما يجزع من الاعطاء وهو عدوه فاما الاخذ فهو ضالته وامنيته وانه لو أعطي افاعي سجستان وثعابين مصر وحيات الاهواز لاخذها اذا كان اسم الاخذ واقعا عليها فسله اراد التفضيل في القسمة قال أنا كاتبه وصداقتي اقدم وماذاك به وان ههنا أمرا ما تقع عليه فلم يلبث ان دخل علينا فسألته عن ذلك فتعصر قليلا ثم باح بسره قال وضيعته أضعاف ربحه وأخذه عندي من أسباب الادبار قلت أول وضائعه احتمال الشكر قال هذا لم يخطر لي قط على بال قلت فهات اذا ما عندك قال أول ذلك كراء الحمال ثم هو على خطر حتى يصير الى المنزل فاذا صار الى المنزل صار سببا لطلب العصيدة والارز والبستندود فان بعته فرارا من هذا صيرتموني شهرة وتركتموني عنده آية وان أنا حبسته ذهب في العصائد واشباه العصائد وجذب ذلك شراء السمن ثم جذب السمن غيره وصار هذا الدبس اضر علينا من العيال وان انا جعلته نبيذا احتجت الى كراء القدور والى شراء الحب والى شراء الماء والى كراء من يوقد تحته والى التفرغ له فان وليت ذلك الخادم اسود ثوبها وغرمنا ثمن الاشنان والصابون وازدادت في الطمع على قدر الزيادة في العمل فان فسد ذهبت النفقة باطلا ولم نستخلف

منها عوضا بوجه من جميع الوجوه لان خَلّ الداذِيّ يخضب اللحم ويغير الطعم ويسود المرق ولا يَصْلح الا للاصطباغ وهذا إذا استحال خلاً وأكثر ذلك أن يَحُولَ عن النبيذ ولا يصير الى الخل وان سَلِمَ وأعوذ بالله وجاد وصفا لم نَجِدْ بداً من شُرْبِهِ ولم تَطِبْ أنفسنا بتركه فان قعدت في البيت أشرب منه لم يمكن الا بترك سُلافِ الفارسيّ المستلِ والدجاج المسمن وجِداءِ كَسْكَر وفاكهة الجبل والنُقْلِ الهَشّ والريحان الغَضّ عند من لا يغيض ماله ولا تنقطع مادّته وعند من لا أُبالي على أيّ فطرته سقطت مع فوتِ الحديث المؤنِسِ والسماع الحسن وعلى أني ان جلست في البيت أشربه لم يكن لي بدٌّ من واحد وذلك الواحد لا بد له من دُرَيهم لحم ومن طَسُّوجِ نُقْلٍ وقيراط ريحان ومن أبزار للقدر ومن حطب للوقود وهذا كله غرم وهو بعد هذا شؤم وحُرْفة وخروج من العادة الحسنة فان كان ذلك النديم غير موافق فاهل الحبس أحسن حالا مني وان كان وأعوذ بالله موافقا فقد فتح الله على مالي بابا من التلف لانه حينئذ يسير في مالي كسيرى في مال من هو فوقي واذا علم الصديق أن عندي داذيا أو نبيذا دق الباب دق المدل فان حجبناه فبلاء وان ادخلناه فشقاء وإن بَدالي في استحسان حديث الناس كما يستحسنه مني من أكون عنده فقد شاركت المسرفين وفارقت اخواني من

المصلحين وصرت من اخوان الشياطين فاذا صرت كذلك فقد ذهب كسبي من مال غيري وصار غيري يكتسب مني وأنا لو ابتليت باحدهما لم اقم له فكيف اذا ابتليت بان أعطي ولا آخذ أعوذ بالله من الخذلان بعد العصمة ومن الحور بعد الكور لو كان هذا في الحداثة كان اهون هذا الدوشاب دسيس من الحرفة وكيد من الشيطان وخدعة من المحسود وهو الحلاوة التي تعقب المرارة ما اخوفني أن يكون ابو سليمان قد مل منادمتي فهو محتال لي الحيل وكنا مرة في موضع حشمة وفي جماعة كثيرة والقوم سكوت والمجلس كبير وهو بعيد المكان مني واقبل على المكي وقال والقوم يسمعون فقال يا أبا عثمان من أبخل اصحابنا قلت أبو الهذيل قال ثم من قال صاحب لنا لا أسميه قال الحزامي من بعيد انما يعنيني ثم قال حسدتم للمقتصدين تدبيرهم ونماء أموالهم ودوام نعمتهم فالتمستم تهجينهم بهذا اللقب وادخلتم المكر عليهم بهذا النبز تظلمون المتلف لماله باسم الجود ادارة له عن شينه وتظلمون المصلح لماله باسم البخل حسدا منكم لنعمته فلا المفسد ينجو ولا المصلح يسلم قال أبو عبيدة بلغ خالد بن عبد الله القسري ان الناس يرمونه بالبخل على الطعام فتكلم يوما فما زال يدخل كلاما في كلام حتى ادخل الاعتذار من ذلك في عرض كلامه فكان مما احتج به في شدة رؤية

الاكيل عليه وفي تقوره منه ان قال نظر خالد المهزول في الجاهلية يو
الى ناس ياكلون والى ابل تجتر فقال لاصحابه أتروني بمثل هذه العين
التي أري بها الناس والابل قالوا نعم فحلف بالله أن لا ياكل بقلا وا
مات هزالا وكان يغتذى اللبن ويصيب من الشراب فأضمره ذلك
وايبسه فلما دق جسمه واشتد هزاله سمي المهزول ثم قال خالد هاا
ذا مبتلي بالمضغ ومحمول على تحريك اللحيين ومضطر الى مناسبة البها
ومحتمل ما في ذلك من الخسف والعجز ما أبالى احتملته فيمن لي منه ب
ولى عنه مذهب ليأكل كل امرئ في منزله وفي موضع أمنه وانس
ودون ستره وبابه هذا ما بلغنا عن خالد بن عبد الله القسري واحتجاج
فاما خالد المهزول فهو أحد الخالدين وهما سيدا بني أسد وفيه وفي
خالد بن نضلة يقول الاسود بن يعفر

وقبلك مات الخالدان كلاهما عميد بني جحوان وابن المضلل

﴿ قصة الحارثي ﴾

وقيل للحارثي بالامس والله انك لتصنع الطعام فتجيده وتعظم
عليك النفقة وتكثر منه وانك لتغالى بالخباز والطباخ والشواء
والخباص ثم أنت مع هذا كله لا تشهده عدوا لتغمه ولا وليا فتسره
ولا جاهلا لتعرفه ولا زائرا لتعظمه ولا شاكرا لتثبته وأنت تعلم حين

يتنحى من بين يديك ويغيب عن عينيك فقد صار نهبا مقسما ومتوزعا مستهلكا فلو احضرته من ينفع شكره ويبقي على الايام ذكره ومن يمتعك بالحديث الحسن والاستماع ومن يتـد به الاكل ويقصر به الدهر لكان ذلك أولى بك واشبه بالذي قدمته يداك وبعد فلم تبيح مصون الطعام لمن لا يحمدك ومن ان أحمدك لم يحسن أن يحمدك ومن لا يفصل بين الشهي الغذي وبين الغليظ الزهم قال يمنعني من ذلك ما قال أبو الفاتك قالوا ومن أبو الفاتك قال قاضي الفتيان واني لم آكل مع أحد قط الا رأيت منه بعض ماذمه وبعض ماشنعه وقبحه فشيء يقبح بالشطار فما ظنك به اذا كان في أصحاب المروآت وأهل البيوتات قال فما قال أبو الفاتك قال قال أبو فاتك الفتي لا يكون نشافا ولا نشالا ولا مرسالا ولا لكاما ولا مصاصا ولا نفاضا ولا دلاكا ولا مقورا ولا مغربلا ولا محلقما ولا مسوغا ولا مبلعما ولا مخضرا فكيف لو رأي أبو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمداد والدفاع والمحول والله اني لافضل الدهاقين حين عابوا الحسو وتقززوا من التمرق وبهرجوا صاحب التمشيش وحين أكلوا بالبارجين وقطعوا بالسكين ولزموا عند الطعام السكتة وتركوا الخوض واختاروا الزمزمة انا والله احتمل الضيف والضيفين ولا احتمل اللطوط ولا الجرديل والواغل

أهون على من الراشن ومن يشك أن الوَحْدَةَ خيرٌ من جليس السوء وان جليسَ السوء خير من اكِيْل السوء لان كل أكيل جليس وليس كل جليس اكيلا فان كان لا بد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة فمع مَن لا يتأثر على بالمخ ولا يَنْتَهِزُ بيضةَ البقيلة ولا يَلْتَهِمُ كَبِد الدجاجة ولا يبادر الى دماغ رأس السلافة ولا يختطف كُلْيةَ الجدى ولا يزدرد قانصة الكركي ولا ينتزع شَاكلةَ الحمل ولا يقع سُرَّةَ الشَصر ولا يعرض لعيون الرؤس ولا يستولي على صدور الدجاج ولا يسابق الى اسقاط الفراخ ولا يتناول الا ما بين يديه ولا يلاحظ ما بين يدي غيره ولا يتشهى الغرائبَ وَلا يمتحن الاخوان بالامور الثمينة ولا يهتك استار الناس بان يتشهى ما عسي ان لا يكون موجودا وكيف تصلح الدنيا وكيف يطيب العيش مع من اذا رأى جزورية التقط الاكباد والاسنمة واذا عاين بقرية استولى على المرق والقطنة وان أتوا بجنب شواءا اكتسح كل شيء عليه لا يرحم ذا سن لضعفه ولا يرق على حَدث لحدة شهوته ولا ينظر للعيال ولا يبالى كيف دارت بهم الحال وان كان لا بد من ذلك فمع من لا يجعل نصيبَه فى مالى أكثر من نصيبي واشد من كل ما وصفنا وأخبث من كل ما عددنا أن الطباخ ربما أتي باللون الطريف وربما قدم الشيء الغريب والعادة فى مثل ذلك اللون أن يكون لطيف

الشخص صغير الحجم وليس كالطفشيلية ولا كالهريسة ولا كالفجلية ولا كالكرنبية وربما عجل عليه فقدمه حاراً ممتنماً وربما كان من جوهر بطيء الفتور واصحابي في سهولة ازدراد الحار عليهم في طباع النعام وأنا في شدة الحار على في طباع السباع فان انتظرت الى أن يمكن أتوا على آخره وان بدرت مخافة الفوت واردت أن اشاركهم في بعضه لم آمن ضرره والحار ربما قتل وربما أعقم وربما ابال الدم ثم قال هذا على الاسواري أكل مع عيسى بن سليمان بن على فوضعت قدامهم سمكة عجيبة فائقة السمن فحاط بطنها لحظه فاذا هو يكتنز شحما وقد كان غص بلقمة وهو لمستسق ففرغ من الشراب وقد غرف من بطنها كل انسان منهم بلقمته غرفة وكان عيسى ينتخب الاكلة ويختار منهم كل منهوم فيه ومفتون به فلما خاف على الاسواري الاخفاق واشفق من الفوت وكان اقربهم اليه عيسى استلب من يده اللقمة باسرع من خطفة البازي وانحدار العقاب من غير أن يكون اكل عنده قبل مرته فقيل له ويحك استلبت لقمة الامير من يده وقد رفعها اليه وشحا لها فاه من غير مؤانسة ولا ممازجة سالفة قال لم يكن الامر كذلك وكذب من قال ذلك ولكنا اهوينا أيدينا معا فوقعت يدي في مقدم الشحمة ووقعت يده في مؤخر الشحمة معا والشحم

ملتبس بالامعاء فلما رفعنا أيدينا معا كنت أنا أسرع حركة وكانت الامعاء متصلة غير متباينة فتحول كل شيء كان فى لقمته بتلك الجذبة الى لقمتى لاتصال الجنس بالجنس والجوهر بالجوهر وانا كيف اؤاكل أقواما يصنعون هذا الصنع ثم يحتجون له بمثل هذه الحجج. ثم قال انكم تشيرون على بملابسة شرار الخلق وانذال الناس وبكل عياب متعقب ووثاب على اعراض الناس متسرع وهؤلاء لم يرضوا أن يدعوهم الناس ولا يدعوا الناس وان يأكلوا ولا يطعموا وان يتحدثوا عن غيرهم ولا يبالون ان يتحدث عنهم وهم شرار الناس ثم قال اجلس معاوية وهو في مرتبة الخلافة وفي السطح من قريش وفي نبل الهمة واصابة الرأي وجودة البيان وكمال الجسم وفى تمام النفس عند الجولة وعند تقصف الرماح وتقطع السيوف رجلا على مائدته مجهول الدار غير معروف النسب ولا مذكور بيوم صالح فابصر في لقمته شعرة فقال خذ الشعرة من لقمتك ولا وجه لهذا القول منه الا محض النصيحة والشفقة فقال الرجل وانك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعرة لاجلست لك على مائدة ماحييت ولا حكيتها عنك مابقيت فلم يدر الناس أي أمرى معاوية كان أحسن واجمل تغافله عنه ام شفقته عليه فكان هذا جزاؤه منه وشكره له ثم قال وكيف اطعم من ان رأيته

يقصر في الاكل فقلت له كل ولا تقصر في الاكل قام ولم يفطن لفضل ما بين التقصير وغيره وان قصر فلم انشطه ولم احثه قال لولا انه وافق هواه . ثم قال ومد رجل من بني تميم يده الى صاحب الشراب يستسقيه وهو على خوان المهلب فلم يره الساقي فلم يفطن له ففعل ذلك مرارا والمهلب يراه وقد أمسك عن الاكل الى أن يسيغ لقمته بالشراب فلما طال ذلك على المهلب قال اسقه ياغلام ما أحب من الشراب فلما سقاه استقله وطلب الزيادة منه وكان المهلب أوصاهم بالاقلال من الماء والاكثار من الخبز قال التميمي انك لسريع الى السقي سريع الى الزيادة وحبس يده عن الطعام فقال المهلب إله عن هذا أيها الرجل فان هذا لا ينفعك ولا يضرنا أردنا أمرا وأردت خلافه . وقد علمت انى دون معاوية ودون المهلب بن أبي صفرة وانهم الى أسرع وفي الحي ارتع ثم قال وفي الجارود بن أبي سبرة لكم واعظ وفى أبي الحارث جمين زاجر فقد كانا يدعيان الى الطعام والى الاكرام لظرفهما وحلاوتهما وحسن حديثهما وقصر يومهما وكانا يتشهيان الغرائب ويقترحان الطرائف ويكلفان الناس المؤن الثقال ويمتحنان ماعندهم بالكلف الشداد فكان جزاؤهم من احسانهم ماقد علمتم قال ومن ذلك ان بلال ابن أبي بردة كان رجلا عيابا وكان الى اعراض الاشراف متسرعا

فقال للجارود كيف طعام عبد الله بن أبي عثمان قال يعرف وينكر قال فكيف هو عليه قال يلاحظ اللقم وينهر السائل قال فكيف طعام سلم بن قتيبة قال طعام ثلاثة وان كانوا أربعة جاعوا قال فكيف طعام تسنيم بن الحواري قال نقط العروس قال فكيف طعام المنجاب بن أبي عبينة قال يقول لا خير في ثلاث اصابع في صحفة حتى أتى على عامة أهل البصرة وعلى كل من كان يؤثره بالدعوة وبالانسة والخاصة ويحكمه في ماله فلم ينج منه الا من كان يعده كما لم يبتل به الا من كان يقربه وهذا أبو شعيب القلال في تقريب مويس له وانسه به وفي احسانه اليه مع سخائه على المأكول وغض طرفه عن الاكيل وقلة مبالاته بالحفظ وقلة احتفاله بجمع الكثير سئل عنه أبو شعيب فزعم أنه لم ير قط اشح منه على الطعام قيل وكيف قال يدلك على ذلك إنه يصنعه صنعة ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمس فضلا على غير ذلك وكيف يجتري الضرس على افساد ذلك الحسن ونقض ذلك النظم وعلى تفريق ذلك التأليف وقد علم ان حسنه يحشم وان جماله يهيب منه ولو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجنن فحول احسانه اساءة وبذله منعا واستدعاءه اليه نهيا قال ثم قيل لابي الحارث جمين كيف وجه محمد بن يحيي على غدائه قال اما عيناه فعينا مجنون وفل فيه أيضا لو كان

في كفه كرخردل ثم لعب به لعب الاولى بالاكرة لما سقطت من بين اصابعه حبة واحدة وقيل له أيضا فكيف سخاؤه على الخبز خاصة قال والله لو القي اليه من الطعام بقدر ما اذا جلس فوق السحاب يؤثر ما تجافى عن رغيف وكان أبو نواس يرتع على خوان اسماعيل بن نيبخت كما ترتع الابل في الحمض بعد طول الخلة ثم كان جزاؤه منه انه قال

خبز اسماعيل كالوشي اذا ماشق يرفا

وقال

وما خبزه الا كليب بن وائل ليالي يحمى عزه منبت البقل

وكان أبو شقمق يعيب في طعام جعفر بن أبي زهير وكان له ضيفا في ضيافة جعفر وهو مع ذلك يقول

رأيت الخبز عز لديك حتى حسبت الخبز في جو السحاب

وما روحتنا لتذب عنا ولكن خفت مرزئة الذباب

وقيل للجماز رأيناك في دهليز فلان وبين يديك قصعة وانت تأكل فمن أى شيء كانت القصعة وأى شيء كان فيها قال في كلب في قحف خنزير وقيل لرجل من العرب قد نزلت بجميع القبائل فكيف رأيت خزاعة قال جوع واحاديث ونزل عمرو بن معدى كرب برجل من بني المغيرة وهم اكثر قريش طعاما فأتاه بما حضر وقد كان فيما

أتاه به فضل فقال لعمر بن الخطاب وهم اخوانه لئام بني المغيرة يا أمير المؤمنين قال وكيف قال نزلت بهم فما قروني غير قرنين وكعب ثور قال عمر ان ذلك لشبعة وكم قد رأينا من الاعراب نزل برب صرمة فأتاه بلبن وتمر وحيس وخبز وسمن سلاء فبات ليلته ثم أصبح يهجوه كيف لم ينحر له وهو لا يعرف بعيرا من ذوده او من صرمته ولو نحر هذا البائس لكل كلب مر به بعيرا من مخافة لسانه لما دار الاسبوع الا وهو يتعرض للسابلة يتكفف الناس ويسألهم العلق

وسأل زياد عن رجل من اصحابه فقيل انه لملازم وما يغب غداء الامير فقال زياد فليغبه فان ذلك مما يضر بالعيال فألزموه الغب فلاموا زيادا بذلك وزعموا أنه استثقل حضوره في كل يوم وأراد أن يزجر به غيره فيسقط عن نفسه وعن ماله مؤنة عظيمة وانما كان ذلك من زياد على جهة النظر للعيالات وكما ينظر الراعي للرعية وعلى مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد قال الحسن تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس فجعلتم ذلك عنتا منه وقال يوسف بن عمر لقوامه وانده اعظموا الثريدة فانها لقمة الدرداء فقد يحضر طعامكم الشيخ الذي قد ذهب فمه والصبي الذي لم ينبت فيه واطعموه ما تعرفون فانه انجع وأشفى للقوم فقلتم انما أراد العجلة ولراحة بسرعة الفراغ

وان يكيدهم بالثريد ويملأ صدورهم بالعُرَاقَ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الطعام الثريد ومَثَّلَ عائشةَ فى النساء مثل الثريد فى الطعام ولعظم صنعة الثريد فى أعينِ قريش سمّوا عمرو بن عبد مناف بهاشم حين هشم الخبز واتخذ منه الثريد حتى غلب عليه الاسم المشتق له من ذلك وقال عوف بن القَعْقَاع لِمَوْلَاهُ اتخذ لنا طعاما يُشبع فضله أهل الموسم قلّم فلما رأى الخبز الرقاق والغلاظ والشواء والالوان واستطراف الناس للون بعد اللون ودوام اكلهم لدوام الطرف وان ذلك لوكان لونا واحدا لكان أقل لاكلهم قال فهلا فعلته طعام يد ولم تجعله طعام يدين فقلّم اتسع ثم ضاق حين أراد اطعامَهم الثريد والحيس وكل ما يؤكل بيد دون يدين والقعقاعُ عربى كره لمولاه أن يرغبَ من طعام العرب الى طعام العجم وأراد دوام قومه على مثل ماكانوا عليه وعلى أن الثروة تُتْخِمهم وتفسدهم وان الذي فتح عليهم من باب التُرفَه أشد عليهم مما غلق عليهم من باب فضول اللذة وقد فعل عمرُ من جهة التأديب اكثر من ذلك حين دُعى الى عُرسٍ فرأىَ قدرا صفراءَ وأخرى حمراءَ وواحدة مُرّة واخرى حلوة وواحدة مُحَمَّضَةً فكازها كلها فى قدر عظيمة وقال ان العرب اذا أكلت هذا قتل بعضها بعضا (تفسير كلام أبى فاتك) أما قوله الفتي لا يكون نشالا

(فالنشال) عنده الذى يتناول من القدرويأكل قبل النضج وقبل ان تنزل القدر ويتتام القوم (والنشاف) الذى يأخذ حرف الجردقة فيفتحه ثم يغمسه في رأس القدر ويشربه الدسم يستأثر بذلك دون أصحابه (والمرسال) رجلان أحدهما اذا وضع في فمه لقمة هريسة أو ثريدة أو حيسة أو أرزّة أرسلها فى جوف حلقه ارسالا والوجه الآخر هو الذى اذا مشي فى أشب من فسيل أوشجر قبض على رأس السعفة أوعلى رأس الغصن لينتحيها عن وجهه واذاقضي وطره أرسلها من يده فهى لامحالة تصك وجه صاحبه الذى يتلوه لا يحفل بذلك ولا يعرف مافيه واما (اللكام) فالذى فى فيه اللقمة ثم يلكمها باخري قبل اجادة مضغها أو ابتلاعها (والمصّاص) الذى يمص جوف قصبة العظم بعدان استخرج مخه واستأثر به دون أصحابه واما (النفّاض) فالذى اذافرغ من غسل يده في الطست نفض يديه من الماء فنضح على اصحابه واما (الدلّاك) فالذى لايجيد تنقية يديه بالاشنان ويجيد دلكها بالمنديل وله ايضا تفسير آخر وليس هو الذى نظنّه وهو مليح وسيقع فى موضعه ان شاء الله والمقوّر الذي يقور الجرادق ويستأثر بالاوساط ويدع لاصحابه الحروف (والمغربل) الذي يأخذ وعاء الملح فيديره ادارة الغربال ليجمع ابازيره يستأثر

دون أصحابه لا يبالي ان يدع ملحهم بلا ابزار (والمحلقم) الذي يتكلم واللقمة قد بلغت حلقومه تقول لهذا قبيح دع الكلام الى وقت مكانه (والمسوّغ) الذي يعظم اللقم فلا يزال قد غص ولا يزال يسيغه بالماء (والمُبلِّم) الذي اخذ حروف الرغيف أو يغمز ظهر التمرة بابهامه ليحملان له من الزبد والسمن ومن اللِّبإ واللبن ومن البيض النيمبرشت أكثر (والمخضر) الذي يدلك يده بالاشنان من الغَمَر والوَدَك حتى اذا اخضر واسودّ من الدَّرَن دلك به شفته هذا تفسير ماذكر الحارثي من كلام أبي فاتك فأماذكره هو فان (اللطاع) معروف وهو الذي يلطع اصبعه ثم يعيدها في مرق القوم أو لبنهم أو سويقهم وما أشبه ذلك (والقطاع) الذي يعض على اللقمة فيقطع نصفها ثم يغمس النصف الآخر في الصِّباغ (والنهاش) وهو معروف وهو الذي ينهش اللحم كما ينهش السبع (والمدّاد) الذي ربّما عض على العَصَب التي لم تَنضَج وهو اعدها بفيه ويده تو ترها له فربما قطعها بنتره فيكون لها انتضاح على ثوب المؤاكل وهو الذي اذا أكل مع اصحابه الرُطَب أو التمر أو الهريسة أو الأرزّة فاتى على ما بين يديه مد ما بين أيديهم اليه (والدفاع) الذي اذا وقع في القصعة عظم فصار مما يليه نحاه بلقمته من الخبز حتى

تصير مكانه قطعة من لحم وهو في ذلك كانه يطلب بلقمته تشريب المرق دون اراغية اللحم (والمحول) هو الذي اذا رأي كثرة النوى بين يديه احتال له حتى يخلطه بنوى صاحبه واما ما ذكره (الضيف) (والضيفن) فان الضيفن ضيف الضيف وانشد ابو زيد

بيت اذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفنٌ

فأودى بما يقري الضيوفَ الضيافنُ

يقول الاكيل لا يكون الا بالمماينة وقد يكون الضيف وان كان معه الضيفن لا يؤاكل من أضافه يقول فاكل الكثير من حيث لا اراه أهونُ عليّ واما قوله (الواغل) اهون على من الراشن فانه يزعم ان طفيلي الشراب اهون على من طفيلي الطعام وقول الناس فلان طفيلي ليس من اصول كلام العرب ليس كالراشن واللعموظ واهل مكة يسمونه البرقي وكان بالكوفة رجل من بني عبد الله بن غطفان يسمى طفيل كان أبعد الناس نجعة في طلب الولائم والاعراس فقيل له لذلك طفيل العرائس وصار ذلك نبزاله ولقبا لا يعرف بغيره فصار كل من كانت تلك طعمته يقال له طفيلي هذا من قول أبي اليقظان ثم قال الحارثي واعجب من كل عجب واطرف من كل طريف انكم تشيرون على باطعام الاكلة ودفعي الى الناس مالي وانتم اترك لهذا

مني فان زعمتم اني اكثر مالاً واعدعدة فليس من حالي وحالكم في التقارب ان أطعم أبدا وانتم تأكلون ابدا فاذا أبيتم في اموالكم من البذل والاطعام على قدر احتمالكم عرفت بذلك ان الخير أردتم والى تربيتي ذهبتم والا فانكم انما تحلبون حلباً لكم شطره بل أنتم كما قال الشاعر

يُحِبُّ الخمرَ من مال النَّدامى ويكره أن يفارقه الفلوسُ

ثم قال والله انى لولم اترك مؤاكلة الناس واطعامهم الا لسوء رعة على الاسوارى لتركته وماظنكم برجل نهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه وهو لا يعلم فعل ذلك عند ابراهيم بن الخطاب مولى سليمان وكان اذا أكل ذهب عقله وجحظت عينه وسكر وسدر وانبهر وتربد وجهه وغضب ولم يسمع ولم يبصر فلما رأيت مايعتريه وما يعتري الطعام منه صرت لا آذن له الا ونحن نأكل التمر والجوز والباقلاء ولم يفجأني قط وأنا آكل تمرا الا استفه سفا وحساه حسوا وذرا به ذروا ولا وجده كثيرا الا تناول القصعة كجمجمة الثور ثم يأخذ بحضنيها ويقلها من الارض ثم لا يزال ينهشها طولاً وعرضا ورفعا وخفضاً حتى يأتي عليها جميعا ثم لا يقع غضبه الا على الانصاف والاتلاف ولم يفصل تمرة قط من تمرة وكان صاحب جمل ولم يكن يرضى بالتفاريق

ولا رمى بنواة قط ولا نزع قمعا ولا نقي عنه قشرا ولا فتشه مخافة السوس والدود ثم ما رأيته قط الا وكانه طالب ثأر وشحشحان او صاحب طائلة وكانه عاشق مغتلم او جائع مقرور والله يا اخوتي لو رأيت رجلا يفسد طين الردغة ويضيع ماء البحر لصرفت عنه وجهي فاذا كان اصحاب النظر واهل الديانة والفلسفة هذه سيرتهم وهكذا ادبهم فما ظنكم بمن لا يمدّ مايمدون ولا يبلغ من الادب حيث يبلغون

قصة الكندي

حدثني عمرو بن نهيوى قال كان الكندي لا يزال يقول للساكن وربما قال للجاران في الدار امرأة بها حمل والوحمى ربما اسقطت من ريح القدر الطيبة فاذا طبختم فردّوا شهوتها ولو بغرفة او لعقة فان النفس يردّها اليسير فان لم تفعل ذلك بعد اعلامي اياك فكفارتك ان اسقطت غرة عبد او امة الزمت ذلك نفسك ام ابيت قال فكان ربما يوافي الى منزله من قصاع السكان والجيران ما يكفيه الايام وان كان اكثرهم يفطن ويتغافل وكان الكندي يقول لعياله انتم احسن حالا من ارباب هذه الضياع انما لكل بيت منهم لون واحد وعندكم الوان (قال) وكنت اتغدى عنده يوما اذ دخل عليه جار له وكان الجار لي صديقا فلم يعرض عليه الغداء فاستحييت انا

منه فقلت لو اصبتَ معنا مما ناكل قال قد والله فعلتُ قال الكندي ما بَعْدُ الله شيء قال فكَتّفَهُ والله يا ابا عثمان كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا وتركه ولو اكل لشهد عليه بالكفر ولكان عنده قد جعل مع الله شيئا قال عمرو بينا انا ذاتَ يوم عنده اذ سمع صوت انقلاب جَرَّة من الدار الاخري فصاح اي قِصَافِ فقالت مجيبة له بئر وحياتك فكانت الجارية في الذكاء اكثر منه في الاستقصاء قال معبد نزلنا دار الكندي اكثر من سنة نروج له الكراء ونقضي له الحوائج ونفي له بالشرط قلت قد فهمتُ ترويج الكراء وقضاء الحوائج فما معنى الوفاء بالشرط قال في شرطه على السكان أن يكون له روثُ الدابة وبعر الشاة ونُشْوار العَلُوفة وان لا يخرجوا عظما ولا يخرجوا كُساحة وأن يكون له نوى التمر وقشور الرمان والغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى في بيته وكان في ذلك يتنزل عليهم فكانوا لطيبه وافراط بخله وحسن حديثه يحتملون ذلك . قال معبد فبينا أنا كذلك إذ قدم ابن عم لي ومعه ابن له اذا رُقعة منه قد جاءتني ان كان مقام هذين القادمين ليلة أو ليلتين احتملنا ذلك وان كان اطماع السكان في الليلة الواحدة يجر علينا الطمع في الليالي الكثيرة فكتبتُ اليه ليس مقامهما عندنا الا شهرا أو نحوه فكتب الى ان دارك بثلاثين درهما وأنتم ستة لكل رأس خمسة

فاذ قد زدتَ رجلين فلابد من زيادة خمسين فالدار عليك من يومك هذا باربعين فكتبت اليه وما يفترك من مقامهما وثقل أبدانهما على الارض التي تحمل الجبال وثقل مؤونتهما على دونك فاكتبُ الى بعذرك لاعرفه ولم أدرِ انى اهجمُ على ماهجمتُ وانى أقعُ منه فيما وقعتُ فكتبَ إليَّ الخصال التي تدعوالى ذلك كثيرة وهي قائمة معروفة من ذلك سرعة امتلاء البالوعة وما في تنقيتها من شدة المؤنة ومن ذلك ان الاقدامَ اذا كثرت كثر المشي على ظهور السطوح المطينة وعلى ارض البيوت المجصصة والصعود على الدرج الكثيرة فينقشر لذلك الطين وينقلع الجص وينكسر العتب مع انثناء الاجذاع لكثرة الوطء وتكسرها لفرط الثقل واذا كثر الدخول والخروج والفتح والاغلاق والاقفال وجذب الاقفال تهشمت الابواب وتقلعت الرزّات واذا كثر الصبيان وتضاعف البؤش نزعت مسامير الابواب وقلعت كل ضبّة ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة وحفر فيها آبار الدّدن وهشّموا بلاطها بالمداحي هذا مع تخريب الحيطان بالاوتاد وخشب الرفوف واذا كثر العيال والزوار والضيفان والندماء احتيج من صب الماء واتخاذ الحبية القاطرة والجرار الراشحة الى أضعاف ما كانوا عليه فكم من حائط قد تأكّل اسفله وتناثر اعلاه واسترخى اساسه وتداعى

بنيانه من قطر حب ورشح جر ومن فضل ماء البئر ومن سوء التدبير وعلى قدر كثرتهم يحتاجون من الخبيز والطبيخ ومن الوقود والتسخين والنار لا تبقي ولا تذر وانما الدور حطب لها وكل شئ فيها من متاع فهو أكل لها فكم من حريق قد أتى على أصل النعمة فكلفتم اهلها اغلظ النفقة وربما كان ذلك عند غاية العسرة وشدة الحال وربما تعدت تلك الجناية الى دور الجيران والى مجاورة الابدان والاموال فلو ترك الناس حينئذ رب الدار وقد ربليته ومقدار مصيبته لكان عسى ذلك أن يكون محتملا ولكنهم يتشاءمون به ولا يزالون يستثقلون ذكره ويكثرون من لائمته وتعنيفه نعم ثم يتخذون المطابخ في العلالي على ظهور السطوح وان كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع مع ما في ذلك من الخطار بالانفس والتغرير بالاموال وتعرض الحرم ليلة الحريق لاهل الفساد وهجومهم مع ذلك على ستر مكتوم وخبي مستور من ضيف مستخف ورب دار متوار ومن شراب مكروه ومن كتاب مهم ومن مال جم أريد دفنه فأعجل الحريق اهله عن ذلك فيه ومن حالات كثيرة وأمور لا يحب الناس أن يعرفوا بها ثم لا ينصبون التنانير ولا يمكنون للقدور الاعلى متن السطح حيث ليس بينها وبين القصب والخشب الا الطين الرقيق والشئ لا يقي هذا مع خفة المؤنة في احكامها وأمن القلوب

من المتآلف بسببها فان كنتم تقدمون على ذلك منا ومنكم وانتم ذاكرون فهذا عجب وان كنتم لم تحفلوا بما عليكم في أموالنا ونسيتم ما عليكم في أموالكم فهذا أعجب ثم ان كثيرا منكم يدافع بالكراء ويماطل بالاداء حتى اذا جمعت اشهر عليه فرّ وخلى أربابها جياعا يتندمون على ماكان من حسن تقاضيهم واحسانهم فكان جزاؤهم وشكرهم اقتطاع حقوقهم والذهاب باقواتهم ويسكنها الساكن حين يسكنها وقد كسحناها ونظفناها لتحسن في عين المستأجر وليرغب فيها الناظر فاذ خرج ترك فيها مزبلة وخرابا لا تصلحه الا النفقة الموجعة ثم لا يدع مترسا الا سرقه ولا سلما الا حمله ولا نقضا الا أخذه ولا برادة الا مضى بها معه ولا يدع دق الثوب والدق في الهاون والمنجان في أرض الدار ويدق على الاجذاع والحواضن والرواشن وان كانت الدار مقرمدة أو بالآجر مفروشة وقد كان صاحبها جعل في ناحية منها صخرة ليكون الدق عليها ولتكون واقية دونها دعاهم التهاون والقسوة والغش والمسولة الى أن يدقوا حيث جلسوا والى أن لا يحفلوا بما أفسدوا لم يعط قط لذلك أرشا ولا استحل صاحب الدار ولا استغفر الله منه في السر ثم يستكثر من نفسه في السنة اخراج عشرة دراهم ولا يستكثر من رب الدار الف دينار في الشراء يذكر ما يصير الينا من غلته ولا يذكر ما يصير اليه

مع كثرته هذا والايام التي تنقض المبرم وتبلي الجدة وتفرق الجمع المجتمع عاملة في الدور كما تعمل في الصخور وتاخذ من المنازل كما تاخذ من كل رطب ويابس وكما تحمل الرطب يابسا هشيما والهشيم مضمحلا ولانهدام المنازل غاية قريبة ومدة قصيرة. والساكن فيها هو كان المتمتع بها والمنتفع بمرافقها وهو الذى ابلى جدتها وخلاها وبه هرمت وذهب عمرها لسوء تدبيره فاذا قسمنا الغرم عند انهدامها باعادتها وبعد ابتدائها وغرم ما بين ذلك من مرمتها واصلاحها ثم قابلنا بذلك ما اخذنا من غلاتها وارتفقنا به من اكرائها خرج على المسكن من الخسران بقدر ماحصل للساكن من الربح الا ان الدراهم التي اخرجناها من النفقة كانت جملة والتى اخذناها على جهة الغلة جاءت مقطعة وهذا مع سوء القضاء والاحواج الى طول الاقتضاء ومع بغض الساكن للمسكن وحب المسكن للساكن لان المسكن يحب صحة بدن الساكن ونفاق سوقه ان كان تاجرا وتحرك صناعته ان كان صانعا ومحبة الساكن أن يشغل الله عنه المسكن كيف شاء ان شاء شغله بعينه وان شاء بزمانه وان شاء بحبس وان شاء بموت ومدار مناه ان يشغله عنه ثم لا يبالى كيف كان ذلك الشغل الا أنه كلما كان أشد كان أحب اليه وكان اجدر ان يامن واخلق لان يسكن وعلى انه فترت سوقه أو كسدت صناعته الح

في طلب التخفيف من أصل الغلة والحطيطة مما حصل عليه من الاجرة وعلى انه ان آتاه الله بالارباح في تجارته والنفاق في صناعته لم يران يزيد قيراطا في ضريبته ولا أن يعجل فلسا قبل وقته ثم ان كانت الغلة صحاحا دفع أكثرها مقطعة وان كانت انصافا وارباعا دفعها قراضة مفتتة ثم لا يدع مزبقا ولا مكحلا ولا زائفا ولا دينارا بهرجا الادسه فيه ودلسه عليه واحتال بكل حيلة وتأتى له بكل سبب فان ردوا عليه بعد ذلك شيئا حلف بالغموس انه ليس من دراهمه ولا من ماله ولا رآه قط ولا كان في ملكه فان كان الرسول جارية رب الدار أفسدها وربما احبلها وان كان غلاما خدعه وربما شطر به هذا مع الاشراف على الجيران والتعرض للجارات ومع اصطياد طيورهم وتمريضنا لشكايتهم وربما استضعف عقولهم وطمع في فسادهم وعيبهم فلا يزال يضرب لهم بالاسلاف ويغريهم بالشهوات ويفتح لهم أبوابا من النفقات ليغنيهم ويربح عليهم حتى اذا استوثق منهم أعجلهم وحزق بهم حتي يتقوه ببيع بعض الدار أو باسترهان الجميع ليربح مع الذهاب بالاصل السلامة مع طول مقامه من الكراء وربما جعله بيعا في الظاهر ورهنا في الباطن فحينئذ يغلظ بهم دون المهلة ويدعيها قبل الوقت وربما بلغ من استضعافه واستثقاله لاداء الكراء أن يدعي أن له شقيصا وان له

بدا ليصير خصما من الخصوم ومنازعا غير غاصب وربما أخذ ومعه امرأة يفجر بها فيجعل استئجار البيوت وتصفح المنازل علة لدخولها والمقام ساعة فيها فاذا استقر فى المنزل قضى حاجته منها ورد المفتاح وربما اكترى المنزل وفيه صرمة فاشترى بعض مايصلحها ثم يتوخى عاملا جيد الكسوة وجيرانا أصحاب آنية وآلة فاذا شغل العامل وغفل اشتمل على كل ماقدر عليه وتركهم يتسكعون وربما استأجر الى جنب سجن لينقب أهله اليه والى جنب صراف لينقب عليه طلبا لطول المهلة والستر ولطول المدة والامن وربما جنى الساكن ما يدعو الى هدم دار المسكن بان يقتل قتيلا أو يجرح شريفا فيأتى السلطان الدار وأربابها اماغيب واما أيتام واما ضعفاء فلا يصنع شيئا دون أن يسويها بالارض وبعد فالدور ملقاة وأربابها منكوبون وملقون وهم أشد الناس اغترارا بالناس وابعدهم غاية من سلامة الصدور وذلك أن من دفع داره ونقضها وساجها وأبوابها مع حديدها وذهب سقوفها الى مجهول لا يعرف فقد وضعها فى مواضع الغرر وعلى عظم الخطر وقد صار في معني المودع وصار المكترى فى موضع المودع ثم ليست الخيانة وسوء الولاية الى شئ من الودائع أسرع منها الى الدور وأيضا أن أصلح السكان حالا من اذا وجد في الدار صرمة فوضوا اليه النفقة

وأن يكون ذلك محسوباله عند الاهلة يقف في البناء ويزيد فى الحساب فما ظنك بقوم هؤلاء أصلحهم وهم خيارهم وأنتم أيضا انما اكتريتم مستغلات غيركم باكثر مما اكتريتموها منه فسيروا فينا كسيرتكم فيهم واعطونا من أنفسكم مثل ماتريدونه منهم وربما بنيتم فى الارض فاذا صار البناء بنيانكم وان كانت الارض لغيركم ادعيتم الشركة وجعلتموه كالاجارة وحتي تصيروه كتلاد مال أوموروث سلف . وجرم آخر وهو انكم اهلكتم أصول أموالنا واخربتم غلاتنا وحططتم بسوء معاملتكم اثمان دورنا ومستغلاتنا حتى سقطت غلات الدور من أعين المياسير وأهل الثروة ومن أعين العوام والحشوة وحتي يدافعوكم بكل حيلة وصرفوا أموالهم فى كل وجه وحتى قال عبيدالله بن الحسن قولا ارسله مثلا وعاد عليناحجة وضررا وذلك انه قال غلة الدار مسئلة وغلة النخل كفاف وانما الغلة غلة الزرع والنسولتين وانما جر ذلك علينا حسن اقتضائنا وصبرنا على سوء قضائكم وانتم تقطعونها علينا وهي عليكم بجملة وتلوونابها وهى عليكم حالة فصارت لذلك غلات الدور وان كانت اكثر ثمنا ودخلا اقل ثمنا واخبث اصلا من سائر الغلات وانتم شر علينا من الهند والروم ومن الترك والديلم اذ كنتم احضر اذي وادوم شرا ثم كانت هذه صفتكم وحليتكم ومعاملتكم فى شيء لا بد لكم منه فكيف كنتم لو

امتحنتم بمالكم عنه مندوحة والوجوه لكم فيه معرضة وانتم فيها بالخيار وليس عليكم طريق الاضطرار وهذا مع قولكم ان نزول دور الكراء أصوب من نزول دور الشراء وقلتم لان صاحب الشراء قد أغلق رهنه وأشرط نفسه وصار بها ممتحنا وبثمنها مرتهنا ومن اتخذ دارا فقد أقام كفيلا لا يخفر وزعيما لا يغرم وان غاب عنها حن اليها وان اقام فيها الزمته المؤن وعرضته للفتن ان اساؤا جواره وانكر مكانه وبعد مصلاه ومات عنه سوقه وتفاوتت حوائجه ورأى انه قد اخطأ في اختيارها على سواها وانه لم يوفق لرشده حين آثره على غيره وان من كان كذلك فهو عبد داره وخول جاره وان صاحب الكراء الخيار في يده والامر اليه فكل دار هي له متنزه ان شاء ومتجر ان شاء ومسكن ان شاء لم يحتمل فيها اليسير من الذل ولا القليل من الضيم ولا يعرف الهون ولا يسام الخسف ولا يحترس من الحساد ولا يداري المتعللين وصاحب الشراء يجرع المرار ويسقى بكأس الغيظ ويكد لطلب الحوائج ويحتمل الذلة وان كان ذا أنفة ان عفا عفا على كظم ولا يوجه ذلك منه الا الى العجز وان رام المكافأة تعرض لاكثر مما انكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق وزعمتم أن نسقط الكراء أهون اذ كان شيئا بعد شيء وان الشدائد اذا

وقت حملة جاءت غامرة للقوة فاما اذا تقطع وتفرق فليس يكترث لهـا الامن يفقدها ويذكرها ومال الشراء يخرج جملة وثلمته في المال واسعة وطعنته نافذة وليس كل خرق يرقع ولا كل خارج يرجع وانه قد أمن من الحرق والغرق وميل اسطوان وانقصاف سهم واسترخاء أساس وسقوط سترة وسوء جوار وحسد مشاكل وانه اما لا يزال في بلاء واما أن يكون متوقعا لبلاء وقلتم ان كان تاجراً فتصريف ثمن الدار في وجوه التجارات أربح وتحويله في أصناف البياعات اكيس وانه لم يكن تاجراً ففي ماوصفناه له ناه وفيما عددنا له زاجر فلم يمنعكم حرمة المساكنة وحق المجاورة والحاجة الى السكنى وموافقة المنزل ان أشرتم على الناس بترك الشراء وفي كساد الدور فساد لأثمان الدور وجراءة للمستأجر واستحطاط من الغلة وخسران في أصل المال وزعمتم انكم قد أحسنتم اليا حين حثثتم الناس على الكراء لما في ذلك من الرخاء والنماء فانتم لم تريدوا نفعنا بترغيبهم في الكراء بل إنما اردتم أن تضرونا بتزهيدكم في الشراء وليس ينبغي أن يحكم على كل قوم الا بسبيلهم وبالذي يغلب عليهم من أعمالهم فهذه الخصال المذمومة كلها فيكم وكلها حجة عليكم وكلها داعية الي تهمتكم وأخذ الحذر منكم وليست له خصلة محمودة ولا خلة فيما بيننا وبينكم

مرضية وقد أرينا كم ان حكم النازلين كحكم المقيمين وان كل زيادة فلها نصيب من الغلة ولو تغافلت لك يا أخا أهل البصرة عن زيادة رجلين لم ابعدك على قدر مارأيت منك أن تلزمني ذلك فيما يتبين حتى يصير كراء الواحد ككراء الالف وتصير الاقامة كالظعن والتفريغ كالشغل وعلى أني لو كنت امسكت عن تقاضيك وتغافلت عن تعريفك ماعليك لذهب الاحسان اليك باطلا ان كنت لا ترى للزيادة قدرا وقدقال الاول

والكفر مخبثة لنفس المنعم

وقال الآخر

تبدلت بالمعروف نكرا وربما تنكر للمعروف من كان يكفر

أنت تطالبني ببغض المنزلة للشيعة وبما بين أهل الكوفة والبصرة وبالعداوة التي بين أسد وكندة وبما في قلب الساكن من استثقال المسكن وسيمين الله عليك والسلام قال اسماعيل بن غزوان لله در الكندي ماكان أحكمه واحضر حجته وانصح جيبه وادوم طريقته رأيته وقد أقبل على جماعة مافيها الامفسد أومن يزين الفساد لاهله من شاعر بوده ان الناس كلهم قدجازوا حد المسرفين الى حدود المجانين ومن صاحب تنقيع واستئكال ومن ملاق متقرب فقال

تسمون من منع المال من وجوه الخطا وحصنه خوفا من الغيلة وحفظه اشفاقا من الذلة بخيلا تريدون بذلك ذمه وشينه وتسمون من جهل فضل الغنى ولم يعرف ذلة الفقر واعطى فى السرف وتهاون بالخطا وابتذل النعمة واهان نفسه باكرام غيره جوادا تريدون بذلك حمده ومدحه فاتهموا على انفسكم من قدمكم على نفسه فان من اخطأ على نفسه فهو اجدر أن يخطئ على غيره ومن اخطأ في ظاهر دنياه وفيما يوجد فى العين كان اجدر أن يخطئ في باطن دينه وفيما يوجد بالعقل فـدحتم من جمع صنوف الخطأ وذممتم من جمع صنوف الصواب فاحذروهم كل الحـذر ولا تأمنوهم على حال قال اسماعيل وسمعت الكندى يقول انما المال لمن حفظه وانما الغني لمن تمسك به ولحفظ المال بنيت الحيطان وغلقت الابواب واتخذت الصناديق وعملت الاقفال ونقشت الرسوم والخواتيم ويعلم الحساب والكتاب فلم يتخذون هذه الوقايات دون المال وأنتم آفته وأنتم سوسه وقارحه وقد قال الاول احرس أخاك الامن نفسه ولـكن احسب انك قد أخذته فى الجواسق وأودعته الصخور ولم يشعر به صديق ولا رسول ولا معين من لك بان لا تكون أشد عليه من السارق واعدى عليه من الغاصب واجعلك قد حصنته من كل يد لا تملكه كيف لك من أن تحصنه من

اليد التي تملكه وهي عليه اقدر ودواعيها اكثر وقد علمنا أن حفظ المال أشد من جمعه وهل أتى الناس الا من انفسهم ثم ثقاتهم والمال لمن حفظه والحسرة لمن اتلفه وانفاقه هو اتلافه وان حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللقب وزعمتم انما سمينا البخل صلاحا والشح اقتصادا كما سمي قوم الهزيمة انحيازا والبذاء عارضة والعزل عن الولاية صرفا والجائر على أهل الخراج مستقصيا بل أنتم الذين سميتم السرف جودا والنفج أريحية وسوء نظر المرء لنفسه ولعقبه كرما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ بمن تعول وأنت تريد أن تغني عيال غيرك بافقار عيالك وتسعد الغريب بشقوة القريب وتتفضل على من لا يمدل عنك ومن لو أعطيته ابدا لا خذ أبدا قد علمتم ماقال صاحبنا الاخي تغلب فانه قال ياأخا تغلب انى والله كنت اجرى ماجرى هذا النيل وأجرى وقد انقطع النيل انى والله لو أعطيتك لما وصلت اليك حتي أتجاوز من هو أحق بذلك منك اني لو امكنت الناس من مالى لنزعوا داري طوبة طوبة انه والله مابقي معي منه الا مامنعته الناس ولكني أقول والله ان لو امكنت الناس من نفسي لادعوا رقي بعد سلب نعمتي. قال اسماعيل وسمعته يقول عجبت لمن قلت دراهمه كيف ينام ولكن لا يستوى

من لم ينم سرورا ومن لم ينم غما. ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصية المرء يوم فقره وحاجته وقبل أن يغرغر الثلث والثلث كثير فاستحسنت الفقهاء وتمني الصالحون أن ننقص من الثلث شيئا لاستكثار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلث ولقوله انك ان تدع عيالك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرحم عيالنا الا بفضل رحمته لنا فكيف تأمرونى أن أوثر انفسكم على نفسي واقدم عيالكم على عيالى وان اعتقد الثناء بدلا من الغنى وان اكنز الريح واصطنع السراب بدلا من الذهب والفضة . قال اسماعيل وسمعته يقول لعياله وأصحابه اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله وعن باكورات الفاكهة فان للنفس عند كل طارف نزوة وعند كل هاجم نزوة وللقادم حلاوة وفرحة وللجديد بشاشة وغرة فانك متى رددتها ارتدت ومتي ردعتها ارتدعت والنفس عزوف ونفور ألوف وما حملتها احتملت وان أهملتها فسدت فان لم تكف جميع دواعيها وتحسم جميع خواطرها فى أول ردة صارت أقل عددا واضعف قوة فاذا أثر ذلك فيها فعظها فى تلك الباكورة بالغلاء والقلة فان ذكر الغلاء والقلة حجة صحيحة وعلة عاملة في الطبيعة فاذا أجابتك فى الباكورة فسمها مثل ذلك فى أوائل كثرتها واضرب نقصان الشهوة ونقصان

قوة الغلبة بمقدار ماحدث لهامن الرخص والكثرة فلست تلقى على هذا الحساب من معالجة الشهوة عندك الا مثل مالقيت منها في نومك حتى تنقضي أيام الفاكهة وأنت على مثل ابتداء حالك وعلى أول مجاهدتك لشهوتك ومتى لم تعد أيضا الشهوة فتنة والهوي عدوا اغتررت بهما وضعفت عنهما وائتمنتها على نفسك وهما احضر عدو وشر دخيل فاضمنوا لى النزوة الاولى أضمن لكم تمام الصبر وعاقبة اليسر وثبات العز في قلوبكم والغنى فى أعقابكم ودوام تعظيم الناس لكم فانه لولم يكن من منفعة الغنى الا أنك لا تزال معظما عندمن لم ينل منك قط درهما لكان الفضل في ذلك بينا والربح ظاهراً ولولم يكن من بركة الثروة ومن منفعة اليسر الا أن رب المال الكثير لو اتصل بملك كبير فى جلسائه من هو أوجب حرمة وأقدم صحبة واصدق محبة وامتع امتاعا وأكثر فائدة وصوابا الا أنه خفيف الحال قليل ذات اليد ثم أراد ذلك الملك أن يقسم مالا أو يوزع بينهم طرفا لجعل حظ الموسر اكثر وان كان في كل شيء دون أصحابه وحظ المخف أقل وان كان فى كل شيء فوق أصحابه قد ذكرنا رسالة سهل بن هارون ومذهب الحزامي وقصص الكندى وأحاديث الحارثى واحتجاجاتهم وطرائف بخلهم وبدائع حيلهم

﴿ قصة محمد بن أبى المؤمل ﴾

قلت لمحمد بن أبي المؤمل أراك تطعم الطعام وتتخذه وتنفق المال تجود به وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح والناس يبخلون من قل عدد خبزه ورأوا أرض خوانه وعلى أني ارى جماجم من يأكل معك اكثر من عدد خبزك وانت لو لم تتكلف ولم تحمل على مالك باجادته والتكثير منه ثم اكلت وحدك لم يلمك الناس ولم يكترثوا لذلك منك ولم يقضوا عليك بالبخل ولا بالسخاء وعشت سليما موفورا وكنت كواحد من عرض الناس وأنت لو لم تنفق الحرائب وتبذل المصون الا وأنت راغب في الذكر والشكر والا لتخزن الاجر فقد صرنا لقلة عدد خبزك من بين الاشياء نرضى لك من الغنيمة بالاياب ومن غنم الحمد والشكر بالسلامة من الذم واللوم فزد في عدد خبزك شيئا فان بتلك الزيادة القليلة ينقلب ذلك اللوم شكرا وذلك الذم حمدا أعلمت انك لست تخرج من هذا الامر بعد الكلفة العظيمة سالما لا لك ولا عليك فانظر في هذا الامر رحمك الله قال يا ابا عثمان انت تخطئ وخطأ العاقل ابدا يكون عظيما وان كان في العذر قليلا لانه اذا اخطأ اخطأ بثقة واحكام فعلى قدر التفكر والتكلف يبعد من الرشاد ويذهب عن سبيل الصواب وما أشك انك قد نصحت

بمبلغ الرأى منك ولكن خف ماخوفتك وانه مخوف بل الذي اصنع أدل على سخاء النفس بالمأكول وادل على الاحتيال ليبالغوا لان الخبز اذا كثر على الموائد ورث ذلك النفس صدوداً ولان كل شيء من المأكول وغير المأكول اذا ملأ العين ملأ الصدر وفي ذلك موت الشهوة وتسكين الحركة ولوأن رجلا جلس على بيدر تمر فائق وعلى كدس كمثرى منعوت وعلى مائة قنوموز موصوف لم يكن اكله الا على قدر استطرافه ولم يكن أكله الاعلى قدر اكله اذا أتى بذلك فى طبق نظيف مع خادم نظيف عليه منديل نظيف وبعد فاصحابنا آنسون واثقون مسترسلون يعلمون أن الطعام لهم اتخذ وان أكلهم له اوفق من تمزيق الخدم والاتباع له ولو احتاجوا لدعوا به ولم يحتشموا منه ولكان الاقل منهم أن يجربوا ذلك المرة والمرتين وأن لا يقضوا علينا بالبخل دون أن يروه فان كانوا محتشمين وقد بسطناهم وساء ظنهم بنا مع مايرون من الكلفة لهم فهؤلاء أصحاب تجن وتسرع وليس فى طاقتي اعتاب المتجني ولارد المتسرع قلت له اني قد رأيت اكلهم في منازلهم وعند اخوانهم وفى حالات كثيرة ومواضع مختلفة ورأيت اكلهم عندك فرأيت شيئا متفاوتا وأمراً متفاقما فاحسب أن البخل عليهم غالب وان الضعف لهم شامل وان سوء الظن يسرع اليهم خاصة

ثم لاتداوى هذا الامر بالامؤنة فيه وبالشيء الذى لاقدرله أوتدع دعاءهم والارسال اليهم والحرص على اجابتهم والقوم ليس يلقون أنفسهم عليك وانما يجيؤنك بالاستحباب منك فان أحببت أن تمتحن ماأقول فدع موأترة الرسل والكتب والتغضب عليهم اذا أبطؤوا ثم انظر قال فان الخبز اذا كثر على الخوان فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التلطخ والتغمير والجردقة الغمرة والرقاقة المتلطخة لا اقدر أن أنظر اليها واستحيي أيضا من اعادتها فيذهب ذلك الفضل باطلا والله لايحب الباطل قلت فان ناسا يأمرون بمسحه ويجعلون الثريدة منه فلو أخذت بزيهم وسلكت سبيلهم أتي ذلك لك على ماتريد ونريد قال أفلست أعلم كيف الثريدة ومن أي شيء هي وكيف أمنع نفسي التوهم وأحول بينهم وبين التذكير ولعل القوم أن يعرفوا ذلك على طول الايام فيكون هذا قبيحا . قلت فتأمر به للعيال فيقوم الحوارى المتلطخ مقام الخشكار النظيف وعلى أن المسح والدلك يأتي على ما تعلق به الدسم قال عيالى يرحمك الله عيالان واحد أعظمه عن هذا وارفعه عنه وآخر لم يبلغ عندى أن يترف بالحوارى قلت فاجعل اذاً جميع خبزك الخشكار فان فضل مابينه وبين الحواري فى الحسن والطيب لا يقوم بفضل مابين الحمد والذم قال فهاهنا رأى هو اعدل الامور

واقصدها وهو انا نحضر هـذه الزيادة من الخبز على طبق ويكون قريبا حيث تناله اليد فلا يحتاج احد مع قربه منه الى ان يدعو به ويكون قربه من يده كثرة على مائدته قلت فالمانع من طلبـه هو المـانع من تحويله فاطمنى واخرج هذه الزيادة من مالك كيف شئت واعلم ان هذه المقايسة وطول هذه المذاكرة اضر علينا مما نهيتك عنه واردتك على خلافه فلما حضر وقت الغداء صوت بغلامه وكان ضخما جهيـر الصوت صاحب تقعير وتفخيم وتشديق وهمز وجزم يامبشر هات من الخبز تمام عدد الرؤس ومن فرض لهم هذه الفريضة ومن جزم عليهم هذا الجزم ارأيت أن لم يشبع أحدهم رغيفه اليس لا بد له من أن يعود على رغيف صاحبه أو يتنحى وعليه بقية ويعلق يده منتظرا للمادة فقد عاد الامر وبطل ماتناظرنا فيه قال لا أعلم الا ترك الطعام البتة أهون علينا من هذه الخصومة قلت هذا مالا شك فيه وقد علمت عندى بالصواب وأخذت لنفسك بالثقة ان وفيت بهذا القول. وكان اكثر مايقول ياغلام هات شيئا من قلية وأقل منها وأعدلنا ماء باردا واكثر منه وكان يقول قد تغير كل شيء من أمر الدنيا وحال عن أمره وتبدل حتى المؤاكلة قاتل الله رجالا كنا نؤاكلهم مارأيت قصعة قط رفعت من بين أيديهم الا وفيها فضل وكانوا يعلمون أن احضار الجدى

انما هو شيء من آثين الموائد الرفيعة وانما جعل كالعاقبة والخاتمة وكالعلامة لليسر والفراغ وانه لم يحضر للتمزيق والتخريب وان أهله لو أرادوا به السوء لقدموه قبل كل شيء لتقع الحدة به بل ما أكل منه اذا جيء به الا العابث والا الذي لو لم يره لقد كان رفع يده ولم ينتظر غيره ولذلك قال أبو الحارث جمين حين رآه لا يمس هذا المدفوع عنه ولولا انه على ذلك شاهد الناس لما قال ما قال ولقد كانوا يتحامون بيضة البقيلة ويدعها كل واحد منهم لصاحبه حتى ان القصعة لقد كانت ترفع وان البيض خاصة لعلى حاله وأنت اليوم اذا أردت أن تمتع عينك بنظرة واحدة منها ومن بيض السلافة لم تقدر على ذلك لا جرم لقد كان تركه ناس كثير ما بهم الا أن يكونوا شركاء من ساءت رعته. وكان يقول الآدام أعداء للخبز واعداها له المالح فلولا أن الله انتقم منه واعان عليه بطلب صاحبه الماء واكثاره منه لظننت انه سيأتي على الحرث والنسل وكان مع هذا يقول لو شرب الناس الماء على الطعام ما اتخموا واقلهم عليه شربا اكثرهم عنه تخما وذلك ان الرجل لا يعرف مقدار ما أكل حتى ينال من الماء وربما كان شبعان وهو لا يدري فاذا ازداد على مقدار الحاجة بشم واذا نال من الماء شيئا بعد شيء عرفه ذلك مقدار الحاجات فلم يزد الا بقدر المصلحة والاطباء يعلمون ما أقول حقا ولكنهم

يعلمون أنهم لو أخذوا بهذا الرأى لتعطلوا ولذهب المكسب و؟
حاجة الناس الى المعالجين اذا صحت ابدنهم وفى قول جميع الناس
انماء دجلة امرأ من الفرات وانماء مهران امرأ من ماء نهر بلخ وفى
قول العرب هذا ماء نمير يصلح عليه المال دليل على أن الماء يجرى
حتى قالوا ان الماء الذي يكون عليه النفاطات امرأ من الماء الذى يكون
عليه القيارات فعليكم بشرب الماء علي الغداء فان ذلك امرأ وكان يقول
مابال الرجل اذا قال ياغلام اسقني ماء أو اسق فلانا ماء أتاه بقلة على
قدر الري فاذا قال اطعمني شيئا أو قال هات لفلان طعاما أتاه من
الخبز بما يفضل عن الجماعة والطعام والشراب اخوان متحالفان
ومتوازران وكان يقول لولا رخص الماء وغلاء الخبز لما كلبوا على الخبز
وزهدوا في الماء والناس أشد شيء تعظيما للمأكول اذا كثر ثمنه أوكان
قليلا في أصل منبته وموضع عنصره هذا الجزر الصافى وهذا الباقلاء
الاخضر العباسي أطيب من كمثرى خراسان ومن الموز البستانى
ولكنهم لقصر همتهم لا يتشهون لاعلى قدر الثمن ولا يحنون الى الشيء
الا على قدر القلة وهذه العوام فى شهوات الاطعمة انما تذهب مع
التقليد أو مع العادة أو على قدر مايعظم عندها من شأن الطعام وأنا لست
أطعم الجزر المسلوق بالخل والزيت والمرى دون الكماة بالزبد والفلفل

لمكان الرخص أو لموضع الاستفضال ولكن لمكان طيبه في الحقيقة ولانه مالح الطبيعة علم ذلك من علم وجهل ذلك من جهل وكان اذا كان في منزله فربما دخل عليه الصديق له وقد كان تقدمه الزائر أو الزائران وكان يستعمل على خوانه من الخدع والمكائد والتدبير مالم يبلغ بعضه قيس بن زهير والمهلب بن أبي صفرة وخازم بن أبي خزيمة وهرثمة بن أعين وكان عنده فيه من الاحتيال مالا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبة وكان كثيرا ماتمسك الخلال بيده ليؤيس الداخل عليه من غدائه فاذا دخل عليه الصديق له وقد عزم على اطعام الزائر والزائرين قبله وضاق صدره بالثالث وان كان قد دعاه وطلب اليه أراد أن يحتال له أو الرابع إن ابتلى كل واحد منهما بصاحبه فيقول عند أول دخوله وخلع نعله وهو رافع صوته بالتنويه وبالتشنيع هات يامبشر لفلان شيئا يطعم منه هات له شيئا ينال منه هات له شيئا اتكالا على خجله أو غضبه أو انفته وطمعا في ان يقول قد فعلت فان اخطأ ذلك الشقي وضعف قلبه وحصر وقال قد فعلت وعلم انه قد احرزه وحصله والقاه وراء ظهره ولم يرض ايضا بذلك حتى يقول باي شيء تغديت فلا بد له من ان يكذب او ينتحل المعاريض فاذا استوثق منه رباطا وتركه لا يستطيع ان يترمرم لم يرض بذلك حتى يقول في

حدثت له كنا عند فلان فدخل عليه فلان فدعاه الى غدائه فامتنع ثم بدا له فقال في طعامكم بقيلة انتم تجيدونها ثم تناوله فلا يزال يزيد في وثاقه وفي سد الابواب عليه وفي منعه البدوات حتي اذا بلغ الغاية قال يامبشر أماإذا تغدي فلان واكتفي فهات لنا شيئانعبث به فاذا وضعوا الطعام أقبل على أشدهم حياء أو على اشدهم اكلافسأله عن حديث حسن أو عن خبر طويل ولا يسأله الا عن حديث يحتاج فيه الى الاشارة باليد أو الرأس كل ذلك ليشغله فاذاهم اكلوا اصدرا اظهر الفتور والتشاغل والتنقر كالشبعان الممتلئ وهو في ذلك غير رافع يده ولا قاطع اكله انما هو النتف بعد النتف وتعليق اليد في خلل ذلك فلابد من أن ينقبض بعضهم ويرفع يده وربما شمل ذلك جماعتهم فاذا علم أنه قد احرزهم واحتال لهم حتي يقلعهم من مواضعهم من حوال الخوان ويعيدهم الى مواضعهم من مجالسهم ابتدأ الاكل فأكل اكل الجائع المقرور وقال انما الاكل تارات والشرب تارات وكان كثيرا مايقول لاصحابه اذا بكرواعليه ثم لاتشرب اقداحا على الريق فانها تقتل الديدان وتخفش لا تفسنا قليلا فانها تأتي على جميع الفضول وتشهى الطعام بعد ساعة وسكره أطيب من سكر الكظة والشراب على المليلة بلاء وهو بعد ذلك دليل على أن نبيذى خالص ومن لم يشرب على الريق فهو نكس في

الفتوة ودعى في اصحاب النبيذ وانما يخاف على كبده من سورة الشراب على الريق من بعد عهده باللحم وهذه الصبحة تغسل عنكم الاوضار وتنفي التخم وليس دواء الخمار الا الشرب بالكبار والاعشى كان أعلم به حيث يقول

وكاس شربت على لذة وأخري تداويت منها بها

وهذا حفظك الله هو اليوم الذى كانوا لا يعاينون فيه لقمة واحدة ولا يدخل أجوافهم من النقل مايزن خردلة وهو يوم سروره التام لانه قد ربح المرزية وتمتع بالمنادمة واشتري مرة شبوطة وهو ببغداد وأخذها فائقة عظيمة وغالى بها وارتفع في ثمنها وكان قد بعد عهده باكل السمك وهو بصري لا يصبر عنه فكان قد اكبر أمر هذه السمكة لكثرة ثمنها ولسمنها وعظمها ولشدة شهوته لها فحين ظن عند نفسه انه قد خلا بها وتفرد باطايبها وحسر عن ذراعيه وصمد صمدها هجمت عليه ومعى السدرى فلما رآه رأي الموت الاحمر والطاعون الجارف ورأى الحتم المقضي ورأي قاصمة الظهر وايقن بالشر وعلم أنه قد ابتلى بالتنين فلم يلبثه السدرى حتى قور السرة بالمبال فاقبل على فقال لى ياابا عثمان السدرى يعجبه السرر فما فصلت الكلمة من فيه حتى قبض على القفا فانتزع الجانبين جميعا فاقبل على فقال والسدرى

يعجبه الاقناء فما فرغ من كلامه الا والسدرى قد اجترف المتن كله فقال ياابا عثمان والسدرى يعجبه المتون ولم يظن ان السدرى يعرف فضيلة ذنب الشبوط وعذوبة لحمه وظن انه سيسلم له وظن معرفة ذلك من الغامض فلم يدر الاوالسدرى قد اكتسح ما على الوجهين جميعا ولولا ان السدرى ابطره واثقله واكمده وملأ صدره وملاءه غيظا لقد كان ادرك معه طرفا لانه كان من الأكلة ولكن الغيظ كان من اعوان السدري عليه فلما اكل السدري جميع اطايبها وبقي هو في النظارة ولم يبق في يده مما كان يأمله في تلك السمكة الا الغيظ الشديد والغرم الثقيل ظن ان فى سائر السمكة مايشبعه ويشفى من قرمه فبذلك كان عزاؤه وذلك هو الذي كان يمسك بارماقه وحشاشات نفسه فلما رأى السدري يفرى الفرى ويلتهم التهاما قال يا اباعثمان السدرى يعجبه كل شئ فتولد الغيظ في جوفه واقلقته الرعدة فخبثت نفسه فما زال يقيء ويسلح ثم ركبته الحمي وصحت توبته وتم عزمه في ان لا يؤاكل رغيبا ابدا ولا زهيدا ولا يشتري سمكة ابدا رخيصة ولا غالية وان أهدوها اليه ان لا يقبلها وان وجدها مطروحة لا يمسها فهذا ماكان حضرني من حديث ابن ابي المؤمل وقد مات عفا الله عنا وعنه

﴿ قصة اسد بن جاني ﴾

فاما اسد بن جاني فكان يجعل سريره فى الشتاء من قصب مقشر لان البراغيث تزلق عن ليط القصب لفرط لينه وملاسته وكان اذا دخل الصيف وحر عليه بيته فأثاره حتى يغرق المسحاة ثم يصب عليه جرارا كثيرة من ماء البئر ويتوطأ حتى يستوي فلا يزال ذلك البيت باردا مادام نديا فاذا امتد به الندى ودام برده بدوامه اكتفي بذلك التبريد صيفته وان جف قبل انقضاء الصيف وعاد عليه الحر عاد عليه بالاثارة والصب وكان يقول خيشتي ارض وماء خيشتي من بئري وبيتي ابرد ومؤنتي اخف وأنا افضلهم أيضا بفضل الحكمة وجودة الآلة وكان طبيبا فاكسد مرة فقال له قائل السنة وبئة والامراض فاشية وأنت عالم ولك صبر وخدمة ولك بيان ومعرفة فمن اين تؤتي فى هذا الكساد قال اما واحدة فانى عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل أن اتطبب لا بل قبل أن اخلق ان المسلمين لا يفلحون فى الطب واسمى اسد وكان ينبغي أن يكون اسمي صليبا ومرايل ويوحنا وبيرا وكنيتى أبو الحارث وكان ينبغي أن تكون أبو عيسي وأبو زكريا وأبو ابراهيم وعلى رداء قطن ابيض وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود ولفظى لفظ عربي وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة اهل جندى سابور قال

الخليل السلولي اقبل على يوما الثوري وكان يملك خمسمائة جريب ما بين كرسي الصدقة الى نهر مرة ولا يشتري الا كل غرة وكل ارض مشهورة بكريم التربة وشرف الموضع والغلة الكثيرة قال فاقبل على يوما فقال لي هل اصطبغت بماء الزيتون قط قال قلت لا والله قال اما والله لو فعلته ما نسيته قال قلت اجل اني والله لو فعلته لما نسيته وكان يقول لعياله لا تلقوا نوى التمر والرطب وتعودوا ابتلاعه وأخذوا حلوقكم بتسويغه فان النوي تعقد الشحم في البطن وتدفئ الكليتين بذلك الشحم واعتبروا ذلك ببطون الصفايا وجميع مايعتلف النوي والله لو حملتم انفسكم على البزر والنوى وعلى قضم الشعير واعتلاف القت لوجدتموها سريعة القبول وقد ياكل الناس القت قداحا والشعير فريكا ونوي البسر الاخضر ونوي العجوة فانما بقيت الآن عليكم عقبة واحدة لو رغبتم في الدفاء لا لتمستم الشحم وكيف لا تطلبون شيئا يغنيكم عن دخان الوقود وعن شناعة العسكر وعن ثقل الغرم والشحم يفرج القلب ويبيض الوجه والنار تسود الوجه أنا اقدر أن ابتلع النوى واعلفه النساء ولكني أقول ذلك بالنظر مني لكم . وكان يقول كلوا الباقلاء بقشوره فان الباقلاء يقول من اكلني بقشوري فقد اكلني ومن اكلني بغير قشوري فانا الذى آكله فما حاجتكم الى أن تصيروا

طعاما لطعامكم واكلا لما جعل اكلا لكم . وكان يمين مالاً عظيما ولم يكن له وارث فكان يسخر ببعضهم فيقول عند الاشهاد قد علمتم انه لا وارث لى فاذا مت فهذا المال لفلان فكان قوم كثير يحرصون على مبايعته لهذا وقد رأيته انا زمانا من الدهر ما رأيته قط الا ونعله فى يده أو يمشي طول نهاره في نعل مقطوعة العقب شديدة على صاحبها قال فهو ذا المجوس يرتعون البصرة وبغداد وفارس والاهواز والدنيا كلها بنعال سندية فقيل له ان المجوسى لا يستحل في دينه المشركة فانت لا تجده ابداً الا حافياً أو لابساً نعلا سندية وانت مسلم ومالك كثير قال فمن كان ماله كثير فلابد له من أن يفتح كيسه للنفقات وللسراق قالوا فليس بين هاتين منزلة . (قال) الخليل جلس الثورى الى حلقة المصلحين فى المسجد فسمع رجلا من مياسيرهم يقول بطنوا كل شيء لكم فانه ابقى ولا مر جعل الله دار الآخرة باقية ودار الدنيا فانية ثم قال ربما رأيت المبطنة الواحدة تقطع أربعة اقمصة والعمامة الواحدة تقطع أربعة أزر ليس ذلك الا لتعاون الطى وترافد الاثناء فبطنوا البواري وبطنو الحصر وبطنوا البسط وبطنوا الابداء بشربة باردة (قال) فقال له الثورى لم أفهم ماقلت الا هذا الحرف وحده قال الخليل حم الثورى وحم عياله وخادمه فلم يقدروا مع شدة الحمي على اكل

الخبز فربح كيلة تلك الايام من الدقيق ففرح بذلك وقال لو كان منزلى
سوق الاهواز أو نطاة خيبر أو وادى الجحفة لرجوت ان استفضل
كل سنة مائة دينار فكان لا يبالى أن يحم هو واهله ابداً بعد أن يستفضل
كفايتهم من الدقيق وكان يقول اذا رأيت الرجل يشتري الجدى
رحمته فان رأيته يشترى الدجاج حقرته فان رأيته يشترى الدراج لم
اباليه ولم اكلمه وانه قال أول الاصلاح وهو من الواجب خصف
النعل واستجادة الطراق وتشحيمها في كل الايام وعقد ذؤابة الشراك
من زي النساك لكيلا يطأ عليه انسان فيقطعه ومن الاصلاح الواجب
قلب خرقة القلنسوة اذا اتسخت وغسلها من اتساخها بعد القلب
واجعلها حبرة فانها مما له مرجوع ومن ذلك اتخاذ قميص الصيف
جبة في الشتاء واتخاذ الشاة اللبون اذا كان عندك حمار واتخاذ الحمار
الجامع خير من غلة الف دينار لانه لرحلك وبه يدرك البعيد من
حوائجك وعليه يطحن فتستفضل عليه ما يربحه عليك الطحان وينقل
عليه حوائجه وحوائجك حتى الحطب ويستقي عليه الماء وهذه كلها
مؤن اذا اجتمعت كانت في السنة مالا كثيرا ثم قال اشهد أن الرفق
يمن وان الخرق شؤم واشتريت ملاءة مذارية فلبستها ماشاء الله رداء

وملحفة ثم احتجت الى طيلسان فقطعتها يعلم الله فلبسته ماشاء الله ثم احتجت الي جبة فجعلته يعلم الله ظهارة جبة محشوة فلبستها ماشاء الله ثم أخرجت ماكان فيها من الصحيح فجعلته مخادا وجعلت قطنها للقناديل ثم جعلت مادون خرق المخاد للقلانس ثم عمدت الى أصح مابقي فبعته من أصحاب الصينيات والصلاحيات وجعلت مالا رقعة له ممحاة لي وللجارية إذا نحن قضينا حاجة الرجال والنساء وجعلت السقاطات وما قد صار كالخيوط وكالقطن المندوف صماما لرؤس القوارير وقد رأيته وسمعت منه في البخل كلاما كثيرا وكان من البصرين ينزل في بغداد مسجد ابن رغبان ولم أر شيخا ذا ثروة اجتمع عنده واليه من البخلاء ما اجتمع له منهم اسماعيل بن غزوان وجعفر بن سعيد وخاقان ابن صبيح وأبو يعقوب الاعور وعبد الله العروضي والحزامى عبد الله بن كاسب وأبو عبد الرحمن هذا شديد البخل شديد المارضة عضب اللسان وكان يحتج للبخل ويوصي به ويدعو اليه وماعلمت أن أحدا جرد في ذلك كتابا إلا سهل بن هارون وأبو عبد الرحمن هذا هو الذي قال لابنه أي بني ان انفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق وانفاق الدوانيق يفتح أبواب الدراهم وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير والعشرات تفتح عليك أبواب المئين والمئون

تفتح عليك أبواب الالوف حتى يأتي ذلك على الفرع والاصل ويطمس على العين والاثر ويحتمل القليل والكثير أى بني إنما صار تأويل الدرهم دار الهم وتأويل الدينار يدنى الى النار الدرهم اذا خرج الى غير خلف والى غير بدل دار الهم على دوانق مخرجة وقيل ان الدينار يدني الي النار لانه إذا أنفقته في غير خلف وأخرج الى غير بدل بقيت محققا معدما وفقيراً مبلطاً فيخرج الخارج ويدعوه الضرورة الى المكاسب الرديه والطعم الخبيثة والخبيث من الكسب يسقط العدالة ويذهب بالمروءة و يوجب الحد ويدخل النار وهذا التأويل الذى تأوله للدرهم والدينار ليس له انما هذا شئ كان يتكلم به عبد الاعلى القاص فكان عبد الاعلى إذا قيل له لم سمي الكلب قلطيا قال لانه قل ولطى وإذا قيل له لم سمى الكلب سلوقيا قال لانه يستل ويلقى واذا قيل له لم سمي العصفور عصفورا قال لانه عصي وفر وعبد الاعلى هذا هو الذى كان يقول في قصصه الفقير رداؤه علقة ومرقته سلبة وجرذقته فلقة وسمكته سلتة في طيب له كثير وبعض المفسرين يزعم ان نوح النبي عليه السلام إنما سمي نوحا لانه كان ينوح على نفسه وإن آدم انما سمى آدم لانه حذي من أديم الارض وقالوا كان لونه في أدمة لون الارض وان المسيح انما سمي المسيح لانه مسح بدهن

البركة وقال بعضهم لانه كان لا يقيم في البلد الواحد وكان كانه ماسح يمسح الارض ثم رجع الحديث الى أعاجيب أبي عبد الرحمن وكان ابو عبد الرحمن يعجب بالرؤس ويحمدها ويصفها وكان لا ياكل اللحم الا يوم أضحى أو من بقية أضحيته أو يكون في عرس أو دعوة أو سفرة وكان يسمى الرأس عرسا لما يجتمع فيه من الالوان الطيبة وكان يسميه مرة الجامع ومرة الكامل وكان يقول الرأس شيء واحد وهو ذو الوان عجيبة وطعوم مختلفة وكل قدر وكل شواء فانما هو شيء واحد والرأس فيه الدماغ فطعم الدماغ على حدة وفيه العينان وطعمها شيء على حدة وفيه الشحمة التي بين أصل الاذن ومؤخر العين وطعمها على حدة على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ وأنعم من الزبد وأدسم من السلاء وفي الرأس اللسان وطعمه شيء على حدة وفيه الخيشوم والغضروف الذي في الخيشوم وطعمها شيء على حدة وفيه لحم الخدين وطعمه شيء على حدة حتي يقسم اسقاطه الباقية ويقول الرأس سيد البدن وفيه الدماغ وهو معدن العقل ومنه يتفرق العصب الذي فيه الحس وبه قوام البدن وانما القلب باب العقل كما أن النفس هي المدركة والعين هي باب الالوان والنفس هي السامعة الذائقة وانما الانف والاذن بابان ولولا أن العقل في الرأس لما ذهب العقل

من الضربة تصيبه وفى الرأس الحواس الخمس وكان ينشد قول الشاعر

اذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكثري

وغودر عند الملتقى ثم سائري

وكان يقول الناس لم يقولوا هـذا رأس الامر وفلان رأس الكتيبة وهو رأس القوم وهم رؤس الناس وخراطيمهم وانفهم واشتقوا من الرأس الرياسة والرئيس وقد رأس القوم فلان الا والرأس هو المثل وهو المقدم وكان اذا فرغ من اكل الرأس عمد الى القحف والى الجبين فوضعه بقرب بيوت النمل والذر فاذا اجتمعت فيه أخذه فنفضه في طست فيها ماء فلا يزال يعيد ذلك في تلك المواضع حتى يقع أصل النمل والذر من داره فاذا فرغ من ذلك القاه فى الحطب ليوقد به سائر الحطب وكان اذا كان يوم الرؤس اقعد ابنه معه على الخوان الا أن ذلك بعد تشرط طويل وبعد أن يقف به على مايريده وكان فيما يقول له اياك ونهم الصبيان وشره الزراع واخلاق النوائح ودع عنك خبط الملاحين والفعلة ونهش الاعراب والمهنة وكل مابين يديك فانما حقك الذى وقع لك وصار أقرب اليك واعلم أنه اذا كان فى الطعام شئ طريف ولقمة كريمة ومضغة شهية فانما ذلك للشيخ المعظم والصبي المدلل ولست واحدا منهما فانت قد تأتى الدعوات والولائم وتدخل

منازل الاخوان وعهدك باللحم قريب اخوانك أشد قرما اليه منك
وانما هو رأس واحد فلا عليك أن تتجافى عن بعض وتصيب بعضا
وأنا بعد أكره لك الموالاة بين اللحم فان الله يبغض أهل البيت
اللحمين وكان يقول اياكم وهذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر وكان
يقول مدمن اللحم كمدمن الخمر . وقال الشيخ ورأى رجلا يأكل
اللحم فقال لحم يأكل لحما اف لهذا عملا وذكر هرم بن قطبة اللحم
فقال وانه ليقتل السباع وقال المهلب لحم وارد على غير قارم هذا الموت
الاحمر وقال الاول أهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر وأهلك
النساء الاحمران الذهب والزعفران أي بنى عود نفسك الاثرة
ومجاهدة الهوي والشهوة ولا تنهش نهش الافاعى ولا تخضم خضم
البراذين ولا تدم الاكل ادامة النعاج ولا تلقم لقم الجمال . قال أبو ذر
لمن بذل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضمون ونقضم
والموعد الله ان الله قد فضلك فجعلك انسانا فلا تجعل نفسك بهيمة
ولا سبعا واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة وقد قال بعض الحكماء
اذا كنت بطينا فعد نفسك فى الزمنى وقال الاعشي

والبطنة يوما تسفه الاحلاما

واعلم أن الشبع داعية البشم وان البشم داعية السقم وإن السقم داعية

للموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة وهو قاتل نفسه وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره وأعجب ان أردت العجب وقد قال الله جل ذكره ولا تقتلوا أنفسكم وسواء قتلنا أنفسنا أو قتل بعضنا بعضا كان ذلك للآية تأويلا أى بنى ان القاتل والمقتول في النار ولو سألت حذاق الاطباء لاخبروك أنّ عامة أهل القبور انما أتوا بالتخم واعرف خطأ من قال اكلة وموتة وخذ بقول من قال رب اكلة تمنع اكلات وقد قال الحسن يا ابن آدم كل فى ثلث بطنك واشرب فى ثلث بطنك ودع الثلث للتفكر والتنفس وقال بكر بن عبد الله المزني ماوجدت طعم العيش حتى استبدلت الخمص بالكظة وحتى لم البس من ثيابى مايستخدمنى وحتي لم آكل الا ما اغسل يدى منه يابنى والله ما أدى حق الركوع ولا وظيفة السجود ذو كظة ولا خشع لله ذو بطنة والصوم مصحة والوجبات عيش الصالحين ثم قال لامر ماطالت أعمار الهند وصحت أبدان الاعراب لله در الحارث بن كلدة حين زعم أن الدواء هو الازم وان الداء هو ادخال الطعام في أثر الطعام أي بنى لم صفت اذهان العرب ولم صدقت أحساس الاعراب ولم صحت أبدان الرهبان مع طول الاقامة في الصوامع وحتى لم تعرف النقرس ولا وجع المفاصل ولا الاورام الا لقلة الرزق من الطعام وخفة الزاد والتبليغ

باليسير أى بنى ان نسيم الدنيا وروح الحياة افضل من أن تبيت كظيظا وأن تكون لقصر العمر حليفا وكيف لا ترغب في تدبير يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح المعا وكثرة المال والقرب من عيش الملائكة أى بنى لم صار الضب أطول شيء عمرا الا لانه انما يعيش بالنسيم ولم زعم الرسول صلى الله عليه وسلم ان الصوم وجاء الا ليجعل الجوع حجازا دون الشهوات افهم تأديب الله فانه لم يقصد به الا الى مثلك أي بنى قد بلغت تسعين عاما مانقص لى سن ولا تحرك لى عظم ولا انتشر لى عصب ولا عرفت دنين أذن ولا سيلان عين ولا سلس بول ما لذلك علة الا التخفيف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وان كنت تحب الموت فلا يبعد الله الا من ظلم.

هذه كانت وصيته في يوم الرؤس وحده فلم يكن لعياله الا التقمم ومص العظم وكان لا يشترى الرأس الا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ وكان لا يشترى الا رأس فتى لوفارة الدماغ لان دماغ الفتي أوفر ويكون مخه انقص ومخ المسن أوفر ودماغه انقص ويزعمون ان للاهلة والمحاق في الادمغة والدماء عملا معروفا وبينها في الربيع والخريف فضلا بينا وتزعم الاعراب والعرب أن النطفة اذا وقعت فى الرحم فى أول الهلال خرج الولد قويا ضخما واذا كان فى المحاق خرج ضئيلا شختا

وأنشد قول الشاعر

لقحت في الهلال عن قبل الطهـ ـر وقد لاح للصباح بشير
ثم نمى ولم ترضع فلوا ورضاع المجح عيب كبير

وكان أبو عبد الرحمن يشترى ذلك الرأس من جميع رآسى بغداد الا من رآسي مسجد ابن رغبان وكان لا يشتريه الا يوم سبت واختلط عليه الامر فيما بين الشتاء والصيف فكان مرة يشتريه فى هذا الزمان ومرة يشتريه في هذا الزمان وأما زهده في رؤس مسجد ابن رغبان فان البصريين يختارون لحم الماعز الخصي على الضأن كله ورؤس الضأن اشحم وألحم وأرخص رخصا وأطيب ورأس التيس اكثر لحما من رأس الخصي لان الخصي من الماعز يرق جلده ويقل لحم رأسه ولا يبلغ جلده وان كان ماعزا فى الثمن عشر ما يبلغ جلد التيس ولا يكون رأسه الا دونا ولذلك تخطاه الى غيره واما اختياره شراء الرؤس يوم السبت فان القصابين يذبحون يوم الجمعة اكثر فتكثر الرؤس يوم السبت على قدر الفضل فيما يذبحون ولان العوام والتجار والصناع لا يقومون الى اكل الرؤس يوم السبت مع قرب عهدهم باكل اللحم يوم الجمعة ولان عامتهم قد بقيت عنده فضلة فهي تمنعه من الشهوة ولان الناس لا يكادون يجمعون على خوان واحد بين الرؤس واللحم واما

اختلاط التدبير عليه فى فرق مابين الشتاء والصيف فوجه ذلك ان العلل كانت تتصور له وتعرض له الدواعى على قدر قرمه وحركة شهوته صيفا وافق ذلك ام شتاء فان اشتراه في الصيف فلان اللحم في الصيف ارخص والرؤس تابعة للحم ولان الناس في الشتاء لها آكل وهم لها في القيظ اترك فكان يختار الرخص على حسن الموقع فاذا قويت دواعيها فى الشتاء قال رأس واحد شتوي كرأسين صيفيين لان المعلوفة غير الراعية وماأكل الكسب في الحبس موثقا غير ماأكل الحشيش فى الصحراء مطلقا وكان على ثقة انه سيأتى عليه في الشتاء مع صحته وبدنه وفي شك من استبقائه فى الصيف ولنقصان شهوات الناس للرؤس فى الصيف كان يخاف جريرة تلك البقية وجناية تلك الفضلة وكان يقول ان أكلتها بعد الشبع لم آمن العطب وان تركتها لهم فى الصيف ولم يعرفوا العلة طلبوا ذلك منى في الشتاء (حدثنى) المكي قال كنت يوما عند العنبري اذ جاءت جارية امه ومعها كوز فارغ فقالت قالت امك بلغني ان عندك مزملة ويومنا يوم حار فابعث الى بشربة منها فى هذا الكوز قال كذبت امي اعقل من أن تبعث بكوز فارغ ونرده ملآن اذهبي فاملئيه من ماء حبكم وفرغيه فى حبنا ثم املئيه من ماء مزملتنا حتى يكون شئ بشئ قال المكي فاذا هو

يريد أن تدفع جوهرا لجوهر بعرض حتى لا تربح امه الاصرف مابين العرضين الذى هو البرد والحر فاماعدد الجواهر والاعراض فثلا بمثل (وقال) المكي دخلت عليه يوما واذاعنده جلة تمر واذا خاثره جالسة قبالته فلما اكل تمرة رمى بنواتها اليها فاخذتها فمصتها ساعة ثم عزلتها فقلت للمكى اكان يدع على النواة من جسم التمر شيئاقال والله لقد رأيتها لاكت نواة مرة بعد أن مصتها فصاح بها صيحة لو كانت قتلت قتيلا ما كان عنده اكثر من ذلك وما كانت الا في أن تناوله الاعراض وتسلم اليه الجوهر وكانت تأخذ حلاوة النواة وتودعها ندوة الريق (قال) الخليل كان أبو قطبة يستغل ثلاثة آلاف دينار وكان من البخل يؤخر تنقية بالوعته الى يوم المطر الشديد وسيل المثاعب ليكتري رجلا واحدا فقط يخرج مافيها ويصبه في الطريق فيجترفه السيل ويؤديه الى القناة وكان بين موضع بئره والصب قدر مائتي ذراع فكان لمكان زيادة درهمين يحتمل الانتظار شهرا أو شهرين وان هو جري فى الطريق وأذى به الناس (وقال) ونظر يوما الى الكساحين وهو معنا جالس في رجال من قريش وهم يخرجون مافى بالوعته ويرمون به فى الطريق وسيل المثاعب يحتمله فقال اليس البط والجداء والدجاج والفراخ والدراج وخبز الشمير والصحناء والكراث

والجواف جميعا يصير الى ماترون فلم يغالي بشيء يصير هو والرّخيص في معني واحد (قال) الخليل وسمعته يقول اياكم والفساء في ثيابكم التي تخرجون فيها وفي لحفكم التي تنامون فيها فان الفساء يدر القمل اني والله مااقول الا بعلم ثم قال علمتم ان الصوت يدبغ قلنا وكيف صار الصوت يدبغ قال الفسوة هي الضرطة بلا صوت وانما تخرجان جميعا من قارورة واحدة فكيف تكون واحدة طيبة وأخري منتنة فهذا الذي يدلكم أن الصوت هو الذى يدبغها قال وهم ثلاثة اخوة أبو قطبة والطيل ويابى من ولد عتاب بن أسيد واحد منهم كان يحج عن حمزة ويقول استشهد قبل أن يحج والآخر كان يضحى عن أبي بكر وعمر و يقول اخطيا السنة في ترك الضحية وكان الآخر يفطر عن عائشة أيام التشريف ويقول غلطت رحمها الله في صومها ايام العيد فمن صام عن ابيه وأمه فانا افطر عن عائشة . (حدثتني) امرأة تعرف الامور قالت كان في الحي مأتم اجتمع فيه عجائز من عجائز الحي فلما رأين ان أهل المأتم قد اقمن المناحة اعتزلن وتحدثن فبيناهن في حديثهن اذ ذكرن بر الابناء بالامهات واتفاقهم عليهن وذكرت كل واحدة منهن مايوليها ابنها فقالت واحدة منهن وام فيلويه ساكنة وكانت امرأة صالحة وابنها يظهر النسك ويدين بالبخل وله حانوت في مقبرة

بنى حصن يبيع فيها الاسقاط (قال) فاقبلت على ام فيلويه قالت لها مالك لاتحدثين معنا عن ابنك كما تتحدثن وكيف صنع فيلويه فيما بينك وبيده قالت كان يجرى على في كل اضحي درهما فقالت وقد نطمه ايضا فقالت لها المرأة وماكان يجرى عليك الادرهما قالت ما كان يجري على الا ذاك ولقد ربما ادخل اضحي في اضحي فقالت فقلت ياام فيلويه وكيف يدخل اضحي في اضحي قد يقول الناس ان فلانا ادخل شهرا في شهر ويوما في يوم فاما اضحى في اضحى فهذا شئ لا يشركه فيه احد

﴿ قصة تمام بن جعفر ﴾

كان تمام بن جعفر بخيلا على الطعام مفرط البخل وكان يقبل على كل من اكل من خبزه بكل علة ويطالبه بكل طائلة وحتي ربما استخرج عليه انه لابن جلاد الدم وكان ان قال له نديم له مافى الارض احد امشى مني ولا على ظهرها احد أقوي على الحضر منى قال وما يمنعك من ذلك وانت تأكل اكل عشرة وهل يحمل الرجل الا البطن لا حمد الله من يحمدك فان قال لا والله ان اقدر ان أمشي لانى اضعف الخلق عنه واني لا تبهر من مشى ثلاثين خطوة قال وكيف تمشي وقد جعلت في بطنك ماتحمله عشرون حمالا وهل ينطلق الناس الا مع

خفة الا كل وأى بطين يقـدر على الحركة وان الكظيظ ليعجز عن الركوع والسجود فكيف بالمشى الكثير فان شكا ضرسه وقال مانمت البارحة مع وجعه وضربانه قال عجبت كيف اشتكيت واحدا وكيف لم تشتك الجميع وكيف بقيت الى اليوم فى فيك حاكة وأى ضرس يقوى على الدرس والطحن والله ان الارحاء السورية لتكل وان المنجاز الغليظ ليتعبه الدق ولقد استبطأت لك هذه العلة ارفق فان الرفق يمن ولا تخرق بنفسك فان الخرق شؤم وان قال لا والله ان اشتكيت ضرسا لى قط ولا تجلجل لى سن عن موضعه منذ عرفت نفسى قال يامجنون لان كثرة المضغ تشد العمور وتقوي الاسنان وتدبغ اللثا وتغذو اصولها واعفاء الاضراس من المضغ يريحها وانما الفم جزء من الانسان وكما ان الانسان نفسه اذا تحرك وعمل قوى واذا طال سكونه تفتخ واسترخي فكذلك الاضراس ولكن رفقا فان الاتعاب ينقص القوة ولكل شئ مقدار ونهاية فهذا ضرسك لا تشتكيه بطنك ايضا لا تشتكيه فان قال والله ان أروى من الماء وما اظن ان في الدنيا احدا أشرب مني للماء قال بد للتراب من ماء وبد للطين من ماء يبله ويرويه أو ليت الحاجة على قدر كثرته وقلته والله لو شربت ماء الفرات مااستكثرته لك مع ما ارى من شدة اكلك وعظم لقمتك

تدرى ماقد تصنع أنت والله تلعب أنت لست ترى نفسك فسل عنك من يصدقك حتى تعلم ان ماء دجلة يقصر عما في جوفك فان قال ما شربت اليوم ماء ألبتة وما شربت أمس بمقدار نصف رطل ومافى الارض انسان أقل شربا منى للماء قال لانك لاتدع لشرب الماء موضعا ولانك تكنز في جوفك كنزالايجدالماء معه مدخلا والعجب لاتتخم لان من لايشرب الماء على الخوان لايدرى مقدار ما اكل ومن جاوز مقدار الكفاية كان حريا بالتخمة فان قال ما أنام الليل كله وقد اهلكنى الارق قال وتدعك الكظة والنفخة والقرقرة أن تنام والله لو لم يكن الاالعطش الذى ينبه الناس لما نمت ومن شرب كثيرا بال كثيرا ومن كان الليل كله بين شرب وبول كيف يأخذه النوم فان قال ماهو الاأن أضع رأسي فانما انا حجر ملقى الى الصبح قال ذلك لان الطعام يسكن ويخدر ويحير ويبل الدماغ ويبل العروق ويسترخى عليه جميع البدن ولوكان في الحق لكان ينبغى أن تنام الليل والنهار فان قال اصبحت وأنا لا اشتهى شيئا قال اياك أن تأكل قليلا ولا كثيرا فان اكل القليل على غير شهوة اضر من الكثير مع الشهوة قال الخوان ويل لى ممن قال لا اريد وبعد وكيف تشتهى الطعام اليوم وأنت قد اكلت بالامس طعام عشرة وكان كثيرا مايقول لندمائه اياكم والاكل

على الخمار فان دواء الخمار الشراب الخمار تخمة والمتخم اذا أكل مات لا محالة واياكم والاكثار في عقب الحجامة والفصد والحمام وعليكم بالتخفيف فى الصيف كله واجتنبوا اللحم خاصة وكان يقول ليس يفسد الناس الا الناس هذا الذى يضرط ويتكلم بالكلام البارد وبالطرف المستنكرة لو لم يصب من يضحك له وبعض من يشكره ويتضاحك له أوليس هو عنده الا أن يظهر العجب به لما ضرط الضارط ولما تكلف النوادر الا أهله قول الناس للاكول النهم وللرغيب الشره فلان حسن الاكل هو الذي اهلكه وزادفي رغبته حتى جعل ذلك صناعة وحتى ربما اكل لمكان قولهم وتقريبهم وتعجبهم مالا يطيقه فيقتل فلا يزال قد هجم على قوم فأكل زادهم وتركهم بلازاد فلو قالوا بدل قولهم فلان حسن الاكل فلان اقبح الناس اكلا كان ذلك صلاحا لفريقين ولا يزال البخيل على الطعام قد دعا الرغيب البطن واتخذ له الطعام الطيب لينفي عن نفسه المقالة وليكذب عن نفسه تلك الظنون ولوكان شدة الضرس يعد فى المناقب ويمدح صاحبه فى المجالس لكانت الانبياء آكل الخلق ولخصهم الله جل ذكره من الرغبة بما لم يعطه أحدا من العالمين وكيف وفي ماثور الحديث ان المؤمن ياكل فى معى واحد وان المنافق ياكل فى سبعة امعاء أولسنا قد نراهم يشتمون بالنهم

وبالرغبة وبكثرة الاكل ويمدحون بالزهادة وبقلة الطعام أوليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم من أدله على الحسناء الفتين وقد ساب رجل أيوب بن سليمان بن عبد الملك فقال فى بعض مايسبه ماتت امك بعرا وأبوك بشما وبعد فهل سمعتم باحد قط فخر بشدة اكل ابيه فقال انا ابن آكل العرب بل قد رأينا اصحاب النبذ والقتيان يمتدحون بكثرة الشرب كما يمتدحون بقلة الرزق ولذلك قالت العرب قال الشاعر

تكفيه فلذة كبد ان ألم بها من الشواء ويروي شربه الغمر

وقال

لا يتأرى لما فى القدر يطلبه ولا تراه أمام القوم يقتفر

وقال

لا يغمز الساق من اين ولا وصم ولا يعض على شرسوفه الصفر

والصفر هي حيات البطون انما تكون من الفضول والتخم ومن الفساد والبشم وشرب مرة النبيذ وغناه المغني فشق قميصه من الطرب فقال لمولى له يقال له المحلول وهو الى جنبه شق أيضا انت ويلك قميصك والمحلول هذا من الآيات قال لا والله لا اشقه وليس لى غيره قال فشقه وانا اكسوك غدا قال فانما اشقه غدا قال انا ما أصنع بشقك

له غدا قال وانا ماارجو من شقه الساعة فلم اسمع بانسان قط يتأيس ويناظر في الوقت الذى انما يشق فيه القميص من غلبة الطرب غيره وغير مولاه محلول . دخل على الاعمى على يوسف بن كل خير وقد تغدى فقال ياجارية هاتى لابى الحسن غداء قالت لم يبق عندنا شي قال هاتى ويلك ما كان فليس من أبى الحسن حشمة ولم يشك على انه سيؤتى برغيف ملطخ وبرقاقة ملطخة وبسكروبقية مرق وبمرق وبفضلة شواء وبقايا مايفضل في الجامات والسكرجات فجاءت بطبق ليس عليه الا رغيف ارز قاحل لاشئ غيره فلما وضعوا الخوان بين يديه فاجال يده فيه وهو اعمى فلم يقع الاعلى ذلك الرغيف وقد علم ان قوله ليس منه حشمة لايكون الامع القليل فلم يظن ان الامر بلغ ذلك فلما لم يجد غيره قال ويلكم ولاكل هذا برة رفعتم الحشمة كلها والكلام لم يقع الاعلى هذا . (حدثني) محمد بن حسان الاسود قال اخبرني زكريا القطان قال كان للغزال قطعة ارض قدام حانوتي فاكرى نصفها من سماك يسقط عنه مااستطاع من مؤنة الكراء (قال) وكان الغزال اعجوبة فى البخل وكان يجئ من منزله ومعه رغيف في كمه فكان اكثر دهره ياكله بلا ادم فاذا اعيي عليه الامر اخذ من ساكنه جوافة بحبة واثبت عليها فلسا فى حسابه فاذا أراد أن يتغدي

اخذ الجوافة فمسحها على وجه الرغيف ثم عض عليه وربما فتح بطن الجوافة فيطر جنبيها وبطنها باللقمة بعد اللقمة فاذا خاف أن ينهكها ذلك وينضم بطنها طلب من ذلك السماك شيئا من ملح السمك فحشا جوفها لينفخها وليوهم ان هذا هو ملحها الذي ملحت به ولربما غلبته شهوته فكدم طرف انفها واخذ من طرف الارنبة مايسيغ به لقمته وكان ذلك منه لايكون الافي آخرها لقمة ليطيب فمه بها ثم يضعها فى ناحية فاذا اشترى من امرأة غزلا ادخل تلك الجوافة فى ثمن الغزل من طريق ادخال العروض وحسبها عليها بفلس فيسترجع رأس المال ويفضل الادم . وروى اصحابنا عن عبد الله بن المقفع (قال) كان ابن جذام الشبي يجلس الى وكان ربما انصرف معي الى المنزل فيتغدي معنا ويقيم الى أن يبردو كنت اعرفه بشدة البخل وكثرة المال فالح على فى الاستزارة وصممت عليه فى الامتناع فقال جعلت فداك انت تظن انى ممن يتكلف وانت تشفق على لا والله ان هي الاكسيرات يابسة وملح وماء الحب فظننت انه يريد اختلابى بتهوين الامر عليه وقلت ان هذا كقول الرجل ياغلام أطعمنا كسرة واطعم السائل خمس تمرات ومعناه أضعاف ماوقع اللفظ عليه وماظن ان أحدا يدعو مثلى الى الحربية من الباطنة ثم يأتيه بكسرات وملح فلماصرت

عنده وقربه الي اذوقف سائل بالباب فقال اطعمونا مما تأكلون أطعمكم الله من طعام الجنة قال بورك فيك فاعاد الكلام فاعاد عليه مثل ذلك القول فاعاد عليه السائل فقال اذهب ويلك فقد ردوا عليك فقال السائل سبحان الله مارأيت كاليوم احدا يرد من لقمة والطعام بين يديه قال اذهب ويلك والا خرجت اليك والله فدققت ساقيك قال السائل سبحان الله ينهي الله أن ينهر السائل وانت تدق ساقيه فقلت للسائل اذهب وارح نفسك فانك لوتعرف من صدق وعيده مثل الذي اعرف لماوقفت طرفة عين بعدرده اياك . وكان أبو يعقوب الذقنان يقول مافاتني اللحم منذملكت المال وكان اذاكان يوم الجمعة اشتري لحم بقر بدرهم واشتري بصلا بدانق وباذنجانا بدانق وقرعة بدانق فاذا كان ايام الجزر فجزرا بدانق وطبخه كله سكباجا فاكل وعياله يومئذ خبزهم بشيء من رأس القدر ومايتقطع في القدر من البصل والباذنجان والجزر والقرع والشحم واللحم فاذا كان يوم السبت ثردوا خبزهم في المرق فاذا كان يوم الاحد اكلوا البصل فاذا كان يوم الاثنين اكلوا الجزر فاذا كان يوم الثلاثاء اكلوا القرع فاذا كان يوم الاربعاء اكلوا الباذنجان فاذا كان يوم الخميس اكلوا اللحم فلهذا كان يقول مافاتني اللحم منذ ملكت المال (قال) اصحابنا نزلنا

بناس من اهل الجزيرة واذا هم في بلاد باردة واذا حطبهم شر حطب واذا الارض كلها غابة واحدة طرفاء فقلنا ما في الارض اكرم من الطرفاء قالوا هو كريم ومن كرمه تمر فقلنا وما الذي ترون منه قالوا دخان الطرفاء يهضم الطعام وعيالنا كثير وقد عاب ناس اهل المازح والديبر بامور منها ان خشكنانهم من دقيق شعير وحشوه الذي فيه من الجوز والسكر من دقيق خشكار وأهل المازح لا يعرفون بالبخل ولكنهم اسوأ الناس حالا فتقديرهم على قدر عيشهم وانما نحكى عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل واليسر وبين خصب البلاد وعيش أهل الجدب فامامن يضيق على نفسه لانه لا يعرف الا الضيق فليس سبيله سبيل القوم (قال) المكى كان لابي عم يقال له سليمان الكثرى سمي بذلك لكثرة ماله وكان يقربني وأناصبي الى أن بلغت ولم يهب لي مع ذلك التقريب شيئا قط وكان قد جاوز في ذلك حد البخلاء فدخلت عليه يوما واذا قدامه قطع دار صيني لا تسوي قيراطا فلما نال حاجته منها مددت يدي لآخذ منها قطعة فلما نظر الى قبضت يدي فقال لا تنقبض وابتسط واسترسل وليحسن ظنك فان حالك عندي على ما تحب فخذه كله فهو لك بزوبره وبحذافيره وهو لك جميعا نفسي بذلك سخية والله يعلم اني مسرور بما وصل اليك من الخير فتركته

بين يديه وقمت من عنده وجعلته وجهي كما انا الى العراق فما رأيته وما رآني حتى مات (وقال) المكي سمعني سليمان وانا انشد شعر امرئ القيس

لنا غنم نسوقها غزار كأن قرون جلتها العصي

فتملأ بيتنا اقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري

قال لو كان ذكر مع هذا شيئا من الكسوة لكان جيدا وهو الذي قال ليحيي بن خالد حين نقب في ابي قبيس وزاد في داره عمدت الى شيخ الجبال فزعزعته وثلمت فيه وقال حين عوتب في قلة الضحك وشدة القطوب ان الذي يمنعني من الضحك أن الانسان أقرب ما يكون من البذل اذا ضحك وطابت نفسه صحبني محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلا فلما صرت قرب منزله وكان منزله اقرب الى مسجد الجامع من منزلي سألني أن أبيت عنده وقال أين تذهب في هذا المطر والبرد ومنزلي منزلك وأنت في ظلمة وليس معك نار وعندي لبأ لم ير الناس مثله وتمر ناهيك به جودة لاتصلح الا له فملت معه فابطأ ساعة ثم جاءني بجام لبأ وطبق تمر فلما مددت قال يا أبا عثمان انه لبأ وغلظة وهو الليل وركودة ثم ليلة مطر ورطوبة وانت رجل قد طعنت في السن ولم تزل تشكو من الفالج طرفا ومازال الغيل يسرع

اليك وانت فى الاصل لست بصاحب عشاء فان اكلت اللبأ ولم تبالغ كنت لاآكلا ولاتاركا وحرشت طباعك ثم قطعت الاكل اشهى ما كان اليك وان بالغت بتنا فى ليلة سوء من الاهتمام بامرك ولم نعدلك نبيذا ولاعسلا وانما قلت هذا الكلام لئلا تقول غدا كان وكان والله قد وقعت بين نابى أسد لاني لولم اجئك به وقد ذكرته لك قلت بخل به وبدا له فيه وان جئت به ولم احذرك منه ولم اذكرك كل ماعليك فيه قلت لم يشفق على ولم ينصح فقد برأت اليك من الامرين جميعا وان شئت فاكلة وموتة وان شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة فما ضحكت قط كضحكى تلك الليلة ولقد اكلته جميعا فما هضمه الا الضحك والنشاط والسرور فيما اظن ولو كان معى من يفهم طيب ماتكلم به لاتي على الضحك أو لقضي على ولكن ضحك من كان وحده لايكون على شطر مشاركة الاصحاب (وقال) أبو القاقم أول الاصلاح ان لا يرد ماصار في يدى لك فان كان ماصار في يدى لى فهو لى وان لم يكن لى فانا احق به ممن صيره فى يدى ومن أخرج من يده شيئا الى يد غيره من غير ضرورة فقد اباحه لمن صيره اليه وتعريفك اياه مثل اباحته وقالت له امرأة ويحك ياأبا القاقم اني قد تزوجت زوجا نهاريا والساعة وقته وليست على هيئة فاشترلى بهذا الرغيف آسا وبهذا الفلس دهنا

قالت تؤجر فعسى الله أن يلقي محبتي فى قلبه فيرزقني على يدك شيئاً
اعيش به فقد والله ساءت حالى وبلغ المجهود مني فاخذها وجعله
وجهه فرآه بعد أيام فقالت سبحان الله اما رحمتني مما صنعت بي قال
ويحك سقط والله منى الفلس فى الفم اكلت الرغيف وتمشق واحدة
فلم يزل يتبعها ويبكي بين يديها حتى رحمته وكانت مكثرة وكان مقلا
فاستهداها هريسة وقال انتم احذق بها فلما كان بعد أيام تشهى عليها
رؤسا فلما كان بعد قليل طلب منها حيسة فلما كان بعد ذلك تشهى عليها
طفشيلة قالت المرأة رأيت عشق الناس يكون فى القلب وفي الكبد
وفى الاحشاء وعشقك أنت ليس يجاوز معدتك . (وقال) ابو الاصبغ
ألح ابو القماقم على قوم عند الخطبة اليهم يسأل عن مال المرأة ويحصيه
ويسأل عنه فقالوا قد اخبرناك بمالها فانت أي شئ مالك قال وما
سؤالكم عن مالى الذى لها يكفيني ويكفيها . سمعت شيخا من
مشايخ الابلة يزعم ان فقراء أهل البصرة أفضل من فقراء أهل الابلة
قلت باي شئ فضلتهم قال هم أشد تعظيما للاغنياء واعرف بالواجب
. ووقع بين رجلين ابليين كلام فاسمع احدهما صاحبه كلاما غليظا فرد
عليه مثل كلامه فرأيتهم قد انكروا ذلك انكاراً شديداً ولم ار لذلك
سببا فقلت لم انكرتم أن يقول له مثل ماقال قالوا لانه اكثر منه مالا

وإنا جوزنا هذا له جوزنا لفقرائنا أن يكافئوا أغنياءنا في هذا الفساد كله . وقال حمدان ابن صباح كيف صار رياح يسمعني ولا أسمعه أفهو اكثر مالا مني ثم سكت (قال) ويكون الزائر من أهل البصرة عند الابلي مقيما مطمئنا فاذا جاء المد قالوا ما رأينا مداً قط ارتفع ارتفاعه وما اطيب السير فى المد والسير في المد الى البصرة أطيب من السير في الجزر الى الابلة فلا يزالون به حتى يرى أن من الرأي أن يغتنم ذلك المد بعينه . كان احمد بن الحاركي بخيلا وكان نفاجا وهذا أغيظ مايكون وكان يتخذ لكل جبة اربعة أزرار ليري الناس أن عليه جبتين ويشترى الاعذاق والمراجين والسعف من الكلا فاذا جاء الحمال الى بابه تركه ساعة يوهم الناس أن له من الارضين مايحتمل أن يكون ذلك كله منها وكان يكتري قدور الخمارين التى تكون للنبيذ ثم يتحرى اعظمها ويهرب من الحمالين بالكراء كي يصيحوا بالباب يشترون الدادى والسكر ويحبسون الحمالين بالكراء وليس له في منزله رطل دبس

وسمع قول الشاعر

رأيت الخبز عز لديك حتي ... حسبت الخبز فى جو السحاب

وما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب

فقال ولم ذب عنهم لعنه الله ما اعلم الا انه شهى اليهم الطعام ونظف

لهم القصاع وفرغهم له وسخرهم عليه ثم الاتركها تقع في قصاعهم وتسقط على آنافهم وعيونهم هو والله أهل لما هو أعظم من هذا * أنت أيضا دون كم ترون من مرة قد امرت الجارية أن تلقي في القصعة الذبابة والذبابتين والثلاثة حتى يتقذر بعضهم ويكفي الله شره (قال) واما قوله رأيت الخبز عز لديك حتى قال فان لم أعز هذا الشئ الذى هو قوام أهل الارض واصل الاقوات وأمير الاغذية فاى شيء أعز اي والله انى أعزه واعزه واعزه مدى النفس ما حملت عينى الماء وبلغ من تفجه مع ذلك * ما خبرنى به ابراهيم بن هانيء قال كنت عنده يوما اذ مر به بعض الباعة فصاح الخوخ الخوخ فقلت وقد جاء الخوخ بعد قال نعم قد جاء وقد اكثرنا منه فدعاني التغيظ عليه الى أن دعوت البياع واقبلت على ابن الحاركي فقلت ويحك نحن لم نسمع به بعد وأنت قد اكثرت منه وقد تعلم أن أصحابنا اترف منك ثم اقبلت على البياع فقلت كيف تبيع الخوخ فقال ستة بدرهم قلت أنت ممن تشتري ست خوخات بدرهم وأنت تعلم انه يباع بعد أيام مائتين بدرهم ثم تقول وقد اكثرنا منه وهذا يقول ستة بدرهم قال وأي شيء ارخص من ستة أشياء بشيء كان غلام صالح بن عفان يطلب منه نفطاً لبيت الحمار بالليل فكان يعطيه كل ليلة ثلاثة افلس والفلوس اربعة طسوج

ويقول طسوج يفضل وحبة تنقص وبينهما يرمي الرامي وكان يقول لابنه تعطى صاحب الحمام وصاحب المعبر لكل واحد منهما طسوجا وهو اذلم يرمك الاثلاثة افلس لم يردك (قال) أبو كعب دعا موسي ابن جناح جماعة من جيرانه ليفطروا عنده في شهر رمضان وكنت فيهم فلما صلينا المغرب ونجز ابن جناح اقبل علينا ثم قال لا تعجلوا فان العجلة من الشيطان وكيف تعجلوا وقد قال الله جل ذكره وكان الانسان عجولا وقال خلق الانسان من عجل اسمعوا ما أقول فان فيما أقول حسن المؤاكلة والبعد من الاثرة والعاقبة الرشيدة والسيرة المحمودة واذا مد أحدكم يده الى الماء فاستسقي وقد أتيتم ببهطة أو بجوذابة أو بعصيدة أو ببعض مايجري فى الحلق ولا يساغ بالماء ولا يحتاج فيه الى مضغ وهو طعام يد لا طعام يدين وليست على أهل اليدمنه مؤنة وهو مما يذهب سريعا فامسكوا حتى يفرغ صاحبكم فانكم تجمعون عليه خصالا منها انكم تنغصون عليه تلك السرعة اذا علم انه لا يفرغ الا مع فراغكم ومنها أنكم تخنقونه ولا يجد بدا من مكافأتكم فلعله أن يتسرع الى لقمة حارة فيموت وأنتم ترونه وادنى ذلك أن تبعثوه على الحرص وعلى عظم اللقم ولهذا ماقال الاعرابي حين قيل له لم تبدأ باكل اللحم الذى فوق الثريد قال لان اللحم ظاعن والثريد مقيم وأنا

وان كان الطعام طعامي فاني كذلك أفعل فاذا رأيتم فعلي مخالف قولي فلا طاعة لي عليكم (قال) أبو كعب فربما نسي بعضنا فمد يده الى القصعة وقد مد يده صاحبه الى الماء فيقول له موسي يدك ياناسي ولولا شيء لقلت لك يامتغافل (قال)واتانا بأرز ولوشاء انسان أن يعد حبها العده لفرقه ولقلته قال فنثروا عليها * لبله من ذلك مقدار نصف سكرة فوقعت ليلتئذ في في قطعة وكنت الى جنبه فسمع صوتها حين مضغتها فضرب يدة على جنبي ثم قال اجرش يا أبا كعب اجرش قلت ويلك اما تتقي الله كيف اجرش جزأ لا يتجزأ

﴿ قصة ابن المقدى ﴾

كان ابن المقدى ربما استزار أصحابه الى البستان وكنت لا أظنه ممن يحتمل قلبه ذلك على حال فسألت ذات يوم بعض زواره فقلت احك لي أمركم قال وتستر على قلت نعم مادمت بالبصرة قال يشتري لنا ارزا بقشره ويحمله معه ليس معه شيء مما خلق الله الا ذلك الارز فاذا صرنا الى أرضه كلف أكاره أن يجشه في مجشة له ثم ذراه ثم غربله ثم جش الواش منه فاذا فرغ من الشراء والحمل ثم من الجش ثم من التذرية ثم من الادارة والغربلة ثم من جش الواش ثم من تذريته ثم من ادارته وغربلته كلف الاكار أن يطحنه على ثوره وفي رحاه

فاذا طحنه كلفه أن يغلي له الماء وأن يحتطب له ثم يكلفه العجن لانه بالماء الحار اكثر نزلا ثم كلف الاكار أن يخبزه وقبل ذلك ما قد كلفهم أن ينصبوا له الشصوص للسمك ويسكروا الدرباجة على صغار السمك لا يدخلوا في السواقي فيدخلوا أيديهم في جحرة الشلابي والرمان فان أصبنا من السمك شيئا جعله كبابا على نار الخبز تحت الطابق حتى لا يحتاج من الحطب الى كثير فلا نزال منذ غدوة الى الليل في كد وجوع وانتظار ثم لا يكون عشاءنا الا خبز أرز أسود غير منخول بالشلابي ولو قدر على غير ذلك فعل قلت له فلم لا يتخذ موضع مذار من بعض زقاق أرضه فيذرى لكم الارز ثم يكون الخيار في يده ان أراد أن يعجل عليكم الطعام أطعمكم الفرد أو ان أحب أن يتأنى ليطعمكم الجوهري قال والله لئن يسمع هذا وعرفه ليتكلفنه الله الله فينا فانا قوم مساكين ولو قدرنا على شئ لم نحتمل هذا البلاء . (حدثني) المكي قال بت عند اسماعيل بن غزوان وانما بيتي عنده حين علم انى تعشيت عند مويس وحملت معى قربة نبيذ فلما مضى من الليل اكثره وركبني النوم جعلت فراشي البساط ومرفقتي يدي وليس في البيت الا مصلى له ومرفقة ومخدة فاخذ المخدة فرمى بها الى فابيتها ورددتها عليه وأبى وأبيت فقال سبحان الله يكون أن تتوسد مرفقك وعندي فضل مخدة

فاخذتها فوضعتها تحت خدى فنعني من النوم انكاري للموضع ويبس فراشي وظن اني قد نمت فجاء قليلا قليلا حتي سل المخدة من تحت رأسي فلما رأيته قد مضي بها ضحكت وقلت قد كنت عن هذا غنيا قال انما جئت لاسوى رأسك قلت اني لم اكلمك حتي وليت بها قال كنت لهذا جئت فلما صارت المخدة في يدي نسيت ماجئت له والنبيذ ما علمت والله يذهب بالحفظ اجمع . (وحدثني) الحزامى والمكي والعروضى قالوا سمعنا اسماعيل يقول أوليس قد اجمعوا على ان البخلاء في الجملة اعقل من الاسخياء في الجملة ها نحن أولاء عندك جماعة فينا من يزعم الناس انه سخي وفينا من يزعم الناس انه بخيل فانظر أى الفريقين اعقل ها أنا ذا وسهل بن هارون وخاقان بن صبيح وجعفر ابن سعيد والحزامي والعروضي وابو يعقوب الخزيمي فهل معك الا أبو اسحاق (وحدثنى) المكي قال قلت لاسماعيل مرة لم ارأحدا قط انفق على الناس من ماله فلما احتاج اليهم آسوه قال لو كان مايصنعون لله رضا وللحق موافقا لما جمع الله لهم الغدر واللؤم من اقطار الارض ولو كان هذا الانفاق فى حقه لما ابتلاهم الله جل ذكره من جميع خلقه . (حدثني) تمام بن أبى نعيم قال كان لنا جار وكان له عروس فجعل طعامه كله فالوذق فقيل له ان المؤونة تعظم قال احتمل ثقل الغرم

بتعجيل الراحة لعن الله النساء ما أشك أن من أطاعهن شر منهن وحديث سمعناه على وجه الدهر زعموا أن رجلا قد بلغ في البخل غايته وصار اماما وانه كان اذا صار في يده الدرهم خاطبه وناجاه وفداه واستبطأه وكان مما يقول له كم من ارض قد قطعت وكم من كيس قد فارقت وكم من خامل رفعت ومن رفيع قد اخملت لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في كيسه ويقول له اسكن على اسم الله في مكان لا تهان ولا تذل ولا تزعج منه وانه لم يدخل فيه درهما قط فاخرجه وان أهله الحوا عليه في سهوه واكثروا عليه في انفاق درهم فداقهم ما امكن ذلك ثم حمل درهما فقط فبينا هو ذاهب اذ رأى حواء قد أرسل على نفسه افعى لدرهم يأخذه فقال في نفسه اتلف شيئا تبذل فيه النفس باكلة أو شربة والله ما هذا الا موعظة لي من الله فرجع الى أهله ورد الدرهم الى كيسه فكان أهله منه في بلاء وكانوا يتمنون موته والخلاص بالموت والحياة فلما مات وظنوا انهم قد استراحوا منه قدم ابنه فاستولى على ماله وداره ثم قال ماكان أدم أبي فان أكثر الفساد انما يكون في الادام قالوا كان يتأدم بجبنة عنده قال أرونيها فاذا فيها حز كالجدول من اثر مسح اللقمة قال ما هذه الحفرة قالوا كان لا يقطع الجبن وانما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى قال بهذا أهلكني وبهذا أقعدني هذا

المقعد لو علمت ذلك ماصليت عليه قالوا فانت كيف تريد أن تصنع قال أضمها من بعيد فاشير اليها باللقمة ولا يعجبني هذا الحرف الاخير لان الافراط لاغاية له وانما نحكي ماكان في الناس ومايجوز أن يكون فيهم مثله أوحجة أوطريقة فامامثل هذا الحرف فليس مما نذكره وأما سائر حديث هذا الرجل فانه من الباب (قال) ابن جهانة الثقفية عجبت ممن يمنع النبيذ طالبه لان النبيذ انما يطلب ليوم فصد او يوم حجامة أويوم زيارة زائر أويوم اكل سمك طرى أويوم شربة دواء ولم نر أحدا طلبه وعنده نبيذ ولا ليدخره ويحتكره ولا ليبيعه ويعتقد منه وهو شئ يحسن طلبه وتحسن هبته ويحسن موقعه وهو في الاصل كثير رخيص فما وجه منعه مايمنعه عندي الا من لاحظ له في اخلاق الكرام وعلى أني لست أوجل بما أهب منه على نبيذي النقصان لاني اذا احتجبت عن ندمائي بقدر ماأخرجت من نبيذي رجع الى نبيذي على حاله وكنت قد تحمدت بما لا يضرني فمن ترك التحمد بما لا يضره كان من التحمد بما يضره ابعد فذكر ابن جهانة ماله من الكرم بهبة نبيذه ولم يذكر ماعليه من اللوم بحجب ندمائه قال الاصمعي أوغيره حمل بعض الناس مدينيا على برذون فاقامه على الاري فانتبه من نومه فوجده يعتلف فصاح بغلامه يا ابن ام بعه والا فبعه والا

فرده والافاذبحه انام ولا ينام يذهب بحر مالى ماأرادالا استئصالى قال أبو الحسن المدائني كان بالمدائن تمار وكان غلامه اذادخل الحانوت يحتال فربما احتبس فاتهمه باكل التمر فسأله يومافانكر فدعا بقطنة بيضاء ثم قال امضغها فمضغها فلما اخرجها وجد فيهاحلاوة وصفرة قال هذا دأبك كل يوم وانالاأعلم اخرج من داري وكان عندنا رجل من بني اسداذا صعد ابن الاكار الى نخلة له ليلقط له رطبا ملأ فاه ماءفسخروا به وقالوا له انه يشرب به ويأكل شيئا على النخلة فاذاأرادأن ينزل بال في يده ثم أمسكه فى فيه والرطب أهون على أولاد الاكرة وعلى أولاد غير الاكرة من أن يحتمل فيه أحد شطر هذا المكروه ولا بعضه قال فكان بعدها يملأ فاه من ماء أصفر أواحمر أواخضر لكيلا يقدر على مثله فى رؤس النخل • وحدثني المصرى وكان جار الدار دريشي وماله لا يحصي قال فانتهر سائلا ذات يوم وأنا عنده ثم وقف عليه آخر فانتهره الاأن ذلك بغيظ وحنق قال فاقبلت عليه فقلت له ما ابغض اليك السؤال قال أجل عامة من ترى منهم أيسر مني قال فقلت ما أظنك أبغضتهم لهذا قال كل هؤلاء لو قدروا على داري لهدموها وعلى حياتى لنزعوها أنا لو طاوعتهم فاعطيتهم كما سألونى كنت قد صرت مثلهم منذ زمان

فكيف تظن بنضى يكون لمن أرادني على هـذا وكان أخوه شريكه في كل شيء وكان في البخل مثله فوضع أخوه في يوم جمعة بين أيدينا ونحن على بابه طبق رطب يساوي بالبصرة دانقين فبينا نحن ناكل اذ جاء أخوه فلم يسلم ولم يتكلم حتي دخل الدار فانكرنا ذلك وكان يفرط في اظهار البشر ويجعل البشر وقاية دون ماله وكان يعلم أنه ان جمع بين المنع والكبر قتل قال ولم نعرف علتـه ولم يعرفها أخوه فلما كان الجمعـة الاخرى دعا أيضا أخوه بطبق رطب فبينا نحن ناكل اذ خرج من الدار ولم يسلم ولم يقف فانكرنا ذلك ولم ندر أيضا ماقصته فلما كان في الجمعة الثالثة ورأى مثل ذلك كتب الى أخيه يا أخي كانت الشركة بيني وبينك حين لم نكثر الولد ومع الكثرة يقع الاختلاف ولست آمن أن يخرج ولدي وولدك الى مكروه وهاهنا أموال باسمي ولك شطرها وأموال باسمك ولي شطرها وصامت في منزلي وصامت في مـنزلك لانعرف فضـل بعض ذلك على بعض وان طرقنا أمر الله ركدت الحرب بين هؤلاء الفتية وطال الصخب بين هؤلاء النسوة فالرأي ان نتقدم اليوم فيما يحسم منهم هذا السبب فلما قرأ اخوه كتابه تعاظمه ذلك وهاله وقلب الرأي ظهراً لبطن فلم يزده التقليب الا جهلا فجمع ولده واغلظ عليهم وقال عسي أن يكون احدمنكم قداخطأ بكلمة واحدة اويكون هـذا

البلاء من جرائر النساء فلما عرف براءة ساحة القوم تمشي اليه حافيا راجلا فقال مايدعوك الى القسمة والتمييز ادع صلحاء اهل المسجد الساعة حتى اشهدهم باني وكيل لك فى هذه الضياع وحول كل شيء في منزلى الى منزلك وجرب ذلك منى الساعة فان وجدتني اروغ واعتل فدونك فحاجتى الآن ان تخبرنى بذنبي قال مالك من ذنب ومامن القسمة من بد فاقام عنده يناشده الى نصف النهار ثم اقام يومه ذلك الى نصف الليل يناشده ويطلب اليه فلما طال عليه الامر وبلغ منه الجهد قال له حدثني عن وضعك اطباق الرطب وبسطك الحصر فى السكك واحضارك الماء البارد وجمعك الناس على بابي فى كل جمعة كانك ظننت انا كنا عن هذه المكرمة عميا انك اذا اطعمتهم اليوم البرني اطعمتهم غدا السكر وبعد غد الهليانا ثم يصير ذلك بعد ايام الجمع في سائر ايام الاسبوع ثم يتحول الرطب الى الغداء ثم يؤدى الغداء الى العشاء ثم تصير الى الكساء ثم الاجداء ثم الحملان ثم اصطناع الصنائع والله انى لارثي لبيوت الاموال ولخراج المملكة من هذا فكيف بمال تاجر جمعه من الحبات والقراريط والدوانيق والارباع والانصاف قال جعلت فداك تريدان لاآكل رطبة ابدا فضلا على غير ذلك واخرى فلا والله لاكلمتهم ابدا قال اياك ان تخطىء مرتين مرة فى اطماعهم فيك ومرة فى

اكتساب عداوتهم اخرج من هذا الامر على حساب مادخلت فيه وتسلم بسلام كان أبو الهذيل اهدى الى مويس دجاجة وكانت دجاجته التي أهداها د. ن ماكان يتخذ لمويس ولكنه بكرمه وبحسن خلقه اظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها وكان يعرفه بالامساك الشديد فقال وكيف رأيت ياأبا عمران تلك الدجاجة قال كانت عجبا من العجب فيقول وتدري ماجنسها وتدرى ماسنهافان الدجاجة انماتطيب بالجنس والسن وتدري باى شيء كنانسمنها فلايزال في هذا والآخر يضحك ضحكا نعرفه نحن ولا يعرفه أبوالهذيل وكان أبوالهذيل اسلم الناس صدرا وأوسعهم خلقا واسهلهم سهولة فان ذكروا دجاجة قال اين كانت ياابا عمران من تلك الدجاجة فان ذكروا بطة أوعناقا أوجزورا او بقرة قال فاين كانت هذه الجزور في الجزر من تلك الدجاجة في الدجاج وان استسمن أبو الهذيل شيئا من الطير والبهائم قال لا والله ولا تلك الدجاجة وان ذكروا عذوبة الشحم قال عذوبة الشحم في البقر والبط وبطون السمك والدجاج ولا سيما ذلك الجنس من الدجاج وان ذكروا ميلاد شيء أوقدوم انسان قال كان ذلك بعدان أهديتها لك بسنة وماكان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك الدجاجة الا يوم وكانت مثلا في كل شيء وتاريخا في كل شيء وأقبل مرة على محمد بن الجهم وانا وأصحابنا عنده

فقال اني رجل منخرق الكفين لا اليق شيئا و يدي هذه صناع في الكسب ولكنها في الانفاق خرقاء كم نظن من مائة الف درهم اقسمتها على الاخوان في مجلس أبو عثمان يعلم ذلك أسألك بالله يا أبا عثمان هل تعلم ذلك فقلت يا أبا هذيل ماتشك فيما تقول فلم يرض باحضاري هذا الكلام حتى استشهدني ولم يرض باستشهادي حتى استحلفني وكان أبو سعيد المدائني اماما في البخل عندنا بالبصرة وكان من كبار المعتنين ومياسيرهم وكان شديد العقل شديد العارضة حاضر الحجة بعيد الروية وكنت اتعجب من تفسير أصحابنا لقول العرب في لؤم اللئيم الراضع قال أصحابنا كل لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيم لان اسم اللئيم يقع على البخل وعلى قلة الشكر وعلى مهانة النفس وعلى ان له في ذلك عرقا متقدما قال ابو زيد هو لئيم وملأم فاللئيم ما فسرت والملأم الذي يقوم بعذر اللئيم فاما اللئيم الراضع فالذي لا يحلب في الاناء ويرضع من الخلف مخافة ان يضيع من اللبن شئ قال ثوب بن شحمة العنبري في امرأته المدنية

وحديث لامجة التي حدثتني تدع الاناء تشربا للقادم

القادمان الخلفان المقدمان فلما بلغه ذلك عنها طلقها فلما طلقها قيل له ان البخل انما يعيب الرجل ومتى سمعت بامرأة هجيت في البخل قال ليس ذلك بي اخاف ان تلد لى مثلها قال رافع بن هريم تحلب قاعداً وتلمج

احيانا وقبلك حاضر يدعو الله عليه أن يجعله صاحب شاء ولا يجعله صاحب ابل وأن يرتضع من الخلف وان كان معه اناء والعربي يساري على صاحبه فيقول ان كنت كاذبا فاحتلبت قاعداً أي ابدلك الله بكرم الابل لؤم الغنم فكيف تتعجب من لؤم الراضع وصنع أبو سعيد المدائني أعظم من ذلك اصطبغ من دن خل وهو قائم حتى فني ولم يخرج منه قليلا ولا كثيرا وكانت له حلقة يقعد فيها اصحاب الغنية والبخلاء الذين يتذاكرون الاصلاح فبلغهم ان ابا سعيد يأتي الحربية في كل يوم ليقتضي رجلا هناك خمسة دراهم فضلت عليه وقالوا هذا خطأ عظيم وتضييع كثير وانما الحزم أن يتشدد في غير تضييع وصاحبنا هذا قد رجع على نفسه بضروب من البلاء فاجتمعوا عليه على طريق التفرغ له والاستفادة منه قالوا نراك تصنع شيئا لا نعرفه والخطأ منك أعظم منه من غيرك قد اشكل علينا هذا الامر فاخبرنا عنه فقد ضاقت صدورنا به خبرنا عن مضيك الى الحربيه لتقتضي خمسة دراهم فواحدة انالا نأمن عليك انتقاض بدنك وقد خلا ما خلا من سنك وان تعتل فتدع التقاضي الكثير بسبب القليل وثانية انك ان تنصب هذا النصب فلابدلك من أن تزداد في العشاء ان كنت ممن يتعشى أو تتعشى ان كنت ممن لا يتعشى وهذا اذا اجتمع كان اكثر من خمسة دراهم وبعد فانك تحتاج أن تشق وسط

السوق وعليك ثيابك والحمولة تستقبلك فمن ههنا نترة ومن ههنا جذبة فاذا الثوب قد أودى ومن ذلك أن نعلك تنقب وترق وساق سراويلك تتسخ وتبلى ولعلك ان تعثر فى نعلك فتقدها قدا ولعلك تهرتها هرتا وبعد فاقتضاء القليل أولى بك الى هذا بلغت منه شيئا وانك أفضل الا انا نحب انك تحكي عن الامر بشيء فليس كلنا يثق لك بالصواب فى كل شئ قال أبو سعيد أما ما ذكرتم من انتقاض البدن فان الذي أخاف على بدنى من الدعة ومن قلة الحركة اكثر وما رأيت اصح ابدانا من الحمالين والطوافين والقوم قبل إن يموتوا لم يكن لهم تلك عادة وليس بقول الناس والله لفلان أصح من الجلاوزة يعنى اختلاف الجلاوزة فى العدو ولربما اقمت في المنزل لبعض الامر فاكثر الصعود والنزول خوفا من قلة الحركة واما التشاغل بالبعيد عن القريب فاني لا اعرض للبعيد حتى افرغ من القريب واما ما ذكرتم من الزيادة في الطعام فقد ايقنت نفسى واطمأن قلبي على انه ليس انفسي عندى الا ما لها وانها ان حاسبتنى ايام النصب حاسبتها ايام الراحة فستعلم حينئذ أين أيام الحربية من ايام ثقيف واما ما ذكرتم من تلقى الحمولة ومن مزاحمة أهل السوق ومن النتر والجذب فانا اقطع عرض السوق من قبل أن يقوم اهل السوق لصلاتهم ثم يكون رجوعى على ظهر السوق واما

ماذكرتم من شأن النعل والسراويل فانى من لدن خروجي من منزلى الى ان اقرب من باب صاحبي فانما نعلى في يدي وسراويلى فى كمى فاذا صرت اليه لبستهما فاذا فصلت من عنده خلعتهما فهما فى ذلك اليوم اودع ابدانا واحسن حالا بقى الآن لكم مماذكرتم شئ قالوا الا قال فهاهنا واحدة تفى بجميع ماذكرتم قالوا وماهي قال اذا علم القريب الدار ومن لى عليه الوف الدنانير شدة مطالبتي للبعيد الدار ومن ليس لى عليه الا الفلوس اني بحقي ولم يطمع نفسه فى مالى وهذا تدبير يجمع لى الى رجوع مالى طول راحة بدني ثم انا بالخيار في ترك الراحة لاني اقسمها على الاشغال حينئذ كيف شئت واخري ان هذا القليل لو لم يكن فضلة من كثير وموصلا بدين لى مشهور لجاز ان أتجافي عنه فاما ان ادع شيئا يطمع في فضول مايبقي لى الغرماء فهذا مالا يجوز فقاموا وقالوا باجمعهم لا والله لا سألناك عن مشكلة (حدثني) احمد المكي اخو محمد المكى وكان متصلا بابى سعيد نسيت الغنية ونسيت صنعة المال لاعاجيب ابى سعيد وحديثه (قال) احمد قلت له مرة والله انك لكثير المال وانك لتعرف ماتجهل وأن قميصك وسخ فلم لا تأمر بغسله قال فلو كنت قليل المال وأجهل ماتعرف كيف كان قولك لى انى قد فكرت في هذا منذ ستة اشهر فما وضح لى بعد وجه الامر فيه

اقول مرة الثوب اذا اتسخ اكل البدن كما يأكل الصدأ الحديد والثوب اذا ترادفه العرق وجف وتراكم عليه الوسخ ولبد اكل السلك واحرق الغزل هذا مع نتن ريحه وقبح منظره وبعد فانى رجل آتى أبواب الغرماء وغلمان غرمائى جبابرة فما ظنك بهم اذا رأونى في أطمار وسخة واسمال درنة وحال حداد جبهوا مرة وحجبوا مرة فيرجع ذلك علينا بمضرة من اصلاح المال وان ينفى عنه كل ما اعان على حبسه مع ما يدخل من الغيظ ويلقى من كان كذلك من المكروه فاذا اجتمعت هذه الخواطر هممت بغسلها فاذا هممت به عارضني معارض يوهمني انه اتانى من جهة الحزم ومن قبل العقل فقال أول ذلك الغرم الذى يكون فى الماء والصابون والجارية اذا ازدادت عناء ازدادت أكلا والصابون نورة والنورة تأكل الثوب وان انخرق لا يزال الثوب على خطر حتى يسلم الى المصر والدق ثم اذا ألقى على الرسن فهو بعرض الجذبة والنترة والعلق ولا من الجلوس يومئذ في البيت بدومتي جلست فى البيت فتحوا علينا أبوابا من النفقة وأبوابا من الشهوات والثياب لابد لهما من دق فان نحن دققناها في المنزل قطعناها وان نحن اسلمناها الى القصار فغرم على غرم وعلى انه ربما انزل بها من المكروه ماهو أشد وما جلست في المنزل قط الا ارجف بى الغرماء وادعوا على الامراض والاحداث

وفي ذلك لهم فساد والتواء وطمع لم يكن عندهم فاذا أنا لبستها وقد ابيضت وحسنت وجفت وطابت تبينت عند ذلك وسخ جسدي وكثرة شعري وقد كان بعض ذلك موصولا ببعض فعرفته فاستبان لي مالم يكن يستبين واكترثت لما لم اكن اكترث له فيصير ذلك مدعاة الى دخول الحمام فان دخلته فغرم ثقيل مع المخاطرة بالثياب ولي امرأة جميلة شابة اذا رأتني قد اطليت وغسلت رأسي وبيضت ثوبي عارضتني بالتطيب وتلبس احسن ثيابها وتعرضت لي وأنا فحل والفحل اذا هاج لم يرد رأسه شيء فاذا أردت موافقتها ورات حرصي نثرت على الحوائج نثرا ثم احتجنا الى تسخين الماء واشد من هذا كله أن تعلق فتحتاج الى ظئر فنقع في مالا غاية له مع امور كثيرة نسي بعضها أحمد وبعضها انا وكان أبو سعيد هذا مع بخله أشد الناس نفسا واحماهم أنفا ابلغ من أمره في ذلك ومن بلوغه فيه أنه أتى رجلا من ثقيف يقتضيه الف دينار وقد حل عليه المال فكان ربما أطال عنده الجلوس ويحضر عنده الغداء فيتغدي معه وهو في ذلك يقتضيه فلما طال عليه المطل قال له يوما وهو على خوانه إن لهذا المال زكاة مؤداة وقد علمنا انا حين اخرجنا هذا المال من أيدينا أنه معرض للذهاب وللمنازعة الطويلة ولان يقع في الميراث ثم رضينا منك بالربح اليسير بالذي ظنناه بك من حسن القضاء ولولا

ذلك لم نرض بهذا المال وهذا المال اذا كان شرطه أن يرجع بعد سنة فرفهت عنك بحسن المطالبة شهراً أوشهرين ثم مكث عندى الى أن أصبت له مثلك شهراً أو شهرين سحق فضله وحرج علينا فضل ومثلك يكتفي بالقليل وقد طال اقتضائي وطال تغافلك يقول هذا الكلام وهو في ذلك لا يقطع الا كل فاقبل عليه رجل من ثقيف فعرض له بانه لو أراد التقاضي محضا لكان ذلك في المسجد ولم يكن في الموضع الذي يحضر فيه الغداء فقطع الاكل ثم نزا في وجهه الدم ونظر اليه نظر الجمل الصؤل ثم كاد يطير ثم أقبل عليه فقال لا ام لك أنا انما اصطبغت من دن خل حتى فني من حسن العقل واحببت الغنى بفضل بغضي للفقر وابغضت الفقر بفضل انفتي من احتمال الذل تعرض لي لاام لك باني رغب في غدائه والله ما اكلت معه الا ليستحي من حرمة المؤاكلة وليصير كرمه سببا لتعجيل الحاجة ثم نهض بالصك وعليه طينته فاعترض بها الحائط حتى كسرها ثم تفل في الكتاب وحك بعضه ببعض ثم مزقه ورمي به ثم قال لكل من شهد المجلس هذه الف دينار كانت لي على أبى فلان اشهدوا جميعا أنى قد قبضت منه وانه برىء من كل شيء أطالبه ثم نهض فلما صنع ما صنع أقبل الغريم على صاحبه فقال مادعاك الى هذا الكلام ثم تقول لهذا الرجل على مائدتي

وتقدم بهذا الكلام على من لا تعرف كيف موقع الامور منه وبعد فقد والله أردت مطله الى أن ابيع الثمر ورجونا حلاوته فقد احسنت اليه واسأت الينا وعجلت عليه ماله اذهب ياغلام فاضرب بذلك الثمر السوق فبعه بما بلغ فاخذ ماله كملا ثم ركب اليه فابى أن يأخذه فلما كثر الامر في ذلك قال أظن الذى دعا صاحبك الى ماقال انه عربي وأنا مولى فان جعلت شفعاءك من الموالى أخذت هذا المال وان لم تفعل فاني لا آخذه فجمع الثقفى كل شعوبي بالبصرة حتي طلبوا اليه حتي أخذ المال وكان أبو سعيد ينهي خادمه أن تخرج الكساحة من الدار وأمرها أن تجمعها من دور السكان وتلقيها على كساحتهم فاذا كان فى الحين جلس وجاءت الخادم ومعها زبيل فعزلت بين يديه من الكساحة زبيلا ثم فتشت واحدا واحدا فان أصاب قطع دراهم وصرة فيها نفقة والدينار أو قطعة حلى فسبيل ذلك معروف واما ماوجد فيه من الصوف فكان وجهه أن يباع اذا اجتمع من أصحاب البراذع وكذلك قطع الاكسية وماكان من خرق الثياب فمن أصحاب الصينيات والصلاحيات وما كان من قشور الرمان فمن الصباغين والدباغين وماكان من القوارير من اصحاب الزجاج وماكان من نوى التمر فمن اصحاب الحشوف وما كان من نوى الخوخ فمن اصحاب الغرس وما كان من المسامير وقطع الحديد

فالحذادين وما كان من القراطيس فللطراز وما كان من الصحف فلرؤس الجرار وما كان من قطع الخشب فللاكافين وما كان من قطع العظام فللوقود وماكان من قطع الخرق فللتنانير الجدد وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء ثم يحرك ويثار ويخلل حتى يجتمع قماشه ثم يعزل للتنور وما كان من قطع القاريع من القيار واذا بقي التراب خالصاً وأراد ان يضرب منه اللبن للبيع وللحاجة اليه لم يتكلف الماء ولكن يأمر جميع من في الدار أن لا يتوضؤا ولا يغتسلوا الا عليه فاذا ابتل ضربه لبنا وكان يقول من لم يتعرف الاقتصاد تعرفي فلا يتعرض له. وذهب من ساكن له شيء كبعض مايسرق من البيوت فقال لهم اطرحوا الليلة ترابا فعسي ان يندم من اخذه فيلقيه فى التراب ولا ينكر مجيئه الى ذلك المكان لكثرة من يجيء لذلك فاتفق ان طرح ذلك الشيء المسروق في التراب وكانوا يطرحونه على كناسته فرآه قبل ان يراه المسروق منه فاخذ منه كراء الكساحة فهذا حديث ابي سعيد

﴿ قصة الاصمعي ﴾

مشى قوم الى الاصمعي مع تاجر كان اشترى ثمرته بخسران كان ناله وسأله حسن النظر والحطيطة فقال الاصمعي اسمعتم بالقسمة الضيزى هي والله ماتريدون شيخكم عليه اشترى مني على ان يكون

الخسران على والربح له هذا وايكم تجارة ابي العنبس اذهبوا فاشتروا على طعام العراق على هذا الشرط على أنى واللّه ما أدرى اصادق هو ام كاذب وها هنا واحدة وهي لكم دوني ولا بد من أن احتمل لكم اذلم تحتملوا لى والله ما مشيتم معه الا وانتم توجبون حقه وتوجبون رفده لو كنت أوجب له مثل ما توجبون لقد كنت أغنيته عنكم وأنا لا أعرفه ولا يضرب بى بحق فهلموا نتوزع هذه الفضلة بيننا بالسوية هذا أحسن ممن احتمل حقا لا يجب عليه في رضا من يجب ذلك عليه فقاموا ولم يعودوا فخرج اليه التاجر من حقه وايس مما قبله . (حدثنى) جعفر ابن أخت واصل قال قلت لابي عيينة قد أحسن الذى سأل امرأته عن اللحم فقالت أكله السنور فوزن السنور ثم قال هذا اللحم فاين السنور قال كانك تعرض بي قال قلت انك والله أهل ذلك شيخ قد قارب المائة وعليه فاضلة وعياله قليل ويعطى الاموال على مذاكرة العلم والعلم لذته وصناعته ثم يرقي الى جوف منزله وأنت رجل لك في البستان ورجل في اصحاب الفسيل ورجل في السوق ورجل في الكلا تطلب من هذا وقر جص ومن هذا وقر آجر ومن هذا قطعة ساج ومن هذا هكذا ما هذا الحرص وما هذا الكد وما هذا الشغل لو كنت شابا بعيد الامل كيف كنت تكون ولو كنت مدينا كثير العيال كيف كنت تكون وقد رأيتك

فيما حدث تلبس الاطمار وتمشي حافيا نصف النهار (قال) ثم أجمع بلغني انك فقدت قطعة بطيخ فالحت في المسئلة عنها فقيل لك أكلها السنور فرميت بباقي القطعة قدام السنور لتمتحن صدقهم من كذبهم فلما لم تأكله غرمتهم ثمن البطيخة كما هي قالوا لك كان الليل فان لم تكن التي أكلته من سنانير الجيران وكان الذي أكله سنورنا هذا فانك رميت اليه بالقطعة وهو شبعان منه فانظرنا ولا تغرمنا نمتحنه في حال غير هذه فابيت الا اغرامهم قال ويلك اني والله ماأصل الى منهم من الفساد الا ببعض الفساد وقد قال زياد في خطبته والله اني ماأصل منكم الي أخذ الحق حتى أخوض الباطل اليكم خوضا وأما المتي عليه اتفاقا واعا ذهبت الى قوله لو أن في يدي فسيلة ثم قيل لي ان القيامة تقوم الساعة لبادرتها فغرستها وقد قال أبو الدرداء في وجعه الذي مات فيه زوجوني فاني اكره ان ألقى الله عزبا والعرب تقول من غلى دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء . قال مكرز العجز فراش وطيء لا يستوطئه الا الفشل الدثور وقال عبد الله بن وهب حب الهوينا يكسب النصب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم والراحة فانها غفلة وقال لو أن الصبر والشكر بعيران ماباليت أيهما اركب وقال تمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب واركبوا الخيل نزوا وقال لعمرو بن معدي كرب حين شكا اليه الحفاء

كذبت عليك الظهائر وقال احتفوا فانكم لاتدرون متى تكون الجفلة • وقال ان يكن الشغل مجهدة فان الفراغ مفسدة • وقال لسعيد بن حاتم احذر النعمة كحذرك من المعصية ولهى أخوفهما عليك عندى • وقال احذركم عاقبة الفراغ فانه اجمع لابواب المكروه من الشغل وقال اكثم بن صيفي ماأحب اني مكفى كل أمر الدنيا قالوا وإن أسمنت وألبنت قال نعم اكره عادة العجز افتراني ادع وصايا الانبياء وقول الخلفاء وتأديب العرب وآخذ بقولك • وتغدى محمد بن الاشعث عند يحيي بن خالد فتذاكروا الزيت وفضل مابينه وبين السمن وفضل مابين الانفاق وزيت الماء فقال محمد عندى زيت لم ير الناس مثله قال يحيي لاتؤتي منه بشيء فدعا يحيي غلامه فقال اذا دخلت الخزانة فانظر الجرة الرابعة عن يمينك اذا دخلت فجئنا منه بشيء قال يحيي مايعجبنى السيد يعرف موضع زيته وزيتونه • وقرب خباز أسد بن عبدالله اليه وهو على خراسان شواء قد نضجه نضجا وكان يعجبه مارطب من الشواء فقال لخبازه اتظن ان صنيعك يخفي على انك لست تبالغ في انضاجه لتطيبه ولكن تستحلب جميع دسمه فتنتفع بذلك منه فبلغت أخاه فقال رب جهل خير من علم • وكان رجل يغشى طعام الجوهرى وكان يتحرى وقته ولايخطىء فاذا دخل القوم يأكلون وحين وضع الخوان

قال لعن الله القدرية من كان يستطيع ان يصرفني عن أكل هذا الطعام وقد كان في اللوح المحفوظ أني سآكله فلما اكثر من ذلك قال له رياح تعال بالعشي أو بالغداة فان وجدت شيئا فالعن القدرية والعن آباءهم وأمهاتهم وجاء غلام الى خالد بن صفوان بطبق خوخ اما أن تكون هدية واما أن غلامه جاء به من البستان فلما وضعه بين يديه قال لولا أني أعلم انك قد اكلت منه لاطعمتك واحدة . وقال رمضان كنت مع شيخ اهوازي في جعفرية وكنت في الذنب وكان في الصدر فلما جاء وقت الغداء اخرج من سلة له دجاجة وفرخا واحداً مبرداً وأقبل يأكل ويتحدث ولا يعرض على وليس في السفينة غيري وغيره فرآني انظر اليه مرة والى ما بين يديه مرة فتوهم انى اشتهيه واستبطئه فقال لي لم تحدق النظر من كان عنده أكل مثلي ومن لم يكن عنده نظر مثلك قال ثم نظر الي وأنا انظر اليه فقال ياهناه انا رجل حسن الاكل لا آكل الا طيب الطعام وانا اخاف ان تكون عينك مالحة وعين مثلك سريعة فاصرف عني وجهك قال فوثبت عليه فقبضت على لحيته بيدي اليسرى ثم تناولت الدجاجة بيدي اليمنى فما زلت اضرب بها رأسه حتي تقطعت في يدي ثم تحول الى مكاني فمسح وجهه ولحيته ثم اقبل

علي فقال قد اخبرتك ان عينك مالحة وانك ستصيبني بعين قلت وما شبه هذا من العين قال انما العين مكروه يحدث فقد انزلت بنا عينك اعظم المكروه فضحكت ضحكا ما ضحكت مثله وتكالمنا حتي كأنه لم يقل قبيحاً وحتى كأني لم افرط عليه هذه ماتقطات احاديث اصحابنا واحاديثنا وما رأينا بعيوننا فاما احاديث الاصمعي وابي عبيدة وابي الحسن فاني لم اجد منها ما يصلح لهذا الموضع الا ما قد كتبته في هذا الكتاب وهي بضعة عشر حديثاً (قالوا) كان للمغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي وهو على الكوفة جدي يوضع على مائدته بعد الطعام ولم يكن احد يمسه اذ كان هو لا يمسه فاقدم عليه اعرابي يوماً ولم يعرف سيرة اصحابنا فيه فلم يرض بأكل لحمه حتى تعرق عظمه فقال له المغيرة يا هذا تطالب عظام هذا الجدي بذحل هل نطحتك امه وكان الاصمعي يقول انما قال يا هذا تطالب عظام هذا البائس بذحل هل نطحتك امه قال وكان على شرطته عبد الرحمن بن طارق فقال لرجل من الشرط ان اقدمت على جدي الامير اسقطت عنك نوبة سنة فبلغه ذلك فشكاه الى الحجاج فعزله وولى مكانه زياد بن جديد فكان اثقل عليه من عبد الرحمن ولم يقدر على عزله اذ كان من قبل الحجاج فكان المغيرة اذا خطب قال

يا أهل الكوفة من بغاكم الغوائل وسعى بكم الى اميركم فلعنه الله ولعن امه العوراء وكانت ام زياد عوراء فكان الناس يقولون ما رأينا تعريضاً قط اطيب من تعريضه (قالوا) وكان لزياد الحارثي جدي لا يمسه ولا يمسه احد فغشي في شهر رمضان قوماً فيهم اشعب فعرض اشعب للجدي من بينهم فقال زياد اما لاهل السجن امام يصلي بهم قالوا لا قال فليصل بهم اشعب فقال اشعب او غير هذا أصلح الله الامير قال وما هو قال احلف بالمحرجات ان لا آكل لحم جدي ابداً (قالوا) دعا عبد الملك بن قيس الذئبي رجلا من اشراف اهل البصرة وكان عبد الملك بخيلا على الطعام جواداً بالدرهم فاستصحب الرجل ساكناً فلما رآه عبد الملك ضاق به ذرعا فاقبل عليه فقال له الف درهم خير لك من احتباسك علينا واحتمل غرم الف درهم ولم يحتمل أكل رغيف وتناول اعرابي من بين يدى سليمان بن عبد الملك دجاجة فقال له يكفيك ما بين يديك وما يليك قال الاعرابي ومنها شيء حمي قال فخذها لا بورك لك فيها قال وكان معاوية تعجبه القبة وتغدي معه ذات يوم صعصعة بن صوحان فتناولها صعصعة من بين يدي معاوية قال معاوية انك لبعيد النجعة قال صعصعة من أجدب انتجع (وقال) دخل هشام بن عبد الملك

حائطاً له فيه فاكهة واشجار وثمار ومعه اصحابه فجعلوا يأكلون ويدعون بالبركة فقال هشام يا غلام اقلع هذا واغرس مكانه الزيتون (قال) وكان المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي يأكل تمراً هو واصحابه فانطفأ السراج وكانوا يلقون النوى في طست فسمع صوت نواتين فقال من هذا الذي يلعب بكعبين (وقالوا) باع حويطب بن عبد العزى داراً من معاوية بخمسة وأربعين الف دينار فقيل له اصبحت كثير المال قال وما منفعة خمسة وأربعين الفاً مع ستة من العيال (وقالوا) سأل خالد بن صفوان رجل فاعطاه درهماً فاستقله السائل فقال يا احمق ان الدرهم عشر العشرة وان العشرة عشر المائة وان المائة عشر الالف وان الالف عشر العشرة آلاف اما ترى كيف ارتفع الدرهم الى دية مسلم قالوا كان بلال بن أبي بردة قد خاف الجذام وهو والى البصرة فوصفوا له الاستنقاع في السمن فكان اذا فرغ من الجلوس فيه امر ببيعه فاجتنب الناس في ثلاث السنة اكل السمن وكان يفطر الناس في شهر رمضان فكانوا يجلسون حلقاً وتوضع لهم الموائد فاذا قام المؤذن نهض بلال الى الصلاة ويستحي الآخرون فاذا قاموا الى الصلاة جاء الخبازون فرفعوا الطعام (قال) واحتقن عمر بن يزيد الاسدى بحقنة فيها ادهان فلما حركته بطنه

كره أن يأتي الخلاء فتذهب تلك الادهان فكان يجلس في الطست ويقول صفوا هذا فانه يصلح للسراج (قال) وخبرنا جار له قال رأيته يتخلل من الطعام بخلال واحد شهراً كلما تغدي حذف من رأسه شيئاً ثم تخلل به ثم وضعه في مجرى دواته (وقالوا) كان ذراع الذراع مع خالد بن صفوان فوضعوا بين يديه دجاجة وبين يديه شيء من زيتون فجعل يلقط الدجاجة فقال كأنك تهم بها قال ومن يمنعني قال اذاً اصير انا وأنت في مالي سواء (قال) ومد يده أبو الاشهب الى شيء بين يدي نميلة بن مرة السعدي فقال اذا أفردت بشيء فلا تعترض لغيره (قالوا) ومات وعليه للدقاق وحده ثمانون الف درهم لكثرة طعامه (وقالوا) كان الحكم بن أيوب الثقفي عاملا للحجاج على البصرة واستعمل على العراق جرير بن بيهس المازني ولقب جرير المطرق فخرج الحكم يتنزه وهو باليمامة فدعا المطرق الى غدائه فاكل معه فتناول دراجة كانت بين يديه فعزله وولى مكانه نويرة المازني فقال نويرة وهو ابن عم المطرق

قد كان في العرق صيد لو قنعت به * فيه غنى لك عن دراجة الحكم
وفي عوارض لا تنفك تأكلها * لو كان يشفيك لحم الجزر من قرم
وفي وطاب مملاة متممة * فيها الصريح الذي يشفي من القرم

ولما ولي مكانه نويرة بلغه انه ابن عم له فعزله فقال نويرة

أبا يوسف لو كنت تعرف طاعتي * ونصحي اذا ما بعتني بالملحق
ولا انحل سراق العراقة صالح * عليّ ولا كلفت ذنب المطرق

فذهبت مثلا . وتناول رجل من قدام أمير كان لنسا ضخم بيضة فقال خذها فانها بيضة القر فلم يزل محجوبا حتى مات . واتى ضيعة له يتنزه اليها ومعه خمسة رجال من خاصته وقد حملوا معه طعام خمسمائة وثقل عليه ان يأكلوا معه واشتد جوعه فجلس على مشارة بقل فاقبل ينتزع الفجلة فيطوى جزرتها بعرقها ثم ياكلها من غير أن تغسل من كلب الجوع ويقول لواحد منهم كان أقرب الخمسة اليه مجلساً لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء لقد أكلنا . (قالوا) واكل عبد الرحمن بن أبي بكرة على خوان معاوية فرأى لقم عبد الرحمن فلما كان بالعشي وراح اليه أبو بكرة قال ما فعل ابنك التلقامة قال اعتل قال مثله لا يعدم العلة . واكل اعرابي مع ابي الاسود الدؤلي فرأي له لقماً منكراً وهاله ما يصنع قال له ما اسمك قال لقمان قال صدق أهلك انت لقمان (قالوا) وكان له دكان لا يسع الا مقعده وطبيقاً يوضع بين يديه وجعله مرتفعاً ولم يجعل له عتباً كي لا يرتقي اليه أحد قالوا فكان اعرابي يتحين وقته ويأتيه على فرس فيصير كأنه معه على

الدكان فأخذ دبة وجعل فيها حصى واتكأ عليها فاذا رأى الاعرابي قد أقبل أراه كأنه يحول متكأه فاذا قعقعت الدبة بالحصى نفر الفرس (قالوا) فلم يزل الاعرابي يدنيه ويقعقع هو به حتى نفر منه فصرعه فكان لا يعود بعد ذلك اليه ٠

رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي الى الثقفي

بسم الله الرحمن الرحيم ٠ أما بعد فان جلوسك الى الاصمعي وعجبك بسهل بن هارون واسترجاحك اسماعيل بن غزوان وطعنك على مويس بن عمران وخلطتك بابن مشارك واختلافك الى ابن التوأم واكثارك من ذكر المال واصلاحه والقيام عليه واصطناعه واطنابك في وصف الترويج والتثمير وحسن التعهد والتوفير دليل على خبء سوء وشاهد على عيب ودبر بعد ان كنت تستثقل ذكرهم وتستشنع فعلهم وتتعجب من مذهبهم وتسرف في ذمهم ٠ وليس يلهج بذكر الجمع الا من قد عزم على الجمع ولا يأنس بالبخلاء الا المستوحش من الاسخياء وفى تحفظك قول سهل بن هارون في الاستعداد في حال المهلة وفي الاخذ بالثقة وأن أقبح التفريط ما جاء مع طول المدة وأن الحزم كل الحزم والصواب كل

الصواب ان يستظهر على الحدثان وأن يجعل ما فضل عن قوام الابدان رداء دون صروف الزمان وأنا لا ننسب الى الحكمة حتى نحوط أصل النعمة بان نجعل دون فضولها جنة شاهد على صحبك بمذهبه وبرهان على ميلك الي سبيله وفي استحسانك رواية الاصمعى في أن اكثر أهل النار النساء والفقراء وأن اكثر اهل الجنة البله والاغنياء وأن أرباب الدثور هم الذين ذهبوا بالاجور برهان على صحة حكمنا عليك ودليل على صواب رأينا فيك وتفضيلك كلام ابن غزوان حين قال تنعمتم بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة وبالشراب الرقيق وبالغناء المطرب وتنعمنا بعز الثروة وبصواب النظر فى العاقبة وبكثرة المال والامن من سوء الحال ومن ذل الرغبة الى الرجال والعجز عن مصلحة العيال فتلك لذتكم وهذه لذتنا وهذا رأينا في التسلم من الذمّ وذاك رأيهم فى التعريض للحمد وانما ينتفع بالحمد السليم الفارغ البال ويسر باللذات الصحيح الصادق الحس فاما الفقير فما أعياه عن الحمد وأفقره الى ما به يجد طعم الحمد والطعام الذى آثرتموه يعود رجيعاً والشراب يصير بولا والبناء يعود نقضاً والثناء ريح هابة ومسقط للمروءة وسخافة تفسد ورنة تسير فلذتكم فيما حوى اكم الفقر ونقض المروءة ولذتنا فيما حوى لنا الغني وبنى المروءة فنحن في بناء وأنتم في

هذم ونحن فى ابرام وأنتم في نقض ونحن في التماس الغنى الدائم مع فوت بعض اللذة وأنتم في التعرض للذل الدائم مع فوت كل مروءه وقد فهمنا معنى حكايتك وما لهجت به من روايتك والدليل على انتقاض طباعك وادبار أمرك استحسانك ضد ما كنت تستحسن وعشقك لما لم تزل تمقت فبعداً وسحقا ولا يبعد الله الا من ظلم والشاعر أبصر بكم حيث يقول

فان سمعت بهلك للبخيل فقل ... بعداً وسحقاً له من هالك مودي
تراثه جنة للوارثين اذا ... أودى وجثمانه للترب والدود

وقال آخر

تبلى محاسن وجهه فى قبره ... والمال بين عدوه مقسوم

والحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانيك وكيلا في مالك وأجيراً لوارثك وأما أنت فقد تعجلت الفقر قبل أوانه وصرت كالمجلود في غير لذة وهل تزيد حال من أنفق جميع ماله ورأى المكروه فى عياله وظهر فقره وشمت به عدوه على اكثر من انصراف المؤنسين عنه وعلى بغض عياله وعلى خشونة الملبس وخشونة المأكل وهذا كله مجتمع في مسك البخيل ومصبوب على هامة الشحيح ومعجل للئيم وملازم للممنوع الا أن المنفق قد ربح المحمدة وتمتع بالنعمة ولم يعطل

المقدرة ووفى كل خصلة من هذه حقها ووفر عليها نصيبها والمتمسك مهذب بحصر نفسه وبالكد لغيره مع لزوم الحجة وسقوط الهمة والتعرض الذم والاهانة ومع تحكيم المرة السوداء في نفسه وتسليطها على عرضه وتمكينها من عيشه وسرور قلبه ولقد سرى اليك عرق ولقد دخل أعراقك جور ولقد عمل فيها قادح ولقد غالها غول وما هذا المذهب من اخلاق صميم ثقيف ولا من شيم أعرقت فيها قريش ولقد عرض لك اقراف ولقد أفسدتك هجنة ولقد قال معاوية من لم يكن من بني عبد المطلب جوادا فهو بخيل ومن لم يكن من آل الزبير شجاعاً فهو لزيق ومن لم يكن من بني المغيرة تياهاً فهو سنيد وقال سلم بن قتيبة اذا رأيت الثقفي يعز من غير طعام ويكسب لغير انفاق فبهرجه ثم بهرجه وقال ابن أبي بردة لولا شباب ثقيف وسفهاؤهم ما كان لاهل البصرة مال ان الله جواد لا يبخل وصدوق لا يكذب ووفيّ لا يغدر وحليم لا يعجل وعدل لا يظلم وقد أمرنا بالجود ونهانا عن البخل وأمرنا بالصدق ونهانا عن الكذب وأمرنا بالحلم ونهانا عن العجلة وأمرنا بالعدل ونهانا عن الظلم وأمرنا بالوفاء ونهانا عن الغدر فلم يأمرنا الا بما اختاره لنفسه ولم يزجرنا الا عما لم يرضه لنفسه وقد قالوا باجمعهم ان الله أجود الاجودين وأمجد

الامجدين كما قالوا ارحم الراحمين وأحسن الخالقين وقالوا في التأديب لسائليهم والتعليم لاجوادهم لا تجاودوا الله فان الله جل ذكره أجود وأمجد وذكر نفسه جل جلاله وتقدست أسماؤه فقال ذو الفضل العظيم وذي الطول لا اله الا هو وقال ذو الجلال والاكرام وذكروا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لم يضع درهماً على درهم ولا لبنة على لبنة وملك جزيرة العرب فقبض الصدقات وجبيت له الاموال ما بين غدران العراق الى شحر عمان الى أقصى مخاليف اليمن ثم توفى وعليه دين ودرعه مرهونة ولم يُسئل حاجة قط فقال لا وكان اذا سئل أعطى واذا وعد أو أطمع كان وعده كالعيان واطماعه كالانجاز ومدحته الشعراء بالجود وذكرته الخطباء بالسماح ولقد كان يهب للرجل الواحد الضاجعة من الشاء والعرج من الابل وكان اكثر ما يهب الملك من العرب مائة بعير فيقال وهب هنيدة وانما يقال ذلك اذا أريد بالقول غاية المدح ولقد وهب لرجل الف بعير فلما رآها تزدحم في الوادي قال أشهد انك نبي وما هذا مما تجود به الانفس وفخرت هاشم على سائر قريش فقالوا نحن اطعم للطعام وأضرب للهام وذكرها بعض العلماء فقالوا أجواد أمجاد ذوو ألسنة حداد وأجمعت الامم كلها بخيلها وسخيها وممزوجها على ذم البخل وحمد

الجود كما أجمعوا على ذم الكذب وحمد الصدق وقالوا أفضل الجود الجود بالمجهود وحتى قالوا في جهد المقل وفيمن أخرج الجهد وأعطى الكل وحتى جعلوا لمن جاد بنفسه فضيلة على من جاد بماله فقال الفرزدق

على ساعة لو كان في القوم حاتم على جوده ضنت به نفس حاتم

ولم يكن الفرزدق ليضرب المثل في هذا الموضع بكعب بن مامة وقد جاد بحوبائه عند المصافنة فما رأينا عربيا سفه حلم حاتم لجوده بجميع ماله ولا رأينا أحداً منهم سفه حلم كعب على جوده بنفسه بل جعلوا ذلك من كعب الاياد مفخراً وجعلوا ذلك من حاتم طيء مأثره لعدنان على قحطان ثم للعرب على العجم ثم لسكان جزيرة العرب ولا هل تلك البرية على سائر الجزائر والترب فمن أراد أن يخالف ما وصف الله جل ذكره به نفسه وما منح من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وما فطر على تفضيله العرب قاطبة والامم كافة لم يكن عندنا فيه الا اكفاره واستسقاطه ولم نر الامة أبغضت جواداً قط ولا حقرته بل أحبته وأعظمته بل أحبت عقبه وأعظمت من أجله رهطه ولا وجدناهم أبغضوا جواداً لمجاوزته حد الجود الى السرف ولا حقرته بل وجدناهم يتعلمون مناقبه ويتدارسون محاسنه

وحتى أضافوا اليه من نوادر الجميل ما لم يفعله ونحلوه من غرائب الكرم ما لم يكن يبلغه ولذلك زعموا أن الثناء في الدنيا يضاعف كما تضاعف الحسنات في الآخرة نعم وحتى أضافوا اليه كل مديح شارد وكل معروف مجهول الصاحب ثم وجدنا هؤلاء بانماتهم للبخيل على ضد هذه الصفة وعلى خلاف هذا المذهب وجدناهم يبغضونه مرة ويحقرونه مرة ويبغضون بفضل بغضه ولده ويحتقرون بفضل احتقارهم له رهطه ويضيفون اليه من نوادر اللؤم ما لم يبلغه ومن غرائب البخل ما لم يفعله وحتى ضاعفوا عليه من سوء الثناء بقدر ما ضاعفوا للجواد من حسن الثناء وعلى أنا لانجد الجوائح الى الى أموال الاسخياء أسرع منها الى أموال البخلاء ولا رأينا عدد من افتقر من البخلاء أقل والبخيل عند الناس ليس هو الذي يبخل على نفسه فقط فقد يستحق عندهم اسم البخيل ويستوجب الذم ولا يدع لنفسه هوى الا ركبه ولا حاجة الا قضاها ولا شهوة الا ركبها وبلغ فيها غايته وانما يقع عليه اسم البخيل اذا كان زاهداً في كل ما أوجب الشكر ونوه بالذكر وأذخر الاجر وقد يملق البخيل على نفسه من المؤن ويلزمها من الكلف ويتخذ من الجواري والخدم ومن الدواب والحشم ومن الآنية العجيبة ومن البزة الفاخرة

والشارة الحسنة ما يربو على نفقة السخي المثرى ويضعف على جود الجواد الكهم فيذهب ماله وهو مذموم ويتغير حاله وهو ملوم وربما غلب عليه حب القيان واستهتر بالخصيان وربما أفرط فى حب الصيد واستولى عليه حب المراكب وربما كان اتلافه في العروس والخرس والوليمة واسرافه فى الاعذار وفى العقيقة والوكيرة وربما ذهبت أمواله في الوضائم والودائع وربما كان شديد البخل شديد الحب للذكر ويكون بخله أوسخ ولؤمه أقبح فينفق أمواله ويتلف خزائنه ولم يخرج كفافا ولم ينج سليما كانك لم تر بخيلا مخدوعا وبخيلا مضعوفا وبخيلا مضياعا وبخيلا نفاجا وبخيلا ذهب ماله فى البناء وبخيلا ذهب ماله في الكيمياء وبخيلا انفق ماله في طمع كاذب وعلى أمل خائب وفي طلب الولايات والدخول فى القبالات وكانت فتنته بما يؤمل من الامرة فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضة قد رأيناه ينفق على مائدته وفاكهته الف درهم في كل يوم وعنده في كل يوم عرس ولان يطعن طاعن في الاسلام أهون عليه من أن يطعن في الرغيف الثاني ولا شق عصا الدين أشد عليه من شق رغيف لا يعد الثلمة في عرضه ثلمة ويعدها في ثريدته من أعظم الثلم وانما صارت الآفات الى أموال البخلاء أسرع والجوائح عليهم اكلب لانهم أقل

توكلا وأسوأ بالله ظنا والجواد اما أن يكون متوكلا واما أن يكون
أ. سن بالله ظنا وهو على كل حال بالمتوكل أشبه والى ما أشبه انزع
وكيف ما دار أمره ورجعت الحال به فليس ممن يتكل على حزمه
ويلجأ الى كيسه ويرجع الى جودة احتياطه وشدة احتراسه واعتلال
.. البخيل بالحدثان وسوء الظن بتقلب الزمان انما هو كناية عن سوء الظن
بخالق الحدثان وبالذى يحدث الازمان وأهل الزمان وهل ترى
الاحداث الا على تقدير المحدث لها وهل تختلف الازمنة الا على
تصريف من دبرها أولسنا وان جهلنا أسبابها فقد اتقنا بأنها تجري
الى غاياتها والدليل على انه ليس بهم خوف الفقر وأن الجمع والمنع انما
أن يكون عادة منهم أو طبيعة فيهم انك قد تجد الملك بخيلا ومملكته
أوسع وخرجه ادر وعدوه اسكن وتجد احزم منه جوادا وان
كانت مملكته اضيق وخرجه اقل وعدوه اشد حركة وقد علمنا
ان الزنج اقصر الناس مدة وروية واذهلهم عن معرفة العاقبة فلو
كان سخاؤهم انما هو لكلال حدهم ونقص عقولهم وقلة معرفتهم لكان
ينبغي لفارس أن تكون ابخل من الروم وتكون الروم أبخل من
الصقالبة وكان ينبغي فى الرجال فى الجملة أن يكونوا أبخل من النساء
فى الجملة وكان ينبغي للصبيان أن يكونوا أسخى من النساء وكان ينبغي

أن يكون أقل البخلاء عقلا أعقل من أشد الاجواد عقلا وكان ينبغي للكلب وهو المضروب به المثل فى اللؤم أن يكون أعرف بالامور من الديك المضروب به المثل في الجود وقالوا هو اسخى من لافظة والأم من كلب على جيفة والأم من كلب على عرق وقالوا أجع كلبك يتبعك ونعم كلب في بؤس أهله وسمن كلبك يأكلك واحرص من كلب على عقي ظبي واجوع من كلبة حومل ولهو أبداً من كلب وحش فلان من خرء الكلب وأخسأ كما يقال للكلب وكالكلب في الاري لا هو يعتلف ولا هو يترك الدابة تعتلف وقال الشاعر

سرت ما سرت من ليلها ثم عرست * على رجل بالعرج ألام من كلب

وقال الله جل ذكره فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وكان ينبغي في هذا القياس أن يكون المراوزة أعقل البرية وأهل خراسان أدرى البرية ونحن لا نجد الجواد يفر من اسم السرف الى الجود كما نجد البخيل يفر من اسم المهزم والمستحي يفر من اسم الخجل ولو قيل لخطيب ثابت الجنان وقاح لجزع فلو لم يكن من فضيلة الجود الا أن جميع المتجاوزين لحدود اصناف الخير يكرهون اسم تلك الفضلة الا الجواد لقد كان في ذلك ما يبين قدرته ويظهر فضله المال فان والنفس راغبة والاموال ممنوعة وهى على

ما منعت حريصة وللنفوس فى المكاثرة علة معروفة لان من لا فكرة له ولا روية موكل بتعظيم ذي الثروة وان لم يكن منه مناله وقد قال الاول

وزادها كلفاً بالحب أن منعت أحب شيء الى الانسان ما منعا

وفى بعض كتب الفرس كل عزيز تحت القدرة فهو ذليل وقالت معاذة العدوية كل مقدور عليه فقلو أو محقور ولو كانوا لاولادهم يجمعون ولهم يكدون ومن أجلهم يحرصون لجعلوا لهم كثيراً مما يطلبون ولتركوا محاسبتهم فى كثير مما يشتهون وهذا بعض ما بغض بعض المورثين الى الوارثين وزهد الاخلاف فى طول عمر الاسلاف ولو كانوا لاولادهم يكدون ولهم يجمعون لما جمع الخصيان الاموال ولما كنز الرهبان الكنوز واستراح العاقر من ذل الرغبة ولسلم العقيم من كد الحرص وكيف ونحن نجده بعد أن يموت ابنه الذي كان يعتل به والذي من أجله كان يجمع على حاله فى الطلب والحرص وعلى مثل ما كان عليه من الجمع والمنع والعامة لم تقصر فى مطلب والحكرة والبخلاء لم يجدوا شيئاً من جهدهم ولا عفواً بعد قدرتهم ولا قصروا في شيء من الحرص والحصر لانهم في دار قلعة وبعرض نقلة حتى لو كانوا بالخلود

موقنين لا غفلوا تلك الفضول فالبخيل مجتهد والعامي غير مقصر فمن لم يستمر على ما وصفنا بطبيعة قوية وبشهوة شديدة وبنظر شاف كان اما عابثا واما بخيلا شقيا فيقيم اعتلالهم باولادهم واحتجاجهم بخوف التلون من أزمنتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوافد كذب عنده كذبة وكان جواداً لولا خصلة ومقك الله عليها لشردت بك من وافد قوم وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك في بيض النساء وأدم الابل قال ومن هم قال بنو مدلج قال يمنعني من ذلك قراهم الضيف وصلتهم الرحم وقال لهم أيضاً اذا نحروا نحوا واذا لبوا عجوا وقال للانصار من سيدكم قالوا جد بن قيس على انه زن فينا بخل فقال وأي داء أدوى من البخل ثم جعله من أدوى الداء وقال للانصار أما والله ما علمتكم الا لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال كفى بالمرء حرصاً ركوبه البحر وقال لو ان لابن آدم واديين من مال لابتغى ثالثاً ولا يشبع ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال السخاء من الحياء والحياء من الايمان وقال ان الله جواد يحب الجود وقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال لا توكى فيوكى عليك وقال لا تحصى فيحصى عليك وقالوا لا ينفعك من زاد ما تبقى ولم يسم الذهب والفضة

بالمجرين الا وهو يريد أن يضع من اقدارهما ومن فتنة الناس بهما وقال لقيس بن عاصم انما لك من مالك ما أكلت فافنيت وما لبست فابليت أو أعطيت فامضيت وما سوى ذلك فللوارث وقال النمر ابن تواب

وحثت على جمع ومنع ونفسها ... لهافي وفي الدهر حق كذوب
وكائن رأينا من كريم مرزأ ... أخي ثقة طلق اليدين وهوب
شهدت وفاتوني وكنت حسبتني ... فقيراً الى ان يشهدوا وتغيبي
أعاذل ان يصبح صداي بقفرة ... بعيداً نآني صاحبي وقريبي
ترى أن ما أبقيت لم أك ربه ... وان الذي أمضيت كان نصيبي
وذي إبل يسعى ويحسبها له ... أخي نصب في شقها ودؤوب
غدت وغدا رب سواه يسوقها ... وبدل احجاراً وجال قليب

وقال أيضاً

قامت تباكر أن سبأت لفتية ... زقا وخابية بعود مقطع
وقريت في مقرى قلائص أربعا ... وقريت بعد قرى قلائص أربع
أتبكيا من كل شيء هين ... سفه بكاء العين مالم تدمع
فاذا أتاني اخوتي فدعيهم ... يتعللوا في العيش أو يلهوا معي
لاتطرديهم عن فراشي انهم ... لابد يوماً أن سيخلو مضجعي

هلا سألت بماذياء وبيته ... والخيل والخمر التى لم تمنع

وقال الحارث بن حلزه

بينا الفتي يسمى ويسعي له ... تاح له من أمره خالج

يترك مارقح من عيشه ... يعيث فيه همج هامج

لاتكسع الشول بأغبارها ... انك لاتدري من الناتج

وقال الهزلي

ان الكرام منا هبو ... ك المجد كلهم فناهب

أخلف وأتلف كل شى ... ء ذرعته الريح ذاهب

وقالت امرأة

أنت وهبت الفتيه السلاهب ... وابلا يحار فيها الحالب

وغنما مثل الجراد الهارب ... متاع أيام وكل ذاهب

وقال تميم بن مقبل

فأخلف وأتلف انما المال عارة ... وكله مع الدهر الذي هو آكله

وقال أبو ذرّ لك فى مالك شريكان الوارث والحدثان وقال الحطيئة

من يفعل الخير لايعدم جوازيه ... لايذهب العرف بين الله والناس

وجاء في الأثر أن أهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف فى الآخرة وفى المثل اصنع الخير ولو الى كلب وقال في الحث على القليل

فضلا على الكثير قال الله جل ذكره فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وقالت عائشة في حبة عنب ان فيها لمثاقيل ذر ولذلك قالوا في المثل من حقر حرم وقال سلم بن قتيبة يستحي أحدهم من تقريب القليل من الطعام ويأتي أعظم منه وقال جهد المرء اكثر من عفوه ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جهد المقل على عفو المكثر وان كان مبلغ جهده قليلا ومبلغ عفو المكثر كثيراً ، وقالوا لا يمنعك من معروف صغره وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال لا تردوا السائل ولو بظلف محرق وقال لا تردوه ولو بفرسن شاة وقال لا تحقروا اللقمة فانها تعود كالجبل العظيم لقول الله جل ذكره « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » وقال لا تردوه ولو بصلة حبل وقالت العرب أتاكم أخوكم يستتمكم فاتموا له وقالوا مانع الاتمام الأم وقالوا البخيل ان سأل ألحف وان سئل سوف ، وقالوا ان سئل جحد وان أعطي حقد وقالوا يرد قبل ان يسمع ويغضب قبل ان يفهم وقالوا البخيل اذا سئل ارتز واذا سئل الجواد اهتز وقال النبي صلى الله عليه وسلم ينادى كل يوم مناديان من السماء يقول أحدهما اللهم عجل لمنفق خلفاً ويقول الآخر اللهم عجل لممسك تلفا ، وقالوا شر الثلاثة المليم يمنع دره ودر غيره وقال الله جل ذكره « الذين

يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » وقالوا في المثل ان الجاك الدهر الى بخيل شر مما الجاك الى مخة عرقوب وقال النبي صلى الله عليه وسلم قل العدل وأعط الفضل وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنها كم عن عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وقال الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقالوا في الصبر على النائبة وفي عاقبة الصبر عند الصباح يحمد القوم السري وقالوا الغمرات ثم ينجلين وقال الخزيمي

ودون الندى في كل قلب ثنية | بها مصعد حزن ومنحدر سهل
وود الفتي في كل نيل ينيله | اذا ما انقضى لو أن نائله جزل

وقالوا خير الناس خير الناس للناس وشر الناس شر الناس للناس وقالوا خير مالك ما نفعك وقالوا عجبا لقرط الكبرة مع شباب الرغبة وقال الراجز

كلنا يؤمل مدا في الاجل | والمنايا هي آفات الاجل

وقال عبيد الله بن عكراش زمن خؤن ووارث شفون وكاسب حزون فلا تأمن الخؤف وكن ارث الشفون وقال يهرم ابن آدم

ويشب معه خصلتان الحرص والامل وكانوا يعيبون من يأكل وحده وقالوا ما أكل ابن عمر وحده قط وقالوا ما أكل الحسن وحده قط وسمع مجاشع الربعي قولهم الشحيح اعذر من الظالم فقال أخزى الله أمرين خيرهما الشح وقال بكر بن عبد الله لمزني لو كان هذا المسجد مفعما بالرجال ثم قيل لي من خيرهم لقلت خيرهم لهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده وقالت امرأة عند جنازة رجل أما والله ماكان مالك لبطنك ولا أمرك لعرسك

فلما بلغت الرسالة ابن التوأم كره ان يجيب أبا العاص لما في ذلك من المنافسة والمباينة وخاف ان يترقى الامر الى اكثر من ذلك فكتب هذه وبعث بها الى الثقفي

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغني ماكان من ذكر أبي العاص لنا وتنويهه باسمائنا وتشنيعه علينا وليس يمنعنا من جوابه الا انه ان أجابنا لم يكن جوابنا اياه على قوله الثاني أحق بالترك من جوابنا على قوله الاول فان نحن جعلنا لابتدائه جوابا وجعلنا لجوابه الثاني جوابا خرجنا الى التهاتر وصرنا الي التجابر ومن خرج الى ذلك فقد رضي باللجاج حظا وبالسخف نصيبا وليس يحترس من أسبابه

اللجاج الا من عرف أسباب البلوى ومن وقاه الله سوء التكفي وسخفه وعصمه من سوء التصميم ونكده فقد اعتدلت طبائعه وتساوت خواطره ومن ليس قامت اخلاطه على الاعتدال وتكافت خواطره في الوزن لم يعرف من الاعمال الاقتصاد ولم يجد أفعاله أبدا الا بين التقصير والافراط لان الموزون لايولد الامور ونا كما ان المختلف لا يولد الا مختلفا فالمتتابع لا يثنيه زجر وليست له غاية دون التلف والتكفي ليس له مأتى ولا جهة ولا له رقية ولا فيه حيلة وكل متلون في الارض فمنحل العقد ميسر لكل ريح فدع عنك خلطة الامعة فانه حارض لا خير فيه واجتنب ركوب الجموح فان غايته قبل الذواق ذي البدوات ولا في الحرون ذي التصمم والمتلون شر من المصمم اذ كنت لا تعرف له حالا بقصد اليها ولا جهة يعمل عليها ولذلك صار العاقل يخدع العاقل ولا يخدع الاحمق لان أبواب تدبير العاقل وحيله معروفة وطرق خواطره مسلوكة ومذاهبه محصورة معدودة وليس لتدبير الاحمق وحيله جهة واحدة ومن أخطأها كذب والخبر الصادق عن الشيء الواحد واحد والخبر الكاذب عن الشيء الواحد لا يحصى له عدد ولا يوقف منه على حد والمصمم قتله بالاجهاز والمتلون قتله بالتعذيب فان قلنا فليس اليه نقصد وان احتججنا فلسنا عليه نرد ولكنا اليك نقصد بالقول واليك نريد

بالمشورة وقد قالوا احفظ سرك فان سرك من دمك وسواء ذهاب نفسك وذهاب مابه يكون قوام نفسك قال المنجاب المنبرى ليس بكبير ما أصلحه المال وفقد الشيء الذى به تصلح الامور أعظم من الامور ولهذا قالوا في الابل لو لم يكن فيها الا انها رقوء الدم فالشيء الذى هو ثمن الابل وغير الابل احق بالصون وقد قضوا بان حفظ المال أشد من جمعه ولذلك قال الشاعر

وحفظك مالا قد عنيت بجمعه　　أشد من الجمع الذي أنت طالبه

ولذلك قال مشترى الارض لبائعها حين قال له البائع دفعتها اليك بطيئة الاجابة عظيمة المؤنة قال دفعتها اليك بطيئة الاجتماع سريعة التفرق والدرهم هو القطب الذى تدور عليه رحا الدنيا واعلم أن التخلص من نزوات الدرهم فتقلته من سكر الغني وتقلته شديد فلو كان اذا تقلت حارسه صحيح العقل سليم الجوارح لرده في عقاله ولشده بوثاقه ولكنا وجدنا ضعفه عن ضبطه بقدر قلقه في يده ولا تغتر بقولهم مال صامت فانه أنطق من كل خطيب وأنم من كل نمام فلا تكترث بقولهم هذين الحجرين فتتوهم جمودهما وسكونهما وقلة ظعنهما وطول اقامتهما فان عملها وهما ساكنان ونقضهما للطبائع وهما ثابتان أكثر من صنيع السم الناقع والسبع العادى فان كنت لا تكتفى بصنيعه حتى تمده ولا

تحتل فيه حتى يحتال له فالقبر خير لك من الفقر والسجن خير لك من الذل وقولي هذا مرة يعقب حلاوة الابد فخذ لنفسك بالثقة فقولك الماضي حلو تعقب مرارة الابد فخذ لنفسك بالثقة ولا ترض ان يكون الحرباء الراكب العود أحزم منك فان الشاعر يقول

انى أتيح لها حرباء تنضبة　　لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

واحذر ان تخرج من مالك درهما حتى ترى مكانه خيرا منه ولا تنظر الى كثرته فان رمل عالج لو أخذ منه ولم يرد عليه لذهب عن آخره ان القوم قد أكثروا فى ذكر الجود وتفضيله وفي ذكر الكرم وتشريفه وسموا السرف جودا وجعلوه كرما وكيف يكون كذلك وهو نتاج ما بين الضعف والنفج وكيف والعطاء لا يكون سرفا الا بعد مجاوزة الحق وليس وراء الحق الى الباطل كرم واذا كان الباطل كرما كان الحق لؤما والسرف حفظك الله معصية واذا كانت معصية الله كرما كانت طاعته لؤما ولئن جمعهما اسم واحد وشملهما حكم واحد ومضادة الحق للباطل كمضادة الصدق للكذب والوفاء للغدر والجور للعدل والعلم للجهل ليجمعن هذه الخصال اسم واحد وليشملنها حكم واحد وقد وجدنا الله عاب السرف وعاب الحمية وعاب العصبية ووجدناه قد خص السرف بما لم يخص به الحمية لانه ليس حب المرء لرهطه من العصبية ولا أنفته من الضيم من حمية

الجاهلية وانما العصبية ماجاوز الحق والحمية المعيبة ماتعدي القصد فوجدنا اسم الانفة قد يقع محمودا ومذموما ولا وجدنا اسم العصبية ولا اسم السرف يقع أبدا الا مذموما وانما يسر باسم السرف جاهل لا علم له أو رجل انما يسر به لان أحدا لا يسميه مسرفا حتي يكون عنده قد جاوز حد الجود وحكم له بالحق ثم أردفه بالباطل فان سر من غير هذا الوجه فقد شارك المادح في الخطأ وشاكله في وضع الشيء في غير موضعه وقد أكثروا في ذكر الكرم وما الكرم الا كبعض الخصال المحمودة التي لم يعدمها بعض اللئام وليس شيء يخلو من بعض النقص والوهن وقد زعم الاولون أن الكرم يسبب الغنى وأن الغني يسبب البله وانه ليس وراء البله الا المعتوه وقد حكوا عن كسرى انه قال احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع وسواء جاع فظلم واحتفظ وعسف أم جاع وكذب وضرع واسف وسواء جاع فظلم غيره أم جاع فظلم نفسه والظلم لؤم وان كان الظلم ليس بلؤم فالانصاف ليس بكرم وان كان الجود على من لا يستحق الجود كرما فالجود لمن وجب له ذلك ليس بكرم فالجود اذا كان لله كان شكرا له والشكر كرم وان يكن الجود اذا كان معصية كرما فكيف يتكرم من يتوصل بأياديك الى معصيتك وبنعمك الى سخطك فليس الكرم الا الطاعة وليس بكرم ماخالف الشكر ولئن كان مجاوز الحق كريما ليكونن المقصر دونه

كريما فان قضيتم بقول العامة فالعامة ليست بقدوة وكيف يكون قدوة من لا ينظر ولا يحصل ولا يفكر ولا يمثل فان قضيتم باقاويل الشعراء وما كان عليه أهل الجاهلية الجهلاء فما قبحوه مما لا يشك في حسنه اكثر من أن نقف عليه أو نتشاغل باستقصائه على انه ليس بجود الا ما أوجب الشكر كما انه ليس ببخل الا ما أوجب اللوم ولن تكون المطية نعمة على المطى حتى تراود بها نفس ذلك المعطى ولن يجب عليه الشكر الا مع شريطة القصد وكل من كان جوده يرجع اليه ولولا رجوعه اليه لما جاد عليك ولو تهيأ له ذلك المعنى في سواك لما قصد اليك فانما جعلك معبرا لدرك حاجته ومركبا لبلوغ محبته ولولا ان بعض القول أوجب لك عليه حقا يجب به الشكر فليس يجب لمن كان كذلك شكر وان انتفعت بذلك منه اذ كان لنفسه عمل لانه لو تهيأ له ذلك النفع في غيرك لما تخطاه اليك وانما يوصف بالجود في الحقيقة ويشكر على النفع في حجة العقل الذي ان جاد عليك فلك جاد ونفعك أراد من غير ان يرجع اليه جوده بشيء من المنافع على جهة من الجهات وهو الله وحده لا شريك له فان شكرنا الناس على بعض ما قد جرى لنا على أيديهم فانما هو لامرين أحدهما التعبد وقد نعبد الله بتعظيم الوالدين وان كانا شيطانين وتعظيم من هو شر منا وان كنا أفضل منهم والآخر لان النفس مالم تحصل الامور وتميز المعاني

بالسابق اليها أحببت من جرى لها على يده خير وان كان لم يردها ولم يقصد اليها ووجدنا عطية الرجل لصاحبه لا تخلو ان تكون لله أو لغير الله فان كانت لله فثوابه على الله وكيف يجب على في حجة العقل شكره وهو لو صادف ابن سبيل غيري لما حملني ولا أعطاني واما ان يكون اعطاؤه اياي للذكر فاذا كان الامر كذلك فانما جعلني سلما الى تجارته وسببا الي بغيته أو يكون اعطاؤه اياى من طريق الرحمة ولما يجد في فؤاده من الغصة والالم فان كان لذلك أعطى فانما داوى نفسه من دائه وكان كالذى رفه من خناقه وان كان انما أعطاني على طلب المجازاة وحب المكافأة فأمر هذا معروف وان كان انما أعطاني من خوف يدي أو لساني أو صرف معونتي ومضرتي فسبيله سبيل جميع ما وصفنا وفصلنا فلاسم الجود موضعان أحدهما حقيقة والآخر مجاز فالحقيقة ما كان من الله والمجاز المشتق له من هذا الاسم وما كان لله كان ممدوحا وكان لله طاعة فاذا لم تكن العطية من الله ولا لله فليس يجوز هذا فيما سموه جودا فما ظنك بما سموه سرفا افهم ما أنا مورده عليك وواصفه لك ان التزيد والتكسب والاستئكال بالخديعة والطعم الخبيثة فاشية غالبة ومستفيضة ظاهرة على أن كثيرا ممن يضاف اليوم الى النزاهة والتكرم والى الصيانة والتوقي ليأخذ من ذلك بنصيب وافر وبعد واف فما ظنك بدهماء الناس وجمهورهم بل ما ظنك بالشعراء

والخطباء الذين انما تعلموا المنطق لصناعة التكسب وهؤلاء قوم بودهم أن أرباب الاموال قد جاوزوا حد السلامة الى النفاية حتى لا يكون للاموال حارث ولا دونها مانع فاحذرهم ولا تنظر الى بزة أحدهم فان المسكين أورع منه ولا تنظر الى موكبه فان السائل أعف منه واعلم انه في مسلك مسكين وان كان في ثياب جداد وروحه روح تذل وان كان في جرم ملك وكلهم وان اختلفت وجوه مسئلتهم واختلفت اقدار مطالبهم فهو مسكين الا ان واحدا يطلب العلق وآخر يطلب الخرق وآخر يطلب الدوانق وآخر يطلب الالوف فجهة هذا هي جهة هذا وطعمة هذا هي طعمة هذا وانما يختلفون في اقدار ما يطلبون على قدر الحذق والسبب فاحذر رقاهم وما نصبوا لك من الشرك واحرس نعمتك وما دعوا لها من الدواعي واعمل على ان سحرهم يسترق الذهن ويختطف البصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وسمع عمر ابن عبد العزيز رجلا يتكلم في حاجة فقال هذا والله السحر الحلال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خلابة واحذر احتمال مديحهم فان محتمل المديح في وجهه كمادح نفسه ان مالك لا يسع مريديه ولا يبلغ رضا طالبيه ولو ارضيتهم باسخاط مثلهم لكان ذلك خسرانا مبينا فكيف ومن يسخط اضعاف من يرضى وهجاء الساخط أضر من فقد مديح

الراضي وعلى انهم اذا اعتوروك بمشاقصهم وتداولوك بسهامهم لم تر ممن أرضيته باسخاطهم أحداً يناضل عنك ولا يهاجي شاعراً دونك بل تخلّيك غرضاً لسهامهم ودريئة لنبالهم ثم يقول وما كان عليه لو أرضاهم كيف يرضيهم ورضا الجميع شيء لا ينال وقد قال الاول وكيف توقّي ظهر ما انت راكب وكيف تتقي رضا المختلفين وقالوا امنع الجميع أرضي للجميع اني أحذرك مصارع الخير وينهاك ويرفعك عن مناجع المغبونين انك كمن لم يزل يقاسي تعذر الامور ويتجرع مرارة العيش ويتحمل ثقل الكد ويشرب بكاس الذل حتى كاد يمرن على ذلك جلده ويسكن عليه قلبه وفقر مثلك مضاعف الالم وجزع من لم يعرف الالم أشد ومن لم يزل فقيراً فهو لا يعرف الغنى ولا يدخله المكروه من سرور الحاسدين ولا يلام على فقره ولا يصير موعظة لغيره وحديثاً يبقى ذكره ويلعنه بعد الممات ولده ودعني من حكايات المستأكلين وزرقي الخادعين فما زال الناس يحفظون أموالهم من مواقع السرف ويحبونها من وجوه التبذير ودعني مما لا تراه الا في الاشعار المتكلفة والاخبار المولدة والكتب الموضوعة فقد قال بعض اهل زماننا ذهبت المكارم الا من الكتب نخذ فيما تعلم ودع نفسك مما لا تعلم هل رأيت أحداً قط أنفق ماله على قوم كان غناهم سبب فقره انه سلم عليهم حين افتقر فضلاً على غير ذلك أو لست قد رأيتهم بين محمق ومتجنب

عنه وبين من يقول فهلا انزل حاجته بفلان الذى كان يفضله ويقدمه ويؤثره ويخصه ثم لعل بعضهم ان يتجنى عليه ذنوبا ليجعلها عذرا في منعه وسببا الى حرمانه قال الله جل ذكره يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الي السجود وهم سالمون فانا القائم عليك بالموعظة والزجر والامر والنهى وأنت سالم العقل والعرض وافر المال حسن الحال فاتق ان أقوم غدا على رأسك بالتقريع والتعيير وبالتوبيخ والتأنيب وأنت عليل القلب مختل العرض عديم من المال سيء الحال ليس جهد البلاء مدة الاعناق وانتظار وقع السيوف لان الوقت قصير والحس مغمور ولكن جهد البلاء ان تظهر الخلة وتطول المدة وتعجز الحيلة ثم لا تعدم صديقا مؤنبا وابن عم شامتا وجارا حاسدا ووليا قد تحول عدوا وزوجة مختلعة وجارية مستبيعة وعبدا يحقرك وولدا ينتهرك فانظر أين موقع فوت الثناء من موقع ما عندنا عليك من هذا البلاء على أن الثناء طعم ولعلك ان لا تطعمه والحمد ارزاق ولعلك أن لا تحرمه وما تضيع من احسان الناس اكثر وعلى أن الحفظ قد ذهب بموت أهله الا ترى ان الشعر لما كسد أفحم أهله ولما دخل النقص على كل شيء أخذ الشعر منه بنصيبه ولما تحولت الدولة في العجم والعجم لا تحوط الانساب ولا تحفظ المقامات لان

من كان في لرب والكماية ركان مغمورا بسكر الغناء كثر نسيانه وقلت خو ضره ومن احتاج تحركت همته وكثر تنقيره وعيب الغني انه يورث البلادة وفضيلة الفقر انه يبعث الفكر وان أنت صحبت الغنى باهمال النفس أسكرك الغنى وسكر الغنى سبة المستأكلين وتهمة الخداعين وان كنت لا ترضى بحفظ النائم وبعيش البهائم وأحببت ان تجمع مع تمام نفس المثرى ومع عز الغنى و . ور القدرة فطنة المخف وخواطر المقل ومعرفة الهارب واستدلال الطالب اقتصدت في الانفاق وكنت ممدا للحدثان ومحترسا من كل خداع لست تبلغ حيل لصوص النهار الحيل سراق الليل وحيل طراق البلدان وحيل أصحاب الكيمياء وحيل كتبة ار في الاسواق والصناع في جميع الصناعات وحيل أصحاب الحروب وحيل المستأكلين والمكسبين وجمع الخ بر والسحر والتمائم والسم اكانت حيلهم في الناس أشد اعلاوأعمر نبن يسري في عمق البدن وأدخل الى سويداء القلب ... م لدماغ و ... ميم الكبد ولهي أدق مسالكا وأبعد نهاية م ... الذي ... والخدت ليطالة ... الخبيثة والاقسا ... رق والحواسق والابواب الشداد والحرس ا ... وتركت التقدم فيما دو

أحضر ضررا وأدوم شرا ولا غرم عليك في الحراسة فيه ولا مشقة عليك في التحفظ منه انك ان فتحت لهم على نفسك مثل سم الخياط جعلوا فيه طريقا نهجا ولقاء رحبا فأحكم بابك ثم أدم اغلاقه فهو أولى بك وان قدرت على مصمت لا حيلة فيه فذلك أشبه بحزمك ولو جعلت الباب مبهما والقفل مصمتا لتسوروا عليك من فوقك ولو رفعت سمكه الى العيوق لنقبوا عليك من تحتك . قال أبو الدرداء نعم صومعة المؤمن بيته قال ابن سيرين العزلة عبادة وحلاوة حديثهم تدعو الى الاستكثار منهم وتدعو الى احضار غرائب شهواتهم فمن ذلك قول بعضهم لبعض أصحابه كل رخالة واشرب مشملا ثم تجشأ واحدة لو أن عليها رحا لطحنت ومن ذلك قول الآخر حين دخل على قوم وهم يشربون وعندهم قيان فقالوا اقترح أي صوت شئت قال اقترح نبش مقلو . . ذلك قول المدني من تصبيح بسبع موزات و . . . ابن الاور . . . ز الكعبة ومن ذلك قولهم لبعض هؤلاء . . . . هذا أو الفالوذج قال لا اقضى على غائب . ومن ذلك قول ا . . . ث بن لبعض الملوك جعلت فداك أي شيء في تلك السلة قال . . . فاعضني به . ومن ذلك كلام الجارود بن أبي سبرة لبلال بن أبي بردة حين قال له صف . . لا . . . فقال يأتيه الخباز فيمثل بين يديه فيقول ما عندك ويقول

عندي جدي كذا وعناق كذا وبطة كذا حتى يأتي على جميع ماعنده قال ومايدعوه الى هذا قال ليقتصر كل امرئ في الاكل حتي اذا أتى بالذي يشتهي بلغ منه حاجته قال ثم ماذا قال ثم يؤتي بالمائدة فيتضايقون حتي يخوى تخوية الظليم فيجدون ويهزل حتي اذا فتروا أكل اكل الجائع المقرور وقال آخر اشتهي ثريدة دكناء من الفلفل ورقطاء من الحمص ذات حفافين من اللحم لها جناحان من العراق أضرب فيها ضرب اليتيم عند وصي السوء وسئل بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام وما قسم لكل قوم منه فقال ذهبت الروم بالجشم والحشو وذهبت فارس بالبارد والحلو وقال عمر لفارس الشفارق والحموض فقال دوسر المدبني لنا الهرائس والقلايا ولاهل البدو اللبأ والسلاء والجراد والكماة والخبزة في الرائب والتمر بالزبد وقد قال الشاعر

الا ليت خبزا قد تسربل رائبا وخيلا من البرني فرسانها الزبد

ولهم البرمة والخلاصة والحيس والوطيئة . وقال اعرابي أتينا بتمر كافواه البعران فخبزنا منه خبزة زبت في النار فجعل الجمر يتحدر عنها تحدر الحشو عن البطان ثم ثردها فجعل الثريد يجول في الاهالة جولان الضبعان في الضفرة ثم أتانا بتمر كاعيان الورلان يوحل فيه الضرس ونعت السويق بانه من حد المسافر وطعام العجلان وغذاء المتكره وبلغة المريض

يشد فؤاد الحزين ويرد من نفس المحدود وحيد في السمين ومنعوت في الطيب قفاره يجلو البلغم ومسمونه يصفي الدم ان شئت كان ثريداً وان شئت كان خبيصا وان شئت كان طعاما وان شئت كان شرابا وقيل لبعض هؤلاء اللعامظة والمتأكلين والسفافيف المقعين ورؤى سمينا ما اسمنك قال أكلي الحار وشربي القار والاتكاء على شمالي واكلي من غير ملكي.

وقد قال الشاعر

وان امتلاء البطن في حسب الفتى قليل الغناء وهو في الجسم صالح

وقيل لآخر ما اسمنك قال قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة وقال الحجاج للغضبان بن القبعثرى ما اسمنك قال القيد والرتعة ومن كان في ضيافة الامير سمن وقيل لآخر انك لحسن السحنة قال آكل لباب البر وصغار المعز وأدهن بخام البنفسج والبس الكتان. والله لو كان من يسئل يعطى لما قام كرم العطية بلؤم المسئلة ومدار الصواب على طيب المكسبة والاقتصاد في النفقة وقد قال بعض العرب اللهم اني أعوذبك من بعض الرزق حين رأى نافجة من ماله من صداق أمه وأي سائل كان الحف مسئلة من الحطيئة وألام ومن ألام من جرير بن الخطفي والخل ومن أمنع من كثير واشح من ابن هرمة ومن كان يشق غبار ابن أبي حفصة ومن كان يصطلى بنار أبي العتاهية ومن كأبي نواس في بخله أو

كابي يعقوب الخزيمي في دقة نظره وكثرة كسبه ومن كان اكثر نحرا الجزرة لم تخلق من ابن هرمة وأطعن برمح لم ينبت وأطعم لطعام لم ينزغ من الخزيمي . فأين أنت عن ابن يسير وأين تذهب عن ابن أبي كريمة ولم تقصر في ذكر الرقاشي ولم نذكر شره إن الاعرابي شر من الحاضر سائل جبار ونابة ملاق ان مدح كذب وان هجا كذب وان سب كذب وان طمع كذب لا يعرفه الا انطف أو أحمق ولا يعطيه الا من يحبه ولا يحبه الا من هو فى طباعه ماأبطأ كم عن البذل في الحق وأسرعكم الى البذل فى الباطل فان كنتم الشعراء تفضلون والى قولهم ترجعون فقد قال الشاعر

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقي الكثير على الفساد

وقد قال الشماخ بن ضرار

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع

وقال أحيحة بن الجلاح

استغن أومت ولا يغررك ذو نشب من ابن عم ولا عم ولا خال
انى أكب على الزوراء أعمرها إن الكريم على الاقوال ذو المال

وقال أيضا

استغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغنى من استغنى عن الناس

والبس عدوك فى رفق وفى دعة ... لباس ذى اربة للدهر لباس
ولا يغرنك أضغان مزملة ... قد يضرب الدبر الدامي باحلاس

وقال سهل بن هارون

إذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي ... من أن يراني غنيا عنه بالياس
فلا يراني اذا لم يرع آصرتى ... مستمريا درواً منه بابساس
لأطلب المال كي أغنى بفضلته ... ما كان مطلبه فقرا الى الناس

وقال أبو العتاهية

أنت ما استغنيت عن صا ... حبك الدهر أخوه
فاذا احتجت إليه ... ساعة مجك فوه

وقال أحيحة بن الجلاح

فلو أني أشاء نعمت بالاً ... وباكرني صبوح أو نشيل
ولاعبني على الانماط نعس ... على أنيابهن الزنجبيل
ولكني خلقت اذاً لمال ... فابخل بعد ذلك أو أنيل

وقال آخر

أيا مصلح أصلح ولا تك مفسدا ... فان صلاح المال خير من الفقر
ألم تر أن المرء يزداد عزة ... على قومه ان يعلموا أنه مثرى

وقال عروة بن الورد

ذريني للغنى أسعى فاني ... رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وان أمسى له نسب وخير
ويقصى فى الندى وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
وتلقي ذا الغني وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ... ولكن الغنى رب غفور

وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

تلك عرساى تنطقان على عمد ... لى اليوم قول زور وهتر
سالتانى الطلاق أن رأتاما ... لى قليلا قد جئتماني بنكر
فلعلى أن يكثر المال عندي ... ويعرى من المغارم ظهرى
ويرى أعبد لنا وأواق ... ومناصيف من خوادم عشر
وتجر الاذيال فى نعمة زو ... ل تقولان ضم عصاك لدهر
ويك ان من يكن له نشب يحـ ... ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
ويجنب شر النجي ولكـ ... ـن أخا الفقر محضر كل شر

وقال الآخر

وللمال مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب

وقال الاخنس بن شهاب

وقد عشت دهرا والغواة صحابتي ... أولئك اخوانى الذين اصاحب

فأديت عني ما استعرت من الصبي ... وللمال مني اليوم راع وكاسب

وقال ابن أذينة الثقفي

أطعت النفس في الشهوات حتى ... اعادتني عسيفا عبد عبد

إذا ماجئتها قد بعت عتقا ... تعانق أو تقبل أو تفدى

فمن وجد الغني فليصطنعه ... ذخيرته ويجهد كل جهد .

وقال

من يجمع المال ولا يثبته ... ويترك العام امام جدبه

يهن على الناس هوان كلبه

وقد قيل في المثل الكل قبل المدو وقال لقيط القم و ذر للقاح واحد للسلاح . وقال أبو المعاني

ان التواني انكح العجز بنته ... وساق اليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيدا ثم قال لها اتكى ... فقصر كما عندى لان بد الفقرا

وقال عثمان بن أبي العاص ساعة لدنياك و ساعة لآخرتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال خير الصدقة ما ابقى غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقال النبي صلى الله عليه وسلم الثلث والثلث كثير انك ان تدع ولدك أغنياء خير من ان يتكففوا الناس وقال ابن

عباس وددت ان الناس غضوا من الثلث شيئا لقول النبي صلى الله عليه وسلم الثلث والثلث كثير وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت وأنتم ترون أن المجد والكرم ان أفقر نفسي باغناء غيري وان أحوط عيال غيري باضاعة عيالي وقال في ذلك ابن هرمة

كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا

وقال آخر

كمفسد ادناه ومصلح غيره ... ولم يأتمر في ذاك أمر صلاح

وقال الآخر

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت ... بنيها ولم ترقع بذلك مرقعا

وقال الله تبارك وتعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وقال ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو فاذن في العفو ولم يأذن في الجهد وأذن في الفضول ولم يأذن في الاصول وأراد كعب ابن مالك ان يتصدق بماله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك مالك فالنبي صلى الله عليه وسلم يمنعه من اخراج ماله في الصدقة وأنتم تأمرونه باخراجه في السرف والتبذير وخرج غيلان بن سلمة من جميع ماله فاكرهه عمر على الرجوع فيه وقال لو مت لرجمت قبرك

كما يرجم قبر أبي رغال وقال الله جل وعز لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك مابلغك المحل وقال ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وقال الله تبارك وتعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى وقال الله جل ذكره ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً . ولذلك قالوا خير مالك مانفعك وخير الامور أوساطها وشر السير الحقحقة والحسنة بين السيئتين وقالوا دين الله بين المقصر والغالى وقالوا في المثل بينهما يرمى الرامى وقالوا عليك بالسداد والاقتصاد ولا وكس ولا شطط وقالوا بين المخة والعجفاء وقالوا لا تكن حلوا فتبتلع ولا مرا فتلفظ وقالوا في المثل ليس الري عن التشاف وقالوا ياعاقد اذكر حلا وقالوا الرشيف أنقع للظمآن وقالوا القليل الدائم اكثر من الكثير المنقطع وقال أبو الدرداء انى لاستجم نفسى ببعض الباطل كراهة ان أحمل عليها من الحق مايملها وقال الشاعر

وانى لحلو تعتريني مرارة وانى لصعب الرأس غير جموع

وقالوا في عذل المصلح ولائمة المقتصد الشحيح اعذر من الظالم

وقالوا ليس من العدل سرعة العذل وقالوا * لعل له عذرا وأنت تلوم * وقالوا رب لائم مليم وقال الاحنف رب ملوم لا ذنب له وقال اعطاء السائل تضرية واعطاء الملحف مشاركة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصلح المسألة الا فى ثلاث فقر مدقع وغرم مفظع ودم موجع وقال الشاعر

الحر يلحي والعصا للعبد　　وليس للملحف غير الرد

وقالوا اذا جد السؤال جد المنع وقالوا احذر اعطاء المخدوعين وبذل المغبونين فان المغبون لا محمود ولا مأجور ولذلك قالوا لا تكن ادنى العيرين الى السهم يقول اذا أعطيت السائلين مالك صارت مقاتلك أظهر لاعدائك من مقاتلهم وقالوا الفرار بقراب اكيس وقال أبو الاسود ليس من العز أن تتعرض للذل ولا من الكرم ان تستدعى اللؤم ومن أخرج ماله من يده افتقر ومن افتقر فلا بد له من ان يضرع والضرع لؤم وان كان الجود شقيق الكرم فالانفة أولى بالكرم وقد قال الاول اللهم لا تنزلني ماء سوء فأكون امرأ سوء وقد قال الشاعر

وأخطو مع الدهر اذا ماخطا　　وأجري مع الدهر كما يجري

وقد قال الآخر

يا ليت لى نعلين من جلد الضبع * وشركا من استها لا تنقطع
كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع

وقد صدق قول القائل من احتاج اغتفر ومن اقتضي تجوز وقيل لديسيموس تأكل في السوق قال ان جاع في السوق اكل في السوق وقال من أجدب انتجع ومن جاع جشع وقال احذروا نفار النعمة فانها نوار وليس كل شارد مردود ولا كل ناد مصروف وقال على بن أبي طالب قلما ادبر شئ فاقبل وقالوا رب اكلة تمنع اكلات ورب عجلة تهب ريثا وعابوا من قال اكلة وموتة وقالوا لا تطلب اثرا بعد عين وقالوا لا تكن كمن تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن فانظر كيف تخرج الدرهم ولم تخرجه وقالوا أشد من المرزئة سوء الخلف وقال الشاعر

ان يكن ما به أصيب جليلا   فذهاب العزاء فيه أجل

ولان تفتقر بجائحة نازلة خير لك من ان تفتقر بجناية مكسبة ومن كان سببا لذهاب وفره لم تعدمه الحسرة من نفسه واللائمة من غيره وقلة الرحمة وكثرة الشماتة مع الاثم الموبق والهوان على الصاحب وذكر عمر بن الخطاب فتيان قريش وسرفهم فى الانفاق ومسابقتهم في التبذير فقال لخرافة أحدهم أشد على من عيلته يقول ان اغناء الفقير اهون

على من اصلاح الفاسد ولا تكن على نفسك اشأم من خوتمة وعلى أهلك اشأم من البسوس وعلى قومك اشأم من عطر منشم ومن سلط الشهوات على ماله وحكم الهوى في ذات يده فبقي حسيراً فلا يلومن الا نفسه وطوبي لك يوم تقدر على قدم تنتفع به وقال بعض الشعراء

أري كل قوم يمنعون حريمهم ... وليس لاصحاب النبيذ حريم

أخوهم اذا ما دارت الكاس بينهم ... وكلهم رث الوصال سؤوم

فهذا بياني لم أقل بجهالة ... ولكنني بالفاسقين عليم

وقد كان هذا المعني في أصحاب النبيذ أوجد فاما اليوم فقد استوى الناس قال الاضبط بن قريع لما انتقل فى القبائل فأساؤا جواره بعد أن تأذى ببني سعد بكل واد بنو سعد خذ بقولى ودع قول أبي العاص وخذ بقول من قال عش ولا تغتر وبقول من قال لا يطلب اثر بعد عين وبقول من قال املأ حبك من أول مطرة ودع ما يريبك الى ما لا يريبك اخوك من صدقك ومن أتاك من جهة عقلك ولم يأتك من جهة شهوتك وأخوك من احتمل ثقل نصيحتك فى حظك ولم تأمن لائمته بأنك فى غدك وقال الآخر

ان أخاك الصدق من لم يخدعك ... ومن يضير نفسه لينفعك

وقد قال عبيد بن الابرص

واعلم علما يقينا انه ليس يرجى لك من ليس معك

ولا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وعين من عقلك على طباعك أو ماكان لك أخ نصيح ووزير شفيق والزوجة الصالحة عون صدق والسعيد من وعظ بغيره فان أنت لم ترزق من هذه الخصال خصلة واحدة فلا بد لك من نكبة موجعة يبقى أثرها ويلوح لك ذكرها ولذلك قالوا خير مالك ما نفعك ولذلك قالوا لم يذهب من مالك ما وعظك ان المال محروص عليه ومطلوب في قعر البحار وفي رؤس الجبال وفي دغل الغياض ومطلوب في الوعورة كما يطلب في السهولة وسواء فيها بطون الاودية وظهور الطرق ومشارق الارض ومغاربها فطلبت بالعز وطلبت بالذل وطلبت بالوفاء وطلبت بالغدر وطلبت بالنسك كما طلبت بالفتك وطلبت بالصدق كما طلبت بالكذب وطلبت بالبذاء وطلبت بالملق فلم تترك فيها حيلة ولا رقية حتي طلبت بالكفر بالله كما طلبت بالايمان وطلبت بالسخف كما طلبت بالنبل فقد نصبوا الفخاخ بكل موضع ونصبوا الشراك بكل رابع وقد طلبك من لا يقصر دون الظفر وحسدك من لا ينام دون الشفاء وقد يهدأ الطالب الطوائل والمطلوب بذات نفسه ولا يهدأ الحريص بمال انه ليس في الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من الاطراف الا وأنت واحد بها المديني والبصري والحيري

وقد ترى شنف الفقراء الاغنياء وتسرع الرغبة الى الملوك وبغض الماشي للراكب وعموم الحسد في المتفاوتين وان لم تستعمل الحذر وتأخذ بنصيبك من المداراة وتتعلم الحزم وتجالس أصحاب الاقتصاد وتعرف الدهور ودهرك خاصة وتمثل لنفسك الغير حتى تتوهم نفسك فقيرا ضائعا وحتى تتهم شمالك على يمينك وسمعك على بصرك ولا يكون احد اتهم عند نفسك من ثقتك ولا أولى باخذ الحذر منه من أمينك واحتفظت احتفاظا واستأبت استلابا ذوبوا مالك وتحيفوه والزموه السل ولم يداووه وقد قالوا أبلى المال ربه وان كان احمق فلاتكونن دون ذلك الاحمق وقالوا لاتعدم صناع ثلة فلا تكونن دون تلك الصناع وقد قال الاول في المال المضيع المسلط عليه شهوات العيال ليس لها راع ولكن خلية وليس مالك المال المنفي من الاضراس فيقال فيه مرعى ولا أكولة وعشب ولا بعير فقصاراك مع الاصلاح أن يقومك بضنك وبحوائجك وبما ينوبك ولا بقاء للمال على قلة الرعي وكثرة الحلب فكن في أمرك وتقدم في حفظ مالك فان من حفظ ماله فقد حفظ الاكرمين الاكرمان الدين والعرض وقد قيل للرمي يراش السهم وعند النطاح تغلب القرناء وذاوات العرب مستأكلا وافق عمدا قالت ليس عليك نسجه فاسحب وجرّ وقد قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الناس كلهم سواء كأسنان المشط والمرء بأخيه ولا خير لك في صحبة من لا يري لك مثل ما يرى لنفسه فتعرف شأن أصحابك ومعنى جلسائه فان كانوا في هذه الصفة فاستعمل الحزم وان كانوا في خلاف ذلك عملت على حسب ذلك انى لست آمرك الا بما أمرك به القرآن ولست أوصيك الا بما أوصاك به الرسول ولا أعظك الا بما وعظ به الصالحون بعضهم بعضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقال مطرف بن الشخير من نام تحت صدف مائل وهو ينوي التوكل فليرم بنفسه من طمار وهو ينوى التوكل فأين التوقي الذى أمر الله به وأين التغرير الذي نهي عنه ومن التمس في السلامة من غير تسلم فقد وضع الطمع في موضع الاماني وانما ينجز الله الطمع اذا كان فيما أمر به وانما يحقق من الامل ما كان صوابا به وفر عمر من الطاعون فقال له أبو عبيدة تفر من قدر الله فقال نعم الى قدر الله رقيل له هل ينفع الحذر من القدر فقال لو كان الحذر لا ينفع لكان الامر به لغوا فاذا الحذر من التوكل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال في خصومة حسبي الله ابل الله عذرا فاذا أعجزك أمر فقل حسبي الله

وقال الشاعر

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا　　من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلي عذرا أو ليبلغ حاجة　　ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال الآخر

فان يكن القاضي قضي غير عادل　　فبعد أمور لا ألوم لها نفسي

وقال زهير البابي ان كان التوكل ان أكون متى أخرجت مالي ايقنت بالخلف وجعلت الخلف مالا يرجع في كيسي ومتى مالم احفظ ايقنت بانه محفوظ فاني أشهدكم اني لم أتوكل قط انما التوكل ان تعلم انك متى أخذت بأدب الله تتقلب فى الخيرة مجزي نيتك اما عاجلا واما آجلا ثم قال فلم تجر أبو بكر ولم تجر عمر ولم تجر عثمان ولم تجر الزبير ولم تجر عبد الرحمن ولم علم عمر الناس يتجرون وكيف يشترون ويبيعون ولم قال عمر اذا اشتريت جملا فاجعله ضخما فان لم يبعه الخبر باعه المنظر ولم قال عمر فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين ولم قال عثمان حين سئل عن كثرة ارباحه قال لم أرد من ربح قط ولم قيل لاتشتر عيبا ولا شيبا وهل حجر على بن أبي طالب على ابن أخيه عبدالله بن جعفر الا في اخراج المال في غير حقه واعطائه في هواه وهل كان ذلك الا في طلب الذكر والتماس الشكر وهل قال أحد

ان انفاقه كان في الخمور والقمار وفي الفسولة والفجور وهل كان الا فيما تسمونه جودا وتعدونه كرما ومن رأي ان يحجر على الكرام لكرمهم رأي ان يحجر على الحلماء لحلمهم وأي امام بعد أبي بكر تريدون وأى سلف بعد على تقتدون وكيف نرجو الوفاء والقيام بالحق والصبر على النائبة من عند لعموظ مستأكل وملاق مخادع ومنهوم بالطعام شره لايبالى باي شيء اخذ الدرهم ومن أي وجه أصاب الدينار ولا يكترث للمنة ولا يبالي ان يكون أبداً منهومامنعومآعليه وليس يبالى اذا اكل كيف كان ذلك الطعام وكيف كان سببه وما حكمه فان كان مالك قليلا فانما هو قوام معاشك وان كان كثيرا فاجعل الفاضل لعدة نوائبك ولا يأمن الايام الا المضلل ولايغتر بالسلامة الا المغفل فاحذر طوارق البلاء وخدع رجال الدهاء سمنك في أديمك وغثك خير من سمين غيرك لو وجدته فكيف ودونه أسل حداد وأنواب شداد

قالت امرأة لبعض العرب ان تزوجتني كفيتك فانشأ يقول

اذا لم يكن لى غير مالك منى | خصاص وبان الخمى ولاجر
وماخير مال ليس نافع اهله | وليس الشيخ الحي في أمره أمر

وقال الملوط القريعي

ابا هانئ لاتسأل الناس والتمس | بكفيك ستر الله فالله واسع

فلو تسأل الناس التراب لاوشكوا   إذا قلت هاتوا ان يملوا فيمنعوا

ثم رجع الحديث الى احاديث البخلاء والى طرف معانيهم وكلامهم قال ابن حسان كان عندنا رجل مقل وكان له اخ مكثر وكان مفرط البخل شديد النفج فقال له يوما اخوه ويحك انا فقير معيل وانت غني خفيف الظهر لا تعينني على الزمان ولا تواسيني ببعض مالك ولا تفرج لي عن شيء والله ما رايت قط ولا سمعت بابخل منك قال ويحك ليس الامر كما تظن ولا المال كما تحسب ولا انا كما تقول في البخل ولا في اليسر والله لو ملكت الف الف درهم لوهبت لك منها خمسمائة الف درهم ياهؤلاء فرجل يهب في ضربة واحدة خمسمائة الف يقال له بخيل. واما صاحب الثريدة البلقاء فليس عجبي من بلقة ثريدته وسائر ما كان يظهر على خوانه كعجبي من شيء واحد وكيف ضبطه وحصره وقوي عليه مع كثرة احاديثه وصنوف مذاهبه وذلك اني في كثرة ما جالسته وفي كثرة ما كان يفتن فيه من الاحاديث لم ارد خبر ان رجلا وهب لرجل درهما واحدا فقد كان يفتن في الحزم والعزم وفي الحلم والعلم وفي جميع المعاني الا ذكر الجود فاني لم اسمع هذا الاسم منه قط خرج هذا الباب من لسانه كما خرج من قلبه ويؤكد ما قلت فيه ما حدثني به طاهر الاسير فانه قال ومما يدل على ان الروم ابخل الامم انك لا تجد للجود في

لغتهم اسما يقول انما سمي الناس ما يحتاجون الى استعماله ومع الاستغناء يسقط التكلف وقد زعم ناس ان مما يدل على غش الفرس انه ليس للنصيحة في لغتهم اسم واحد يجمع المعاني التي يقع عليها هـذا الاسم وقول القائل نصيحة ليس يراد به سلامة القلب فقد يكون ان يكون الرجل سليم الصدر ولم يحدث سبب من اجله يقصد الى المشورة عليك بالذي هو وارد عليك على حسب رأيه فيك وجها انفعك ففي لغتهم اسم للسلامة واسم لارادة الخير وحسن المشورة وحملك بالرأي على الصواب فالنصيحة عندهم اسماء مختلفة اذا اجتمعت دلت على ما يدل عليه الاسم الواحد في لغة العرب فمن قضى عليهم بالغش من هذا الوجه فقد ظلم . (وحدثني) ابراهيم بن عبد العزيز قال تغديت مع راشد الاعور فأتونا بجام فيه بياح سبخي الذي يقال له الدراج فجعلت آخذ الواحدة فاقطع رأسها ثم أعزله ثم أشقها باثنين من قبل بطنها فآخذ شوكة الصلب والاضلاع فاعزلها وأرمي بما في بطنها وبطرف الذنب والجناح ثم أجمعها في لقمة واحدة وآكلها وكان راشد يأخذ البياحة فيقطعها قطعتين فيجعل قطعة في لقمة لا يلقى رأسا ولا ذنبا فصبر لي على لقم عدة فلما بلغت المجهود منه قال أي بني اذا أكلت الطعام فكل خيره بشره (قال) وكان يقول لم انتفع باكل التمر قط الا مع الزنج وأهل أصبهان فاما الزنجي

فانه لايتخير وانا أتخير وأما الاصبهاني فانه يقبض القبضة ولا يأكل من غيرها ولا ينظر الى مابين يديه حتى يفرغ من القبضة وهذا عدل والتخير قرفة وجور لاجرم ان الذى يبقي من التمر لاينتفع به العيال اذا كان قدام من يتخير وكان يقول ليس من الادب ان تجول يدك في الطبق وانما هو تمر وما أصاب . وزعم سرى بن مكرم وهو ابن أخي موسي بن جناح قال كان موسى يامرنا أن لا نأكل مادام أحد منا مشغولا بشرب الماء وطلبه فلما رآنا لانطاوعه دعا ليلة بالماء ثم خط باصبعه خطا في أزرة كانت بين أيدينا فقال هذا نصيبي لاتعرضوا له حتى انتفع بشرب الماء وأحاديثه فى صدر الكتاب وهذا منها وقال المكي لبعض من كان يتمشى ويفطر عند الباسياني ويحكم كيف تسيغون طعامه وأنتم تسمعونه يقول انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً ثم ترونه لايقرأها الا وأنتم على العشاء ولا يقرأ غير هذه الآية انتم والله ضد الذي قال

اليان ابل تملة بن مساور   مادام يملكها على حرام
وطعام عمران بن اوفي مثله   مادام يسلك في البطون طعام
إن الذين يسوغ فى اعناقهم   زاد يمن عليهم للئام

قال فتي تعجب اعجب من خمسين رجلا من العرب فيهم ابو

وافع الكلابي وهو شاعر ندى يفطرون عند ابي عثمان الاعور فافطاري من طعام نصراني اشد من افطاري من طعام مسلم يقرأ القرآن ويقول الحق . (وحدثني) ابو المنجوف السدوسي قال كنت مع ابي ومعنا شيخ من موالى الحي فمررنا بناطور على نهر الابلة ونحن تعبون فجلسنا اليه فلم يلبث ان جاءنا بطبق عليه رطب سكر وجيسوان اسود فوضعه بين ايدينا فأكل الشيخ الذى كان معنا فلما رأيت ابى لا يأكل لم آكل ولى الى ذلك حاجة فاقبل الناطور على أبي فقال لم لا تأكل قال والله اني لاشتهيه ولكن لااظن صاحب الارض اباح لك اطعام الناس من الغريب فلو جئتنا بشيء من السهريز والبرني لاكلنا فقال مولانا وهو شيخ كبير السن ولكنى انا لم انظر في شيء من هذا قط (قال) المكى دخل اسماعيل بن غزوان الى بعض المساجد يصلي فوجد الصف تاما فلم يستطع ان يقوم وحده فجذب ثوب شيخ في الصف ليتأخر فيقوم معه فلما تأخر الشيخ ورأى اسماعيل الفرجة تقدم فقام في موضع الشيخ وترك الشيخ قائما خلفه ينظر فى قفاه ويدعو الله عليه وكان ثمامة يحتشم ان يقعد على خوانه من لا يأنس به ومن رأيه ان يأكل بعض غلمانه معه فجلس قاسم التمار يوما على غدائه بعض من يحتشمه فاحتمل ذلك ثمامة في نفسه ثم عاد بعد ذلك الى مثلها فقمل ذلك

مرارا حتى ضج ثمامة واستفرغ صبره فأقبل عليه فقال ما يدعوك الي هذا لو أردتهم لكان لساني مطلقا وكان رسولي يؤدي عني فلم تحبس على طعامي من لا آنس به قال انما أريد ان أسخيك فانفي عنك التبخيل وسوء الظن فلما ان كان بعد ذلك أراد بعضهم الانصراف فقال له قاسم أين تريد قال قد تحرك بطني فأريد المنزل قال فلم لا تتوضأ هاهنا فان الكنيف خال نظيف والغلام فارغ نشيط وليس من أبي معن حشمة ومنزله منزل اخوانه فدخل الرجل فتوضأ فلما كان بعد أيام حبس آخر فلما كان بعد ذلك حبس آخر فاغتاظ ثمامة وبلغ في الغيظ مبلغا لم يكن على مثله قط ثم قال هذا يحبسهم على غدائي لان يسخيني يحبسهم على ان يخرؤا عندي لم لان من لم يخري الناس عنده فهو بخيل على الطعام وقد سمعتهم يقولون فلان يكره ان يؤكل عنده ولم أسمع أحدا قط قال فلان يكره ان يخرأ عنده وكان قاسم شديد الاكل شديد الخبط قذر المؤاكلة وكان أسخي الناس على طعام غيره وابخل الناس على طعام نفسه وكان يعمل عمل رجل لم يسمع بالحشمة ولا بالتجمل قط فكان لا يرضى بسوء ادبه على طعام ثمامة حتى يجر معه ابنه ابراهيم وكان بينه وبين ابراهيم ابنه في القذر بقدر ما بينه وبين جميع العالمين فكانا اذا تقابلا على خوان ثمامة لم يكن لاحد

على اعانهما وشمائلهما حظ في الطيبات فأتوه يوما بقصعة ضخمة فيها ثريدة كهيئة الصومعة مكللة باكليل من عراق باكثر مايكون من العراق فاخذ قاسم الذى يستقبله ثم أخذ يمنة واخذ مابين يدى من كان بينه وبين ثمامة حتي لم يدع الاعرقا قدام ثمامة ثم مال على جانبه الايسر فصنع مثل ذلك الصنيع وعارضه ابنه وحاكاه فلما ان نظر ثمامة الى الثريدة مكشوفة القناع مسلوبة عارية واللحم كله بين يديه وبين يدي ابنه الا قطعة واحدة بين يديه تناولها فوضعها قدام ابراهيم ابنه ولم يدفعها واحتسب بها فى الكرامة والبر فقال قاسم لما فرغ من غدائه اما رأيتم اكرام ثمامة لابنى وكيف خصه فلما حكي هذا لى قلت ويلك ما اظن ان في الارض عرقا اشأم على عيالك منه هذا احرجه الغيظ وهذا الغيظ لايتركه حتي يتشفى منك فان قدر لك على ذنب فقد والله هلكت وان لم يقدر عليه قدره لك الغيظ وابواب التجني كثيرة وليس احد الا وفيه ما ان شئت جعلته ذنبا فكيف وأنت ذنوب من قرنك الى قدمك وكان ثمامة يفطر أيام كان في أصحاب الشاطيط ناسا فكثروا عليه وأتوه از قاع والشفاعات وفى حشوة المتكلمين اخلاق قبيحة وفيهم على أهل الكلام وعلى أرباب الصناعات محنة عظيمة فلما رأي ثمامة ماقد دهمه اقبل عليهم وهم يتعشون فقال ان الله عز وجل لايستحي

من الحق كلكم واجب الحق ومن لم تجئنا شفاعته فاكرمه كمن تقدمت شفاعته كما انا لو استطعنا ان نعمكم بالبر لم يكن بعضكم أحق بذلك من بعض فكذلك انتم اذا اعجزنا أو بدا لنا فليس بعضكم أحق بالحرمان من بعض أو بالحمل عليه أو بالاعتذار اليه من بعض ومتى قربتكم وفتحت بابي لكم وباعدت من هو اكثر منكم عددا وأغلقت بابي دونهم لم يكن في ادخالي اياكم عذر لي ولا في منع الآخرين حجة فانصرفوا ولا تعودوا (قال) أبو محمد المروضي وقعت بين قوم عربدة فقام المغني يحجز بينهم وكان شيخا مميلا بخيلا فمسك رجل بحلقه فعصره فصاح معيشتي معيشتي فتبسم وتركه. (وحدثني) ابن أبي كريمة قال وهبوا للكناني المغني خابية فارغة فلما كان عند انصرافه وضعوها له على الباب فلم يكن عنده كراء مالها وأدركه مايدرك المغنين من التيه فلم يحملها فكان يركلها ركلة فتدحرج وتدور بمبلغ حمية الركلة ويقوم من ناحية كي لايراه انسان ويري ماصنع ثم يدنو منها ثم يركلها أخرى فتدحرج وتدور ويقف من ناحية فلم يزل يفعل ذلك الى ان بلغ بها المنزل. (قالوا) كان عبدالنور كاتب ابراهيم ابن عبدالله بن الحسن قد استخفى بالبصرة في عبد القيس من امير المؤمنين ابي جعفر وعماله وكان في غرفة قدامها جناح وكان لايطلع

رأسه منها فلما سكن الطلب شيئا وثبت عنده حسن جوار القوم صار يجلس في الجناح يرضي بان يسمع الصوت ولا يري الشخص لما في ذلك من الانس عند طول الوحشة فلما طالت به الايام ومرت ايام السلامة جعل في الجناح خرقا بقدر عينه فلما طالت الايام صار ينظر من شق باب كان مسدودا ثم مازل يفتحه الاول فالاول الى ان صار يخرج رأسه ويبدي وجهه فلما لم ير شيئا يريبه قعد في الدهليز فلما زاد في الانس جلس على باب الدار ثم صلي معهم في مصلاهم ودخل ثم صلى بعد ذلك وجلس والقوم عرب وكانوا يفيضون في الحديث ويذكرون من الشعر الشاهد والمثل ومن الخبر الايام والمقامات وهو في ذلك ساكت اذا اقبل عليه ذات يوم فتى منهم خرج عن ادبهم واغفل بعض ماراضوه به من سترهم فقال له ياشيخ انا قوم نخوض في ضروب فربما تكلمنا بالمثابة وانشدنا الهجاء فلو اعلمتنا ممن انت تجنبنا كل ما يسوءك ولو اجتنبنا اشعار الهجاء كلها واخبار المثالب بأسرها لم نأمن ان يكون ثناؤنا ومديحنا لبعض العرب مما يسوءك فلو عرفتنا نسبك كفيناك سماع ما يسوءك من هجاء قومك ومن مديح عدوك فلطمه شيخ منهم وقال لا أم لك محنة كمحنة الخوارج وتنقير كتنقير

العيايين ولم لا تدع ما يريبك الى ما لا يريبك فسكت الا عما توفن بانه يسره (قال) وقال عبد النور ثم ان موضعي نبابي لبعض الامر فتحولت الى شق بني تميم فنزلت برجل فاخذته بالثقة واكمنت نفسي الى ان اعرف سبيل القوم وكان للرجل كنيف الى جانب داره يشرع في طريق لا ينفذ الا ان من مربه في ذلك الشارع رأى مسقط الغائط من خلاء ذلك الجناح وكان صاحب الدار ضيق العيش فاتسع بنزولي عليه فكان القوم اذا مروا به ينظرون الى موضع الزبل والغائط فلا يذهب قلبي الى شيء مما كانوا يذهبون اليه فبينا انا جالس ذات يوم اذا انا باصوات ملتفة على الباب واذا صاحبي ينتفي ويعتذر واذا الجيران قد اجتمعوا اليه وقالوا ما هذ الثلط الذي يسقط من جناحك بعد ان كنا لا نرى الا شيئا كالبعر من يبس الكعك وهذا ثلط بعير عن اكل غض ولولا انك انتجعت على بعض من تستر وتواري لاظهرته وقد قال الاول

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

ولولا ان هذا طلبة السلطان لما تواري فلسنا نأمن من ان يجر على الحي بلية ولست تبالى اذا حسنت حالك في عاجل ايامك الى ما يفضي بك الحال وماتاتي عشيرتك فاما ان تخرجه الينا واما

ان تخرجه عنا قال عبد النور فقلت هذه والله القيافة لا قيافة بني مدلج انا لله خرجت من الجنة الى النار وقلت هذا وعيد وقد اعذر من انذر فلم اظن ان اللؤم يبلغ ما رأيت من هؤلاء ولا ظننت ان الكرم يبلغ ما رأيت من أولئك شهدت الاصمعي يوما واقبل على جلسائه يسألهم عن عيشهم وعما ياكلون ويشربون فاقبل على الذى عن يمينه فقال ابا فلان ماأدمك قال اللحم قال أكل يوم لحم قال نعم قال وفيه الصفراء والبيضاء والحمراء والكدراء والحامضة والحلوة والمرة قال نعم قال بئس العيش هذا ليس هذا عيش آل الخطاب كان عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا وكان يقول مد من اللحم كمد من الخمر ثم سأل الذى يليه قال ابا فلان ما ادامك قال الادام الكثيرة والالوان الطيبة قال أفي ادامك سمن قال نعم قال فتجمع السمن والسمين على مائدة قال نعم قال ليس هذا عيش آل الخطاب كان ابن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا وكان اذا وجد القدور المختلفة المطعوم كدرها في قدر واحدة وقال ان العرب لو اكلت هذا لقتل بعضها بعضا ثم يقبل على الآخر فيقول ابا فلان ماأدمك قال اللحم السمين والجدى الرضيع قال فتأكله بالحوارى قال نعم قال

ليس هذا عيش آل الخطاب كان ابن الخطاب يضرب على هذا او ما سمعته يقول اترونى لا اعرف الطعام الطيب لباب البر بصغار المعزى ألا تراه كيف ينتقي من أكله وينتحل معرفته ثم يقبل على الذي يليه فيقول ابا فلان ما ادمك فيقول اكثر ما آكل لحوم الجزر ونتخذ منها هذه القلايا ونجعل بعضها شواء قال أفتأكل من اكبادها واسنمتها ونتخذ لك الصباغ قال نعم قال ليس هذا عيش آل الخطاب كان ابن الخطاب يضرب على هذا أوماسمعته يقول أترونى لا اقدر ان أتخذ اكبادا وافلاذا وصلائق وصنابا لا تراه كيف ينكر أكله ويستحسن معرفته ثم يقول للذي يليه أبا فلان ما ادمك فيقول الشبارقات والاخبصة والفالوذجات قال طعام العجم وعيش كسري ولباب البر بلعاب النحل بخالص السمن حتى أتي على آخرهم كل ذلك يقول بئس العيش هذا ليس هذا عيش آل الخطاب كان ابن الخطاب يضرب على هذا فلما انقضى كلامه اقبل عليه بعضهم فقال يا أبا سعيد ماأدمك قال يوما تمار ويوما لحم عيش آل خطاب ثم قال قال أبو الاشهب كان الحسن يشترى لاهله كل يوم بنصف درهم لحما فان غلا فبدرهم فلما حبس عطاؤه كانت مرقته بشحم وثبت عن رجل من قريش انه كان يقول من لم يحسن يمنع لم يحسن يعطى وانه قال لابنه

أى بنى انك ان أعطيت فى غير موضع الاعطاء أوشك ان تستعطى الناس فلا تعطى ثم أقبل علينا فقال هل علمتم ان اليأس اقل من القناعة واعز ان الطمع لا يزال طمعا وصاحب الطمع لا ينتظر الاسباب ولا يعرف الطمع الكاذب من الصادق والعيال عيالان شهوة مفسدة وضرس طحون واكل الشهوة اثقل من اكل الضرس وقد زعموا ان العيال سوس المال وانه لا مال لذى عيال وانا اقول ان الشهوة تبلغ مالا يبلغ السوس وتأتي على ما يقصر دونه العيال وقد قال الحسن ما عال احد قط عن قصده وقيل لشيخ من اهل البصرة مالك لا ينمى لك مال قال لاني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال وقد رأيت من تقدم عياله ماله فجبره الاصلاح ورفده الاقتصاد واعانه حسن التدبير ولم ار لشهواتي تدبيرا ولا لشرهي صبرا وقال اياس بن معاوية ان الرجل يكون عليه الف فيصلح فتصلح له الغلة ويكون عليه الفان فينفق الفين فيصلح فتصلح له الغلة فيكون عليه الفان فينفق ثلاثة آلاف فيبيع العقار فى فضل النفقة وذكر المحدث عن أبي لينة قال كنت أرى زيادا وهو امير يمر بنا على بغلة فى عنقها حبل من ليف مدرج على عنقها وكان سلم بن قتيبة يركب بغلة وحده ومعه اربعة آلاف رابطة ورأيت الفضل بن عيسى على حمار وهو امير وقال

بذلة نبي وقعود جبار ولو شاء ابو سيارة ان يدفع بالعرب على جمل مهري اوفرس عتيق لفعل ولكنه اراد هدى الصالحين وحمل عمر على برذون فهملج تحته فنزل عنه فقال لاصحابه جنبوني هذا الشيطان ثم قال لاصحابه لاتطلبوا العز لغير مااعزكم الله به ٠٠ وقد كنت أعجب من بعض السلف حيث قال ماعرف شيئا مما كان الناس عليه الا الاذان وانا اقول ذلك ولم يزل الناس في هبوط ما ترفهوا بالاسراف ومارفعوا البنيان المطاولة وان من اعجب ما رأيت في هذا الزمان او سمعت مفاخرة موسى بن عمران لابي عبيد الله بن سليمان في أيهما كان اسبق الى ركوب البراذين وما للتاجر وللبرذون وما ركوب التاجر للبراذين الا كركوب العرب البقر لو كانوا اذا جلسوا في الحيوس واتخذوا الحمامات في الدور واقاموا وظائف الثلج والريحان واتخذوا القيان والخصيان استرد الناس ودائعهم واسترجعت القضاة اموال الايتام والحشرية منهم لعادوا الى دينهم وعيشهم واقتصادهم واذ رآهم اصحاب الغلات واهل الشرف والبيوتات انهم ان يكونوا دونهم في البزة والهيئة فهلكوا واهلكوا زعم أبو يعقوب الخريمي ان جعفر بن يحيى أراد يوما حاجة كان طريقه اليها على باب الاصمعي وانه دفع الى خادم له كيسا فيه الف دينار وقال له سأنزل في رجعتي الى الاصمعي

وسيحدثني ويضحكني واذا رآني قد ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما دخل فرأى حبا مقطوع الرأس وجرة مكسورة العروة وقصعة مشعبة وجفنة أعشارا وزاده على مصلى بال وعليه بركان اجرد غمز غلامه بعينه أن لا يضع الكيس بين يديه ولا يدفع اليه شيئا فلم يدع الاصمعي شيئا مما يضحك الثكلان والغضبان الا أورده عليه فما تبسم فقال له انسان ما أدرى من أى أمريك أعجب أمن صبرك على الضحك وقد أورد عليك مالا يصبر على مثله ام من تركك اعطاءه وقد كنت عزمت على اعطائه وهذا خلاف ما أعرفك به قال ويلك من استرعى الذئب فقد ظلم ومن زرع سبخة حصد الفقر اني والله ان لو علمت انه يكتم المعروف بالفعل لما ارتفقت بنشره له باللسان واين يقع مديح اللسان من مديح آثار الغنى على الانسان فاللسان قد يكذب والحال لا تكذب لله در نصيب حيث يقول

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

أعلمت أن ناووس باروبه امدح له من شعر زهير لآل سنان ابن أبي حارثة لان الشاعر يكذب ويصدق وبنيان المرتب لا يكذب مرة ويصدق مرة فلست بعائد الى هذا بمعروف ابدا كان الاصمعي يتعوذ بالله من الاستقراض والاستفراض فانعم الله عليه حتى صار هو

المستقرض منه والمستقرض ما عنده فاتفق ان اتاه في يوم واحد رجلان وكان أحدهما يطلب القرض والآخر يطلب القرض هجما عليه مما أثقله ذلك وملأ صدره ثم اقبل على صاحب السلف فقال تتبدل الافعال بتبدل الحال ولكل زمان تدبير ولكل شيء مقدار والله في كل يوم في شأن كان الفقيه يمر باللقطة فيتجاوزها ولا يتناولها كي يمتحن بحفظها سواه اذ كان جل الناس في ذلك الدهر يردون الامانة ويحوطون اللقطة فلما تبدلوا وفسدوا وجب على الفقيه احرازها والحفظ لها وان يصبر على ما نابه من المحنة واختبر به من الكلفة وقد بلغني ان رجلا اتى صديقا له يستقرض منه مالا فتركه بالباب ثم خرج اليه مؤتزرا فقال له مالك قال جئت للقتال واللطام والخصومة والصخب قال ولم قال لانك في أخذ مالي بين حالين اما ان تذهب به واما ان تمطلني به فلو أخذته على طريق البر والصلة لاعتددت عليك بحق ولو وجب عليك به شكر واذا اخذته من طريق السلف كانت العادة في الديون والسيرة في الاسلاف الرد أو التقاضي واذا تقاضيتك اغضبتك واذا أغضبتك اسمعتني ما اكره فتجمع علي المطل وسوء اللفظ والوحشة وافساد اليد في الاسلاف وأنت أظلم فاغضب كما غضبت فاذا نقلتني

الى حالك فملت فملك وصرت أنا وأنت كما قال العربي انا تئق وصاحبي مئق فما ظنك بئق من الغيظ مملوء من الغضب لاني متأق من الموق مملوء من النكران ولكني أدخل الى المنزل فاخرج اليك مؤتزا فاعجل لك اليوم ما اخرته الى غد وقد علمت ان ضرب الموعظة دون ضرب الحقد والسخيمة فتربح صرف ما بين الالمين وفضل ما بين الشتمين وبعد فانا اضن بصداقتي لك واشح على نصيبي منك من ان اعرضه للفساد وان اعينك على القطيعة فلا تلمني على ان كنت عندي واحدا من اهل عصرك فان كنت عند نفسك فوقهم وبعيدا من مذهبهم فلا تكلف الناس علم الغيب فتظلمهم ثم قال وما زالت العارية مؤداة والوديعة محفوظة فلما قالوا أحق الخيل بالركض المعار بعد ان كان يقال احق الخيل بالصون المعار وبعد ان قيل لبعضهم ارفق به قال انه عارية وقال الآخر فاقتل فسدت العارية واستد هذا الباب ولما قالوا

شمر قميصك واستعد لنابل   واحكك جبينك للقضاء بثوم
واخفض جناحك ان مشيت تخشعا   حتى تصيب وديعة ليتيم

وحين اكلت الامانات الامناء والاوصياء ورتع فيها المعدلون والصرافون وجب حفظها ودفنها وكان اكل الارض لها خيرا من اكل الخؤون الفاجر واللئيم الغادر وهذا مع قول اكثم بن صيفي في ذلك

الدهر لو سئلت العارية اين تذهبين قالت اكسب اهلي ذما وانا اليوم انهي عن العارية والوديعة وعن القرض والفرض وا كره ان يخالف قولي فعلي اما القرض فلما انبأتكم واما الفرض فليس يسعه الا بيت المال ولو وهبت لك درهما واحدا لفتحت على مالي بابا لا يسده الجبال والرمال ولو استطعت ان اجعل دونه ردما كردم يأجوج ومأجوج ان الناس فاغرة افواههم نحو من عنده دراهم فليس يمنعهم من النهس ولا اليأس وان طمعوا لم تبق راغيه ولا ثاغيـة ولا سبد ولا لبد ولا صامت ولا ناطق الا ابتلعوه والتهموه اتدري ماتريد بشيخك انما تريد ان تفقره فاذا افقرته فقـد قتلته وقد تعلم ماجاء في قتل النفس المؤمنة فلم اشبه قول الاصمعي لهذا الرجل حين قال اضن بك واشح على نصيبي منك من ان اعرضه للفساد الا بقول ثمامة حين قال لابن سافري ياعاض بظر امه بالنظر مني أقول لك وبالشفقة مني أسبك وذلك انه ندم حين أعضه فرأى ان هذا القول يجعـل ذلك منه يداً ونعمة وشهدت ثمامة وأتاه رجل قال لي اليك أيضا حاجة فقال ثمامة ولي اليـك ايضا حاجة قال وماحاجتك قال لست اذكرها لك حتى تضمن لي قضاءها قال نعم قال فحاجتي ان لا تسألني هذه الحاجة قال انك لاتدري ماهى قال بلى قد دريت قال فما هى قال هي حاجة وليس

يكون الشيء حاجة الا وهي تخرج الى شيء من الكلفة قال فقد رجعت عما أعطيتك قال لكني لا ارد ما اخذت فاقبل عليه آخر فقال لى حاجة الى منصور بن النعمان قال قل لى حاجة الى ثمامة بن اشرس لاني انا الذى اقضي لك الحاجة ومنصور يقضيها لى ثم قال فانا لا اتكلم في لدراهم من قلوب الناس لان الحوائج تنقص فمن سألته اليوم ان يعطيك سألني غداً ان اعطي غيرك فتعجيلى تلك المطية لك اروح لى ليس عندى دراهم ولو كان عندى دراهم لكانت نوائبي القائمة الساعة تستغرقها ولكني اؤنب لكم من شئتم على لكم من التأنيب كل ما تريدون قلت له فاذا اتيت رجلا فى امر لم نتقدم فيه بمسئلة كيف يكون جوابه لك فضحك حتى استند الى الحائط . وجاء مرة ابو همام السوط يكلمه في مرمة داره التي تطوع ببنائها فى رباط عبادان فقال ذكرتني الطعن وكنت ناسياً قد كنت عزمت على هدمها حين بلغني ان الجبرية قد نزلتها قال سبحان الله تهدم مكرمة وداراً قد وقفتها للسبيل قال فتعجب من ذا قد اردت ان اهدم المسجد الذى كنت بنيته ليزيد بن هاشم حين ترك أن يبنيه في الشارع وبناه في الرائغ وحين بلغنى ان يخلط في الكلام و يعين الشمرية على المعتزلة فلو اراده ابو همام وجد من ثمامة مربدا جميع مساحة الارض وكان حين

يستوى لك اللفظ لا ينظر في صلاح المعاني من فسادها . وتمشى رجل الى الناضرى قال ان صديقك العادمى قد قطع عليه الطريق قال فاى شيء تريد قال ان تخاف عليه قال فليس عليه قطع الطريق بل على قطع واتى ابن سكاب الصيرفى صديق له يستلف منه مالا فقال لو شئت ان اقول لقلت وان اعتل اعتللت وان استعير بعض كلام من يستلف منه اخوانه فعلت وليس ارى شيئاً خيرا من التصحيح وقشر العصا ليس افعل فان التمست لي عذرا فهو اروح لقلبك وان لم تفعل فهو شر لك وضاق الفيض بن يزيد ضيقاً شديداً فقال والله ما عندنا من شيء نعول عليه وقد بلغ السكين العظم والبيع لا يكون الا مع طول المدة والرأى ان ننزل هذه النائبة بمحمد بن عباد فانه يعرف الحال وصحة المعاملة وحسن القضاء ومالنا من السبب المنتظر فلو كتبت اليه كتابا لسره ذلك ولسد منا هذه الخلة القائمة الساعة فتناول القلم والقرطاس ليكتب اليه كتاب الواثق المدل لا يشك انه سيتلقي حاجته بمثل ما كان هو المتلقي لها منه. ومضى بعض من كان فى المجلس الى محمد بن عباد ليبشره بسرعة ورود حاجة الفيض اليه فاتاه امر لا يقوم لكتابه ليشغله بحاجته اليه عن حاجته اليه فكتب اليه مالى يضعف والدخل قليل والعيال كثير

والسعر غال وارزاقنا من الديوان قد احتبست وقد نفتحت علينا من ابواب النوائب فى هذه الايام مالم يكن لنا في حساب فان رأيت ان تبعث الى بما امكنك فعجل به فان بنا اليه اعظم الحاجة فورد الكتاب على الفيض قبل كتابه اليه فلما قرأه استرجع وكتب اليه يااخى تضاعفت على المصيبة حتى جمعت الى خلة عيالك خلة عيالى وقد كنت على الاحتيال لهم وسأضطرب في وجوه الحيل غير هذا الاضطراب وساتحرك في بيع ما عندى ولو ببعض الطرح فلما رجع الكتاب الي ابن عباد سكن والقى صاحبه فى اشد الحركة واتعب التعب . وكان رجل من ابناء الحربية له سخاء واريحية وكان يكثر من استزارة ابن عباد ويتاف عليه من الاموال من طريق الرغبة في الادباء وفي مشائخ الظرفاء وكان يظن بكرمه ان زيارته ابن عباد فى منزله زيادة في المؤانسة وقدكان بلغه امساكه ولكنه لم يظن انه لاحيلة له في سببه فاتاه يوما متطرئا وقال جئتك من غير دعاء وقد رضيت بما حضر قال فليس يحضر شيء وقولك بما حضر لابد من ان يقع على شيء قال فقطعة مالح قال وقطعة مالح ليس هى شىء قال بلى فنحن نشرب علي الريق قال لوكان عندنا نبيذ كنا في عرس قال فانا ابعث الي نبيذ قال فاذا صرت الى تحويل النبيذ فحول ايضا

مايصلح للنبيذ قال ليس يمنعني من ذلك ومن احضار النقل والريحان الا ان احتسب لك هذه الزورة بدعوة وليس يجوز ذلك الا بان يكون لك فيها اثر قال محمد فقد انفتح لي باب لكم فيه صلاح وليس علي فيه فساد في هذه النخلة زوج ورشان ولهما فرخان مدركان وان نحن وجدنا انسانا يصعدها فانها سحيقة منجردة ولم يطيرا فانهما قد صارا ناهضين جعلنا الواحد طباهجة والآخر كردناجا فانه يوم كردناج فطلبوا في الجيران انسانا يصعد تلك النخلة فلم يقدروا عليه فدلوهم على اكار لبعض اهل الحربية فما زال الرسول يطلبه حتى وقع عليه فلما جاء ونظر الي النخلة قال هذه لا تصعد ولا يرتقي عليها الا بالتبليا والبربند فكيف اورمها انا بلا سبب فسألوه ان يلتمس لهم ذلك فذهب فغبر مليا ثم اتاهم به فلما صار في اعلاها طار احدهما وانزل الآخر فكان هو الطباهج والكردناج وهو الغداء وهو العشاء وكتب ابراهيم بن سيابة الي صديق له يساويه في الادب ويرتفع عليه في الحال وكان كثير المال كثير الصامت يستلف منه بعض ما يرتفق به الى ان ياتيه بعض مايؤمل فكتب اليه صديقه هذا يعتذر ويقول ان المال مكذوب له وعليه والناس يضيفون الى الناس في هذا الباب ما ليس عندهم وانا اليوم مضيق وليست

الحال كما نحب واحق من عذر الصديق العاقل فلما ورد كتابه على ابن سبابة * كتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً

قال عمر والجاحظ احتجنا عند التطويل وحين صار الكتاب طويلا وكبيراً الي ان يكون قد دخل فيه من علم العرب وطعامهم وما يتمادحون به مايتهاجون به شيء وان قل ليكون الكتاب قد انتظم جمل هذا الباب ولولا ان يخرج من مقدار شهوة الناس لكان الخبر عن العرب والاعراب اكثر من جميع هذا الكتاب الطعام ضروب والدعوة اسم جامع وكذلك الزلة ثم منه العرس والخرس والاعذار والوكيرة والنقية والمأدبة اسم لكل طعام دعيت اليه الجماعات قال الشاعر

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى　　لاترى الآدب فينا ينتقر

وجاء في الحديث القرآن مأدبه الله وقد زعم ناس ان العرس هو الوليمة لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن أولم ولو بشاه وكان ابن عون والاصمعي من بعده يذمان عمر و بن عبيد ويقولان لايجيب الولائم يجعلان طعام الاملاك والاعراس والسبوع والختان وليمة والعرس معروف الا ان المفضل الضبي زعم ان هذا

الاسم مأخوذ من قولهم لاعطر بعد عروس وكان الاصمعي يجعل العروس رجلا بعينه كان بني على اهله فلم يتعطر له فسمى بعد لذلك كل بان على اهله بذلك الاسم ومثل هذا لا يثبت الا بان يستفيض في الشعر ويظهر في الخبر واما الخرس فالطعام الذي يتخذ صبيحة الولادة للرجل والنساء وزعموا ان اصل ذلك مأخوذ من الخرسة والخرسة طعام النفساء قالت جارية ولدت حين لم يكن لها من يخدمها ويمارس النفساء تخرسي لامخرسة لك وفي الخرسة يقول مساور الوراق

اذا اسدية ولدت غلاماً　　فبشرها بلؤم في الغلام
تخرسها نساء بني دبير　　بأخبث مايجدن من الطعام

وقال ابن القميئة

شركم حاضر وخيركم د　　رخروس من الارانب بكر

فالخروس هي صاحبة الخرسة والاعذار طعام الختان يقال صبي معذور وصبي معذر جميعاً وقال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يريد تقاربهم في الاسنان كنا اعذار عام واحد وقال النابغة

فنكحن ابكاراً وهن بامة　　أعجلنهن مظنة الاعذار

فزعموا انهم سموا طعام الاعذار بالاعذار للملابسة والمجاورة كان الاصمعى يقول قد كان للعرب كلام على معان فاذا ابتذلت تلك المعانى لم تتكلم بذلك الكلام فمن ذلك قول الناس اليوم ساق اليها صداقها وانما كان هذا يقال حين كان الصداق ابلا وغنما وفي قياس قول الاصمعي ان اصحاب التمر الذين كان التمر دياتهم ومهورهم كانوا لا يقولون ساق فلان صداقه (قال) ومن ذلك قول الناس اليوم قد بنى فلان البارحة على اهله وانما كان هذا القول لمن كان يضرب على اهله في تلك الليلة قبته وخيمته وذلك هو بناؤه ولذلك قال الاول

لو نزل الغيث ابنين امرأ   كانت له قبة سحق بجاد

وكان الاصمعى يعد من هذا اشياء ليس لذكرها هاهنا وجه ومن طعامهم الوكيرة وهو طعام البناء كان الرجل يطعم من يبنى له واذا فرغ من بنائه تبرك باطعام اصحابه ودعائهم ولذلك قال قائلهم

خير طعام شهد العشيره   العرس والاعذار والوكيره

ويسمون ما ينحرون من الابل والجزر من عرض المغنم النقيعة قال الشاعر

انا لنضرب بالسيوف رؤسهم   ضرب القدار نقيعة القدام

والعقيقة دعوة على لحم الكبش الذي يعق من الصبي والعقيقة اسم للشعر نفسه والاشعار هي العقائق وقولهم عقوا عنه اى احلقوا عقيقته و يقولون عق عنه وعق عليه فسمى الكبش لقرب الجوار وسبب الملتبس عقيقة ثم سموا ذلك الطعام باسم الكبش وكان الاصمعي يقول لا يقولن احدكم اكلت ملة بل يقول اكلت خبزة وانما الملة موضع الخبزة وكذلك يقول في الراوية والمزادة يقول الراوية هو الجمل وزعموا انهم اشتقوا الراوية الشعر من ذلك فاما الدعاء الى هذه الاصناف فمنه المذموم ومنه الممدوح فالمذموم النقرى والممدوح الجفلى وذلك ان صاحب المادبة وولى الدعوة اذا جاء رسوله والقوم فى اخويتهم واندبتهم فقال أجيبوا الى طعام فلان فيجعلهم جفلة واحدة وهى الجفالة فذلك هو المحمود واذا انتقر فقال قم انت يافلان وقم انت يافلان فدعا بعضاً وترك بعضا فقد انتقر قال الهذلى

وليلة يصطلى بالفرث جازرها يخص بالنقرى المثرين داعيها

يقول لايدعوا فيها الا اصحاب الثروة واهل المكافأة وهذا قبيح وقال فى ذلك بعض ظرفائنا

آثر بالجدي وبالمائده من كان يرجو عنده الفائده

لو كان مسكوكان فى كفه　　　من خردل ماسقطت واحده

وقال طرفة بن العبد

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى　　　لاترى الادب فينا ينتقر

ولما غزا بسطام بن قيس الشيباني مالك بن المنتفق الضبي واثبته عاصم بن خليفة الضبي شد عليه فطعنه وهو يقول

هذا وفي الحفلة لا يدعونى

ويروى في الجفلة لا يدعوني كانه حقد عليه حين كان يدعو اهل المجلس ويدعه والطعام المذموم عندهم ضربان احدهما طعام المجاوع والحطمات والضرائك والسباريت والائام والجبناء والفقراء والضعفاء من ذلك الغث والدعاع والهبيد والقرامة والقرة والسوم ومنقع البرم والقصيد والقد والحياة فاما الفظ فانه وان كان شرابا كريها فليس يدخل في هذا الباب وكذلك المجدوح فاما الفظ فانه عصارة الفرث اذا اصابهم العطش في المفاوز واما المجدوح فانهم اذا بلغ العطش منهم المجهود نحروا الابل وتلقوا البانها بالجفان كيلا يضيع من دمائها شيء فاذا برد الدم ضربوه بايديهم وجدحوه بالعيدان جدحا حتى ينقطع فيعتزل ماؤه من ثفله كما يخلص الزبد بالمخيض والجبن بالانفحة فيتصافنون ذلك الماء ويتبلغون به حتى يخرجوا

من المفازة وقال الشاعر

لم يأكل النث والدعاع ولم   يجر هبيد لحبيه مهتبد

وقال امية بن ابي الصلت

ولا يتنازعون عنان شرك   ولا اقوات اهلهم العسوم

ولا قرن يقزز من طعام   ولا نصب ولا مولى عديم

وقال معاوية بن ابي معاوية الجرمي في القرة وهو يعير بني اسد وناسا من هوازن وهما أبنا القملية

ألم تر جرما انجدت وابوكم   مع القمل في حفر الافيصر شارع

اذا قرة جاءت يقول اصب بها   سوى القمل اني من هوازن ضارع

والقراءة نحاتة القرون والاظلاف والمناسب وبرادتها والعلهز القردان ترض وتعجن بالدم والقرة الدقيق المختلط بالشعر كان لرجل منهم لا يحلق رأسه الا على رأسه قبضة من دقيق ليكون صدقة على الضرائك وطهوراً له فمن اخذ ذلك الدقيق للاكل فهو معيب وفي اكل الحياة يقول ابن مناذر

فاياكم والريف لا تقربنه   فان لديه الحتف والموت قاضباً

وهم طردوكم عن بلاد ابيكم   وانتم حلول تشتوون الافاعيا

وقال القطامي في اكلهم القد

تممت في طل وريح تلفني وفي طرمساء غير ذات كواكب
الى حيز بون توقد النار بعدما تلفعت الظلماء من كل جانب
فسلمت والتسليم ليس يسرها ولكنه حق على كل جانب
فلما تنازعنا الحديث سألتها من الحي قالت معشر من محارب
من المشتوين القد في كل شتوة وان كان ريف الناس ليس بناصب

وقال الراعي

بكي منذر من ان يضاف وطارق يشد من الجوع الازار على الحشا
الى ضوء نار يشتوي القد اهلها وقد تكرم الاضياف والقد يشتوى

وقد يضيقون في شراب غير المجدوح والغظ فى المغازي والاسفار فيمدحون من آثر صاحبه ولا يذمون من اخذ حقه منه وهو ماء المصافنة والمصافنة مقاسمة هذا الماء بعينه وذلك ان الماء اذا نقص عن الري اقتسموه بالسواء ولم يكن للرئيس ولصاحب المرباع والصفي وفضول المقاسم فضل على اخس القوم وهذا خلق عام ومكرمة عامة فى الرؤساء قال الفرزدق

فلما تصافنا الاداوة اجهشت الى غضون العنبرى الجراضم
على ساعة لو ان فى القوم حاتماً على جوده ضنت به نفس حاتم

وبذلك المذهب من الاثرة مدح الشاعر كعب بن مامة حين آثر

بنصيبه رفيقه النمرى فقال

ما كان من سوقة اسقي على ظما · خمراً بماء اذا ناجودها بردا
من ابن مامة كعب ثم عي به · زو المنية الا حرة وقدا
اوفى على الماء كعب ثم قيل له · رد كعب انك وراد فما وردا

وفى المصافنة يقول الاسدى

كأن اطيطا يابنة القوم لم ينخ · قلائص يحكيها الحنى المنفح
ولم يسق قوما فارسي على الحصا · صباب الاداوى والمطيات جنح

ويزعمون ان الحصاة التى ان اغمرها الماء في الاناء كانت نصيب احدهم تسمى المقلة وهذا الحرف سمعته من البغداديين ولم اسمعه من اصحابنا وقد برئت اليك منه وقال ابن جحوش فى المصافنة

ولما تعاورنا الاداوة أجهشت · الى الماء نفس العنبري الجراضم
وآثرته لما رأيت الذى به · على النفس أخشى لاحقات الملاوم
فجاء بجلمود له مثل رأسه · ليشرب حظ القوم بين الصرائم

وقد يصيب القوم في باديتهم ومواضعهم من الجهد ما لم يسمع به فى امة من الامم ولا في ناحية من النواحى وان أحدهم ليجوع حتى يشد على بطنه الحجارة وحتى يعتصم بشدة معاقد الازار وينزع عمامته من رأسه فيشد بها بطنه وانما عمامته تاجه والاعرابي يجد

في رأسه من البرد اذا كان حاسراً مالا يجده أحد لطول ملازمته العمامة ولكثرة طيها وتضاعف أثنائها ولربما اعتم بعمامتين ولربما كانت على قلنسوة خدرية وقال مصعب بن عميرة الليثي

سيروا فقد جن الظلام عليكم ... فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
دفعنا اليه وهو كالذيخ خاطيا ... نشد على أكبادنا بالعمائم

وقال الراعي في ذلك

يشب لراكب منهم من ورائهم ... فكلهم أمسى الى ضوءها سرى
الي ضوء نار يشتوى القد أهلها ... وقد تكرم الاضياف والقد يشتوي
فلما أناخوا واشتكينا اليهم ... بكوا وكلا الخصمين مما به بكي
بكي منذر من ان يضاف وطارق ... يشد من الجوع الازار على الحشا

ومما يدل على ما هم فيه من الجهد وعلى امتداحهم بالاثرة قول الغنوى

لقد علمت قيس بن عيلان اننا ... نضار وانا حيث ركب عودها
اذا الماء بعد اليوم يمذق بعضه ... ببعض ويبلى شح نفس وجودها
وأنا مقار حين يبتكر الغضا ... اذا الارض أمست وهي جدب جنودها

وقال في ذلك العجير السلولى

من المهديات الماء بالماء بعد ما ... رمى بالمقارى كل قار ومعتم

وقال آخر في مثل هذا

لنا ابل يروين يوما عيالنا ثلاث فان يكثرن يوماً فاربع
تقدم بالماء لا من هوانهم ولاكن اذا ما قل شيء ويمنع
على انها تمشي أولئك بيتها على اللحم حتى يذهب الشراجع

وقال ابو سعيد الخدري اخذت حجراً فعصبته على بطني من الجوع واتيت النبي صلى الله عليه وسلم اسأله فلما سمعته وهو يخطب من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله رجعت ولم اسأله قال اعرابي جعت حتى سمعت من مسامعي دويا فخرجت ابغ الصيد فاذا بمغارة واذا هو جرو ذئب فذبحته واكلته وادهنت واحتذيت ولما قدم المغيرة القادسية على سعد بسبعين من الظهر وعند سعد ضيق شديد من الحال نحروها واكلوا لحومها وادهنوا بشحومها واحتذوا جلودها وذكر الاصمعي عن عثمان الشحام عن ابي رجاء العطاردي قال لما بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ في القتل هربنا فاشتوينا فخذ ارنب دفيناً والقينا عليها جمالنا فلا أنسي تلك الاكلة . وكان الاصمعي اذا حدث بهذا الحديث قال نعم الادام الجوع ونعم شعار المسلمين التخفيف وذكروا عن عبد الملك بن عمير عن رجل من بني عذرة قال خرجت زائراً لاخوال لي بهجر فاذاهم

في برث احمر باقصى هجر في طلوع القمر فذكروا اني اتانا تنأد نخلة فترفع يديها وتمطو بفيها وتأخذ الحلقان والمنسبتة والمنصفة والمعوة فتنكبت قوسي وتقلدت جفيرى فاذا هي قد اقبلت فرميتها فخرت لفيها فادركت فقورت سرتها ومعرفتها فقدحت ناري وجمعت حطبي ثم دفنتها ثم ادركني مايدرك الشباب من النوم فما استيقظت الا بحر الشمس في ظهري ثم كشفت عنها فاذا لها غطيط من الودك كتداعي طيئ وغطيف وغطفان ثم قمت الى الرطب وقد ضربه برد الشجر فجنيت المعوة والحلقان فجعلت اضع الشحمة بين الرطبتين والرطبة بين الشحمتين فاظن الشحمة سمنة ثم سلاءة واحسبها من حلاوتها شهدة احدرها من الطور . وانا اتهم هذا الحديث لان فيه ما لا يجوز ان يتكلم به عربي يعرف مذاهب العرب وهو من احاديث الهيثم وقال مدينى لاعرابي اى شيء تدعون واى شيء تأكلون قال نأكل مادب ودرج الا ام حبين فقال المدينى لتهن ام حبين العافية وقال الاصمعي تعرق اعرابي عظما فلما اراد ان يلقيه وله بنون ثلاثة قال له احدهم اعطنيه قال وما تصنع به قال اتعرقه حتى لا تجد فيه ذرة مقيلا قال ما قلت شيئا قال الثاني اعطنيه قال وما تصنع به قال اتعرقه حتى لا تدري العامه ذلك هو ام للعام الذي

ابله قال ما قلت شيئا قال الثالث اعطنيه قال وما تصنع به قال اجمله

مخة ادام قال انت له وقال الآخر

فانك لم تشبه لقيطاً وفعله وان كنت أطعمت الارز مع التمر

وقال الآخر

اذا انفاض منها بعضها لم تجد لما دويا لما قد كان منها مدانيا
وان حاولوا أن يشبعوها رأيتها على الشبع لا تزداد الا تداعيا
معودة الارحال لم توف مرقبا ولم تمتط الجون الثلاث الأثافيا
ولا اخترعت من نحو مكة شقة الينا ولا جازت بها العيس واديا
ولكنها في أصلها موصلية مجاوزة فيها من البحر جاريا
أتتنا تزجيها المجاذيف نحونا وتعقب فيما بين ذلك المراديا
فقلت لمن هذى القدور التي ارى تجيل عليها الريح تربا وسافيا
فقالوا وهل يخفي على كل ناظر قدور رقاش ان تأمل رائيا
فقلت متي باللحم عهد قدوركم فقالوا اذا ما لم يكن عواريا
ألا الضحى الى الاضحي والا فانها تكون كنسج العنكبوت كما هيا
فلما استبان الجهد لي في وجوههم وشكوا ام أدخلتهم في عياليا
فكنت اذا ما استشرفوني مقبلا اشاروا جميعاً لجة وتداعيا

ومما قالوا في صفة قدورهم وجفانهم وطعامهم مما انا كاتبه لك

وهم وان كانوا في بلاد جدب فانهم احسن الناس حالا في الخصب فلا تظنن أن كل ما يصفون به قدورهم وجفانهم وثريدهم وحيسهم باطل وحدثنى الاصمعي (قال) سألت المنتجع بن نبهان عن خصب البادية فقال ربما رأيت الكلب يتخطى الخلاصة وهى له معرضة شبعاً وقال الافوه الاودى

تهنا لثعلبة بن قيس جفنة ... يأوي اليها في الشتاء الجوع
ومذانب لا تستعار وخيمة ... سوداء عيب نسيجها لا يرقع
وكأنما فيها المذانب حلقة ... ودم الدلاء على دلوج ينزع

وقال معن بن اوس وهو يذكر قدور سعيد بن العاص في بعض ماءيمدحه

اخو شتوات لا تزال قدوره ... تحل على ارجائها ثم ترحل
اذا مائمتطاها الموقدون رأيتها ... لوشك قراها وهى بالجزل تشعل
سمعت لها لغطااذا ماتغطمطت ... كهدر الجمال رزما حين تجفل
ترى البازل الكوماء فيها باسرها ... مقبضة في قدرها ما تجلجل
كأن الكهول الشهب فى حجراتها ... تغطرش في تيارها حين يحفل
اذا التطمت امواجها فكأنها ... ثواب دم في المحلة قبل
اذا احتدمت امواجها فكأنها ... بزوع من شدة الغلى أو كل

تظل رواسيها ركودا مقيمة لمن نابه فيها معاش وما كل

وضاف الفرزدق اباالسحماء سحيم بن عامر احد بني عمرو بن مرثد فاحمده وذكر فى احماده قدره فقال

سألناعن ابى السحماء حتي أتينا خير مطروق لسارى

فقلنا ياأبا السحماء انا وجدنا الازد ابعد من نزار

فقام يجر من عجل الينا أسابي النماس مع الازار

وقام الى سلافة مسلحب رثيم الانف مربوب بقار

تدور عليهم والقدر تغلى بابيض من سديف القوم وارى

كأن تطلع الترغيب منهم عذارى تطلعن الى عذارى

وقال الكميت في صفة القدر

اوز تنمس في لجة تغيب مرارا وتطفو مرارا

كان الغطامط من غليها اراجيز أسلم تهجو غفارا

واما ما ذكروا من صفات القدور من تعيير بعضهم بعضا فهو كما انشدني محمد بن يسير قال لما قال الاول

ان لنا قدر ذراعين عرضها وللطول منها اذرع وشبار

قال الآخر وما هذه اخزى الله هذه قدرا ولكنى اقول

بوأت قدرى فوضعتها برابية من بين ميث واجرع

جعلت لها هضب الرجام وطخفة ... وغولا اثافي دونها لم تنزع
بقدر كأن الليل شحنة قعرها ... ترى الفيل فيها طاميا لم يقطع
يعجل للاضياف واري سديفها ... ومن يأتها من سائر الناس يشبع

قال ابو عبيدة ولما قال الفرزدق

وقدر كحيزوم النعامة احمشت ... بجذال خشب زال عنها هشيمها.

قال ميسرة ابو الدرداء وما حيزوم النعامة والله ما تشبع هذه الفرزدق ولكني اقول

وقدر كجوف الليل احمشت غليها ... ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل

وقال عبد الله بن الزبير يمدح اسماء بن خارجة

الم تر ان المجد ارسل يبتغي ... حليف صفاء قابلا لا يزايله
تخير اسماء بن حصن فبطنت ... بفعل العلى ايمانه وشمائله

ومما يجوز في هذا الباب وان لم يكن فيه صفة قدر قول الفرزدق في المذافر بن أحد بني تيم اللات بن ثعلبة

لعمرك ما الارزاق يوم اكتيالها ... باكثر خيراً من خوان المذافر
ولو ضافه الدجال يلتمس القرى ... وحل على خبازه بالمساكر
بعدة ياجوج وماجوج جوعاً ... لاشبعهم شهرا غداء المذافر

وقال ابن عبدل في بشر بن مروان بن الحكم

ولو شاء بشر كان من دون بابه   طماطم سود أو صقالبة حمر
ولكن بشراً اسهل الباب للتي   لبشر (١) عندها الحمد والاجر
بعيد مراد العين ما ردطرفه   حذار الغواشي باب دار ولا سنه

وقالوا في مناقضات اشعارهم في القدور قال الرقاشي

لنا من عطاء الله دهماء جونة   تناول بعد الاقربين الاقاصيا
جعلنا الالاء والوجام وطخفة   لها فاستقلت فوقهن اثافيا
مؤدية عنا حقوق محمد   اذا ما أتانا بائس الحال طاويا
اتى ابن يسير كي ينفس كوبها   اذ لم يرح وافى مع الصبح غاديا

فاجابه ابن يسير فقال

وثرماء ثلماء النواحي ولا ترى (٢) ابحد عسيا سوى ذاك بادبا
ينادي ببعض بعضهم عند طلعتي   الا ابشروا هذ اليسيرى جائيا

وقال ابن يسير في ذلك

قدر الرقاشي لم تنقر بمنقار   مثل القدور ولم تقتض من غار
لكن قدر ابى حفص اذا نسبت   يوما ربيبة آجام وانهار

فاعترض بينهما ابو نواس الحسن بن هانئ الحكمي يذكر قدر الرقاشي بالهجاء ايضاً فقال

ودهماء تثفيها رقاش اذا شتت   مركبة الآذار أم عيال

يغص بحيزوم البعوضة صدرها ... وتنزلها عفوا بغير جمال

ولو جئتها ملأى عبيطا مجزلا ... لاخرجت ما فيها بعود خلال

هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ... ربيع اليتامى عام كل هزال

وقال فيها أيضاً

رأيت قدور الناس سوداً على الصلى ... وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر

ولو جئتها ملأى عبيطا مجزلا ... لاخرجت ما فيها على طرف الظفر

يثبتها للمعتفي بفنائهم ... ثلاث كحظ الثاء من نقط الحبر

ثين في محراتها أن عوده ... سليم صحيح لم يصبه أذى الجمر

تروح على حي الرباب ودارم ... وسعد وتعروها قراضبة القزر

وللحي عمرو نفحة من سجالها ... وتغلب والبيض اللهاميم من بكر

اذا ما تنادوا بالرحيل سعى بها ... اما مهم الحولى من ولد الذر

وقال بعض التميميين وهو يهجو ابن حبار

لو أن قدراً بكت من طول ما حبست ... من الجفوف بكت قدر ابن حبار

ما مسها دسم مذ فض معدنها ... ولا رأت بعد نار القين من نار

والشعوبية والآزادمردية المبغضون لان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ممن فتح الفتوح وقتل المجوس وجاء بالاسلام تذبذ خشونة عيشهم وخشونة ملبسهم وتنقص من نعيمهم ورفاهة عيشهم

وهم احسن الامم حالا مع الغيث واسوأهم حالا اذا خفت السحاب حتى ربما طبق الغيث الارض بالكلأ والماء فعند ذلك يقول المصرم والمقتر مرعي ولا اكولة وعشب ولا بعير وكلأ تيجع له كبد المصرم ولذلك قال شاعرهم

وجنبت الجيوش أبار بيت وجاد على مسارحك السحاب

واذا نظرت فى أشعارهم علمت انهم قد اكلوا الطيب وعرفوه لان الناعم من الطعام لا يكون الا عند اهل الثراء واصحاب العيش قال زياد بن فياض يذكر الدرمك وهو الحوارى

ولاقت فتي قيس بن عيلان ماجداً اذا الحرب هرتها الكماة الفوارس
فقام الى البرك الهجان بسيفه وطارت حذار السيف دهم قناعس
فصادف حد السيف قباء جلمداً فكاست وفيها ذو غرارين نائس
فاطعمها شحماً ولحما ودرمكا ولم يثننا عنه النسيم الحنادس

وقال تظل فى درمك وفاكهة وفى شواء ما شئت أو مرقه

وقال جرير

تكلفني معيشـة آل زيد ومن لى بالمرقق والصناب

وقال الندر بن تولب

لها ما تشتهى عسل مصفي وان شاءت فحوارى بسمن

ومن اشرف ما عرفوه من الطعام ولم يطعم الناس احد منهم ذلك الطعام الا عبد الله بن جدعان وهو الفالوذق مدحه بذلك امية بن ابي الصلت فقال

الى ردح من الشيزى عليها لباب البر يلبك بالشهاد

ولهم الثريد وهو في اشرافهم عام وغلب عليه هاشم حين هشم الخبز لقومه وقد مدح به في شعر مشهور وهو قوله

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

ومن الطعام الممدوح الحيس وتزعم مخزوم ان اول من حاس الحيس سويد بن هرمى وقال الشاعر

واذا تكون شديدة ادعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جندب

والخبز عندهم ممدوح وكان عبد الله بن حبيب العنبرى احد بني سمرة يقال له آكل الخبز لانه كان لا ياكل التمر ولا يرغب في اللبن وكان سيد بنى العنبر في زمانه وهم اذا فخروا قالوا امنا آكل الخبز ومنا مجير الطير يعنى ثوب بن شحمة العنبرى وهم يقدمون اللحم على التمر الا تراه يقول

* قرتني عبيد تمرها وقريتها سنام مصراة قليل ركوبها
فهل يستوى الشحم السنان اذا شتنا وتمر جواثا حين يلقى عسيبها

وليس يكون فوق عقر الابل واطعام السنان شيء والعقر هو النجدة واللبن هو الرسل قال الهزلى

لو ان عندى من قويم رجالا لمنعوني نجدة ورسلا

وقال الهزلى

الا ن خير الناس رسلا و نجدة

وقال المرار بن سعد الفقعسي

لهم ابل لا من ديات ولم تكن مهوراً ولا من مكسب غير طائل
ولكن حماها من شماطيط غارة حلال الموالى فارس غير ما ئل
مخيسة فى كل رسل ونجدة ومعروفة ألوانها في المعاقل

وقد وصفوا الثريد فقال الراعى

فباتت تعد النجم من مستحيرة سريع على ايدى الرجال جمودها

وقال الآخر

ثريد كأن السمن في حجراته نجوم الثريا أو عيون الضياون

وقال ابن هرمة

الى ان اتاهم بشيزية تعد كواكبها الشبك

وقال كامل بن عكرمة

فقرب بينهم خبزاً ركوداً كساها الشحم ينهصر انهصارا

يدف بها غلاماه جميعا ... تردهما الى الارض انهصارا
فاصبح سورهم فيها وعلى ... لو ان السلم صنفها اشارا

فهذا في صفة الثريد وقال بشر بن ابي خازم

ترى ودك السديف على لحاهم ... كلون الراد لبده الصقيع

وقال الآخر

حلاالاذفر الاحوى من المسك فرقه ... وطيب الدهان رأسه فهو أنزع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا ... له حوك برديه أرقوا وأوسعوا

وقال الزبير بن عبد المطلب

فانا قد خلقنا اذ خلقنا ... لنا الحبرات والمسك الفتيت
ولولا الحمس لم يلبس رجال ... ثيابا غرة حتى يموتوا
ثيابهم شمال أوعباء ... بها دنس كما دنس الحميت

فميز كما ترى بين الناس الاشراف واهل الثروة وغيرهم وقال الاعشي

لاشرف العود فاكنافه ... ما بين جران فينصوب
خير لهاان خشيت جحرة ... من ربها زيد بن أيوب
متكئا تقرع ابوابه ... يسعي عليه العبد بالكوب

وقال ابو الصلت بن ربيعة

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعا　　في رأس غمدان دار منك امحلالا

وليس هذا من باب الافراط وباب الافراط كقول جران العود حين وصف نفسه وعشيقته فقال

فاصبح في حيث التقينا غنيمة　　سوار وخلخال ومرط ومطرف

ومنقطعات من عقود تركنها　　كجمر الغضا في بعض ما تتخطرف

ومن ذلك قول عدى بن زيد

يالبيني أوقدي النارا　　ان من تهوين قد حارا

رب نار بت ارقبها　　تقضم الهندى والغارا

وقال الآخر

اري في الهوى ناراً لظبية أوقدت　　تشب وتذكى بعدهن وقودها

تشب بعيدان اليلنجوج موهنا　　وبالرند احيانا فذاك وقودها

قد ذكرنا الطعام الممدوح ماهو وذكرنا احد صنفي الطعام المذموم والصنف الآخر الخزيرة التي تعاب بها مجاشع بن دارم وكنحو السخينة التى تعاب بها قريش قال خداش بن زهير.

ياشدة ماشددنا غير كاذبة　　على سخينة لولا الليل والحرم

وقال عبد الله بن همام

اذاً لضربتهم حتي يعودوا　　بمكة يلعقون بها السخينا

وقال جرير

وضع الخزير فقيل اين مجاشع　　فحشا جحافله هجف هبلع

والخزير لم يكن من طعامهم وله حديث والسخينة كانت من طعام قريش وتهجى الانصار وعبد القيس وعذرة وكل من كان يقرب النخل باكل التمر فقال الفرزدق

لست بسعدى على فيه حبرة　　ولست بعبدي حقيبته والتمر

وتهجى أسد باكل الكلاب وباكل لحوم الناس والعرب اذا وجدت رجلا من القبيلة قد اتى قبيحا الزمت ذلك القبيلة كلها كما تمدح القبيلة بفعل جميل وان لم يكن ذلك الا بواحد منها فتهجو قريشاً بالسخينة وعبد القيس بالتمر وذلك عام فى الحيين جميعا وهما من صالح الاغذية ولا قوات كما تهجو باكل الكلاب والناس وان كان ذلك انما كان رجلا واحدا فلذلك اذا اردت التحصيل تجده معذوراً قال الشاعر

يافقعسى لم اكلته لمه　　لو خافك الله عليه حرمه

فما اكلت لحمه ولادمه

وقال في ذلك مساور بن هند

اذا أسدية ولدت غلاما　　فبشرها بلؤم فى الغلام

تخرسها نساء بني دبير　　بأخبث ما يجدن من الطعام

ترى أظفار أعقد ملقيات براثنها على وضم الثمام

وقال

بني أسد ان يمحل العام فقعس فهذا اذا دهر الكلاب وعامها

وقال الفرزدق

اذا اسدى جاع يوما ببلدة وكان سمينا كلبه فهو آكله

وقال شريح بن أوس وهو يهجو أبا المهوش الاسدى

عيرتنا تمر العراق وبره وزادك أير الكلب شحشحه الجمر

وتهجى أسد وهذيل والمنبر وباهلة باكل لحوم الناس قال الشاعر في هذيل

وانتم أكلتم سحفة بن محلم زباب فلا يامنكم احد بعد

تداعوا له من بين خمس واربع وقد نصل الاظفار وانسبأ الجلد

ورفعتم جردانه لرئيسكم معاوية الفلحاء يالك ماشكد

وقال حسان فيهم

ان سرك الغدر صرفا لا مزاج له فأت الرجيع وسل عن دار لحيان

قوم تواصوا باكل الجار بينهم فالشاة والكلب والانسان سيان

وهجا شاعر بلعنبر وهو يريد ثوب بن شحمة وفيه حديث

عجلتم ما صادكم علاجى من العنوق ومن النعاج

حتى اكلتم طفلة كالعاج

ولما عير ثوب بن شحمة باكل الفتى لحم المرأة الى ان نزل هو من الجبل فقال

يابنت عمى ما ادراك ما حسبي   اذا لا تجن خبيث الزاد اضلاعي
انى لذو مرة تخشي بوادره   عند الصباح بنصل السيف قراع

فهجا ثوب بن شحمة باكل لحوم امرأة وكان ثوب هذا اكرم نفسا عندهم من ان يطعم طعاما خبيثا ولو مات عندهم جوعا وله قصص ولقد اسر حاتم الطائى وظل عنده زمانا وقال الشاعر يهجو باهلة بمثل ذلك

ان غفاقا اكلته باهله   تمششو عظامه وكاهله
واصبحت ام غفاق ثاكله

وهجيت بذلك اسد جميعا بسبب رملة بنت فائد بن حبيب بن خالد بن نضلة حين اكلها زوجها واخوها ابو ارب وقد زعموا ان ذلك انما كان منهما من طريق الغيظ والغيرة فقال ابن دارة ينعي ذلك عليهم

أفى أن رويتم واحتلبتم شكيكم   فخرتم وفيم الفخر من الفخر
ورملة كانت زوجة لفريقكم   وأخت فرق وهي مخزبة الذكر

أبا أرب كيف القرابة بينكم ... واخوانكم من لحم أكفا الماعجر

وقال

عدمت نساء بعد رملة فائد ... بني فقعس تأتيكم بأمان

وباتت عروسا ثم اصبح لحمها ... جلا في قدور بينكم وجفان

وقال البراء بن ربعي اخو مضرس بن ربعي يعير كلبا وهو اخوه فقال

ياصلت ان محل بيتك منتن ... فارحل فان العود غير صليب

واذا دعاك الي المعاقل فائد ... فاذكر مكان صدارها المسلوب

والآن فادع أبا رجال انها ... شنعاء لاحقة بأم حبيب

وابو رجال هذا عمها وقال في ذلك معروف الدبيرى

اذا ما ضفت ليلا فقعسيا ... فلا تطعم له ابدا طعاما

فان اللحم انسان فدعه ... وخير الزاد مامنع الحراما

وعيرت كلب والقين بن جسر باكل الخصي وذلك بسبب النساء وذلك ان احدا منهم لما اطعم خصييه بسبب العبث بامرأة سار مع من ركبوا ذلك منه فيهم مثل السيرة فقال بعض من ركب ذلك

ابلغ لديك بني كلب واخوتهم ... كلبا فلاتجبروا بعدى على احد

هذي الخصى فكلوها من نفوسكم كما اكلتم خصاكم في بني اسد

وهذا الباب يكثر ويطول وفيما ذكرنا دليل على ما قصدنا اليه من تصنيف الحالات فان اردته مجموعا فاطلبه فى كتاب الشعوبية فانه هناك مستقصى والاعرابي اذا اراد القرى ولم ير نارا نبح فيجاوبه الكلب فيتبع صوته ولذلك قال الشاعر

ومستنبح اهل الثرى يطلب القرى الينا وممساه من الارض نازح

وقال الآخر

عوي حدس والليل مستحلس الندي لمستنبح بين الرميثة والحصر

ويدلك على انه ينبح وهو على راحلته لينبحه الكلب قول حميد الارقط

وعاو عوى والليل مستحلس الندى وقد ضجعت للغور تالية النجم

فمنهم من يبرز كلبه ليجيب ومنهم من يمنعه ذلك قال زياد الاعجم وهو يهجو بنى عجل

وتكعم كلب الحي من خشية القرى وقدرك كالعذراء من دونها ستر

وقال آخر

نزلنا بعمار فاشلى كلابه علينا فكدنا بين بيتيه نؤكل

فقلت لاصحابى اسر اليهم اذا اليوم أم يوم القيامة اطول

وقال آخر

اعددت للضيفان كلبا ضاريا   عندي وفضل هراوة من ارزن

وقال اعشي بني تغلب

اذا حلت معاوية بن عمرو   على الاطواء خنقت الكلابا

وانشد ابن الاعرابى وزعم انه من قول المجنون

ونار قد وقفت لغير خير   رجاه لمن تأوبنى الرعاء
تأبنى طويل الشخص منهم   يجر ثفاله يرجو العشاء
فكان عشاؤه عندى خزير   بتمر متينه فيه النواء

وقال في خلاف ذلك حسان بن ثابت

اولاد جفنة حول قبر ابيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتي ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل

وقال المرار الحماني في كلبه

الف الناس فما ينبحهم   من أسيف يبتغي الخير وحر

وقال عمران بن عصام

لعبد العزيز على قومه   وغيرهم منن غامره
فبابك الين ابوابهم   ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالمعتفين   من الأم بابنتها الزائره

وكفك حين ترى السائلـــين أندى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنا الثنا ء بكل محبرة سائره

وفي انس الكلاب بالناس لطول الرؤية لهم شعر كثير وقال الشاعر

يا أم عمرو أنجزي الموعودا وارعى بذاك أمانة وعهودا
ولقد طرقت كلاب اهلك بالضحى حتى تركت عقورهن رقودا
يضربن بالاذناب من فرح بنا متوسدات أذرعا وخدودا

وقال ذو الرمة

رأتني كلاب الحي حتى ألفنني ومدت نسوج العنكبوت على رحلي

وقال الآخر

بات الحويرث والكلاب تشمه وسرت بابيض كالهلال على الطوي

هذا البيت يدخل في هذا الباب وقال الآخر

لو كنت احمل خمراً يوم زرتكم لم ينكر الكلب اني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يفعمني والعنبر الورد اذكيه على النار
فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني وكان يعرف ريح الزق والقار

وقال هلال بن خثعم

اني لعف عن زيارة جارتي واني لمشنوء الىّ اغتيابها
اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها زوورا ولم تأنس الى كلابها

وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من اي حوك ثيابها

وقال ابن هرمة في فرح الكلاب بالضيف لعادة النحر

وفرحة من كلاب الحي يتبعها محض يزف به الراعي وترعيب

وقال ابن هرمة

ومستنبح ببهت كلبي لصوته فقلت له قم باليفاع فجاوب
فجاء خفي الشخص قدرامه الطوى بضربة مفتوق الغرارين قاضب
فرحبت واستبشرت حين رأيته وتلك التي الفي بها كل ثائب

وفي معني الكلاب من النباح يقول ابن اعيا في الحطيئة

الا قبح الله الحطيئة انه على كل ضيف ضافه فهو سالح
دفنت اليه وهو يخنق كلبه ألا كل كلب لا ابا لك نابح
بكيت على مذق خبيث قريته ألا كل عبسيٍّ على الزاد نائح

وقد قالوا فى صفة ابواب اهل المقدرة والثورة اذا كانوا يقومون بحق النعمة قال الراجز

ان الندى حيث تري الضغاطا

وقال الآخر

يزدحم الناس على بابه والشرع السهل كثير الزحام

وقال الآخر

واذا افتقرت رأيت بابك خاليا وترى الغني يهدي لك الزو

وليس هذا من الاول انما هذا مثل قوله

ألم تر بيت الفقر يهجر أهله وبيت الغني يهدى له ويزار

وهذا مثل قوله

إذا ما قل ما لك كنت فردا وأي الناس زوار المقل

والعرب تفضل الرجل الكسوب والنز الطلوب ويذمون المة

القشل الدثر والكسلان ولذلك قال شاعرهم وهو يمدح رجلا

شتى مطالبه بعيد همه جواب أودية برود المضجع

ومدح آخر نفسه فقال

فان تأتياني في الشتاء وتلمسا مكان فراشي فهو بالليل بارد

وقال آخر

الى ملك لا ينقص الناي عزمه خروج تروك للفراش الممهد

وقال الآخر

فداك قصيرا لهم يملأ عزمه من النوم اذ ملقي فراشك بارد

وقال الآخر

أبيض بسام برود مضجعه اللقمة الفرد مرارا يشبعه

وهم يمدحون اصحاب النيران ويذمون اصحاب الاخماد قال الشاعر

له نار تشب بكل ريح　　اذا الظلماء جللت القناعا
وما ان كان اكثرهم سواما　　ولكن كان ارحبهم ذراعا

وقال مزرد بن ضرار

فابصر ناري وهي شقراء أوقدت　　بعلياء نشز للعيون النواظر

تجعلها شقراء ليكون أضوء لها وكذلك النار اذا كان حطبها يابسا كان اشد لحمرة ناره واذا اكثر دخانه قل ضوءه وقال الآخر

ونار كسجر العود يرفع ضوءها　　مع الليل هبات الرياح الصوارم

وكلما كان موضع النار اشد ارتفاعا كان صاحبها اجود وامجد لكثرة من يراها من البعد الا ترى النابغة الجعدي حين يقول

منع الغدر فلم اهمم به　　واخو الغدر اذا هم فعل
خشية الله وانى رجل　　انما ذكري كنار بقبل

وقالت خنساء السلمية

وإن صخر التأتم الهداة به　　كانه علم في رأسه نار

وليس يمنعني من تفسير كل ما يمر الا اتكالى على معرفتك وليس هذا الكتاب نفعه الا لمن روى الشعر والكلام وذهب مذاهب القوم أو يكون قد شدا منه شدواً حسنا ومما يدل على كرم القوم ايمانهم الكريمة واقسامهم الشريفة قال ممدان بن جواس الكندى

إن كان ما بلغت عنى فلامني ... صديقي وحزت من يدى الأنامل
وكفنت وحدى منذرا فى ردائه ... وصادف حوطا من أعادى قاتل

وقال الأشتر مالك بن الحارث في مثل ذلك أيضا

بقيت وحدي وانحرفت عن العلى ... ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة ... لم تخل يوما من نهاب نفوس
خيلا كأمثال السعالى سربا ... تعد ببيض فى الكريهة شوس
حمي الحديد عليهم فكأنه ... لمعان برق أو شعاع شموس

وقال ابن سيحان

حرام كنتي منى بسوء ... واذكر صاحبي ابدا بذام
لقد احرمت ودبني مطيع ... حرام الذهن للرجل الحرام
وحرمي الذي قد يستروه ... وعلسهن ... الظلام
واني جنفت الزمان مدت حبلا ... متينا من حبال بني هشام
وريق عودهم ابدا رطيب ... إذا ما اغبر عيدان اللئام

﴿تم كتاب البخلاء﴾

بالمطبعة [illegible] ١٣٢٥ هجريه